

صَفْوَةُ الْإِثَارِ وَالْمَفْهِمَاتِ

مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

تأليف

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري

المجلد الأول

سورة الفاتحة

الناشر

دار المعنى للنشر والتوزيع

صَفْوَةُ الْإِشَارَةِ وَالْمَفْهِمَاتِ
مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م

ح عبد الرحمن بن محمد الدوسري ، ١٤٢٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدوسري ، عبد الرحمن بن محمد
صفوة الآثار والمفاهيم من التفسير القرآن العظيم -
عبد الرحمن بن محمد الدوسري - الرياض ، ١٤٢٥ هـ
١٢ مج .
٢٨٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٤ - ٦٩٦ - ٤٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٢ - ٦٩٧ - ٤٤ - ٩٩٦٠ (ج ١)
١- القرآن - التفسير الحديث أ- العنوان
ديوي ٢٢٧٦ ١٤٢٥/١٤٦٤

رقم الإيداع : ١٤٢٥/١٤٦٤

ردمك : ٤ - ٦٩٦ - ٤٤ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

٢ - ٦٩٧ - ٤٤ - ٩٩٦٠ (ج ١)

الناشر

دار المغني للنشر والتوزيع

ص.ب : ١٥٤٠٤١ الرياض : ١١٧٤٨

هاتف - فاكس : ٠٠٩٦٦١٤٢٥٧٠١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . وبعد:

فإن الله ﷻ يهيب لهذا الدين، ويمنح هذه الأمة من يدافع عنها ضد افتراءات المفترين، ويذود بلسانه وقلمه عن حياض هذه الملة العظيمة - ملة الإسلام - لتظل هذه الأمة على مر العصور - وإن بدت ضعيفة واهنة - تحمل داخلها عوامل نهضتها، وأسباب عزتها؛ ولكنها بحاجة إلى من ينفذ عنها غبار الغفلة والتهيه؛ لتثوب إلى رشدتها، وتعود إلى منهج ربها؛ لتستحق أن تكون خير أمة أخرجت للناس . . .

ومن الدعاة الذين تحملوا عبء الدعوة، وحملوا هموم هذا الدين وناقحوا عن هذه الملة بكل ما أوتي من قوة الشيخ: عبد الرحمن الدوسري - رحمه الله تعالى - حيث عالج في تفسيره الرائع «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم» الكثير من أدواء الأمة، وعرضها بموضوعية، مبيناً الداء، وموضحاً للدواء، وكاشفاً لألأعيب الأعداء والملحدين والمنافقين والعلمانيين، محذراً وناصحاً، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ولذلك حرصت دار المغني للنشر والتوزيع على نشر هذا الكتاب بين المسلمين؛ لما فيه من فوائد جمة، وآثار عظيمة، ومعاني راقية، وتبصرة لهم بأحوال واقعهم المعاصرة وما يحيط بهم من حوادث وملامات، وإرشاد لهم لما

ينبغي عليهم لنصرة الإسلام وعز المسلمين.

أما عن عملنا في هذا الكتاب فيتلخص في:

١- تخريج الآيات القرآنية كلها مع عزوها إلى مواضعها في المصحف.

٢- تصويب الأخطاء اللغوية والإملائية التي سبقت في الطبقات القديمة.

٣- وإخراج الكتاب في الحلة التي تليق به.

هذا ونسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع

به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان مؤلفه وناشره، وكل من ساهم في

إخراجه - إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث رحمة للبشرية ومرشدًا يقودها إلى منابع الهدى والخير والرشاد.

وبعد: كان والدي الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمته الله يتمنى دائماً انتشار كتب الإسلام بين المسلمين عامة والشباب خاصة، ليكونوا أكثر التصاقاً بدينهم وبقرآنهم، وأشمل فهماً وإدراكاً لهذا الدين الخالد، لأن انتشار كتب الإسلام التي تخدم الإسلام وقرآنه هي قوة للإسلام والمسلمين يتحصنون بها ضد الأعداء - وما أكثرهم - فيقفون بإسلامهم أعزة شامخي الرءوس بينون مجدهم ويعيدون حياة سلفهم الصالح، وينهضون بإعمار الأرض صيانة لأمانة حملهم الله سبحانه إياها عندما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

ونحمد الله على أن كتب الشيخ أصبحت تأخذ طريقها إلى أيدي القراء وقلوبهم كتاباً تلو الآخر، تحث، وتحض، وتتصدى، وتبين، وتوضح بقوة وصدق وحرارة إيمان عرفت أسلوباً سار عليه الشيخ أثناء حياته وخلال كتبه المتعددة، وهانحن اليوم نقدم تفسراً من صفوة الآثار والمفاهيم مطبوعاً للمرة الثانية بعد أن نفذت طبعته الأولى، وكانت طبعته الأولى تلك قد أخرجت ونفذت خارج البلاد بعيداً عن المراجعة فوقع فيها بعض الأخطاء الطفيفة المطبعية.

أما وقد هيا الله لنا طباعته في البلاد لهذه المرة نقدم الكتاب بعد أن تم

تصحيح ما جاء به من تلك الأخطاء البسيطة، وتخريج ما أمكن من الآيات الكثيرة التي اعتمد عليها الشيخ كشواهد في كتابه.

وبهذه المناسبة لا يسعني إلا أن أشير إلى جهود الذين قاموا على إخراجه بطبعته الأولى فأقدم شكري الجزيل داعيًا الله لهم الأجر والثواب، ومثل ذلك لمن ساهم في إخراجه بطبعته الثانية مذكرًا إلى أن حقوق الطبع والنشر محصورة بولد الشيخ وليس لأحد سواه الحق في ذلك.

وصفوة الآثار بأجزائه المتلاحقة يعتبر أكبر وأوسع كتب المرحوم وأكثرها فائدة، فقد وضع شيخي الوالد عصارة فكره وجل جهده في تأليف هذا الكتاب.

وغرضه الأول والأخير هو: خدمة الإسلام والمسلمين غيرة منه وحرصًا على رد الركب المسلم إلى طريق الحق والنور أملًا في أن ينكشف ذلك الطريق بعد أن عتم أعداء الإسلام جوانبه ورموه بكل العراقيل والمعوقات، وكثيرون هم الذين لمحووا تلك الخطوة الجادة للشيخ فأكبروها وتحدثوا عنها في أحاديثهم وندواتهم وخطبهم، وبعضهم نهض مشكورًا لعرض عمل الشيخ كرسائل جامعية في الدراسات العليا -ستصدر قريبًا بإذن الله- وبعضهم تناول الكتاب بدراسة نقدية سريعة على صفحات مجلة أو صحيفة، منهم من يعرف الشيخ في حياته ومنهم من لا يعرفه إلا من خلال عطاءاته، وطالما أن المجال لا يتسع لي كي أعرض لما قدمه كل أولئك الأفاضل فإني أكتفي بإيراد بعض ما جاء في مجلة (الدعوة السعودية) العدد ٨٧٦، بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ، بقلم الأستاذ سعيد السيد كنظرة سريعة له في هذا الكتاب، أو كواحد ممن لا يعرفون الشيخ إلا من خلال عطاءاته.

يقول الكاتب: يبدو من النظرة الأولى أن كتابنا هو تفسير للقرآن الكريم كبقية التفاسير وحسب، ولكنه هو هذا إلى جانب أنه عمل فني رائع أبدعته ريشة أديب مثقف مرهف، فهم الإسلام فهمًا حقيقيًا، ووعى كتاب الله ووعي مدرك محب فانطلق ينتقل في ظلاله يعرض ثمره الطيب شفاء للنفس والقلب والروح.

ذهب المجلد الأول من الكتاب الكبير في تفسير أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والبسملة، وسورة الفاتحة، وقد عرف في تفسير الاستعاذة: الاستعاذة والمستعبد والمستعاذ به والمستعاذ منه، وبين المطالب التي يستعاذ من أجلها، ووضح الفرق بين الشيطان الرجيم وبين إبليس بشكل عجيب مفيد ملفت للنظر. وبرر بعد ذلك بدء القرآن بسم الله الرحمن الرحيم بلفظة فريدة بارعة ذكية يستفيد منها العالم والمتعلم، ثم دخل بعد هذا في رحاب القرآن الكريم يعرض معانيه ويتجول في ظلاله باعًا البهجة في تلك الأفياء الفسيحة مشيرًا ومرشدًا إلى ثماره الطيبة التي لا تنتهى فوائدها، فقد رد شيخنا الكبير الدين كله إلى معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبين من خلال ذلك كيفية تكامل الإنسانية، والأصالة الفكرية، وصور الرق المعنوي.

وتحدث عن المنطق الشيوعي في تفسير المادة، ومعنى التقديمية الحققة، واختتم المجلد الأول بفضائل سورة الفاتحة ثم غادره إلى المجلد الثاني بعد أن تركه متعة فنية أدبية فكرية ترسل شعاعها فتضيء الدرب والنفس، اتبع الدوسري أسلوب المنهجية والدقة في بحثه فقد كان يورد آراء السابقين والمحدثين من الثقات ثم يعزز الرأي الذي يراه أكثر التصاقًا بالعقل وأنفع للإسلام والمسلمين، سخر التاريخ بذكاء وخبرة المطلع كشواهد لخدمة الفكرة

التي يعرض لها، وبذلك قدم لنا لمحات تاريخية كمذكرات إسلامية وعالمية تستدعي ما غاب من الفكر وتساعد في رسم الصورة المتكاملة.

كانت له نظرة نافذة في تعريف الماسونية وتعريفها كخادم سخر لتنفيذ مطامع الصهيونية الدنيئة في إفساد البشر وتسخيرهم لأغراضها، وقد اعتمد كذلك في كثير من المواقف على التحليل النفسي المقنع لشد القلوب وشفاء النفوس شأنه في ذلك شأن الباحث المثقف الذي يلم بجوانب موضوعه ويتركه أمام قارئه كلاً متكاملًا لا ثغرة فيه.

أبدع الدوسري في تصوير الإنسان كخليفة لله في أرضه وارتفاعه فوق بقية المخلوقات انطلاقًا من حب الله لهذا المخلوق، ظهر فهمه الواسع للغة وأعطى الإعراب مفهومه الحقيقي وهو الإفصاح فتوصل إلى معان أخاذة من خلال تحليلات إعرابية، وربط المفاهيم البلاغية بقواعد اللغة ربطًا يدل على سعة أفق وكثرة اطلاع، وفوق هذا فقد اعتمد على كثير من الألفاظ والمقاييس والمفاهيم الحديثة شيء يؤكد اتصال اطلاعه ذاك وسعته، فلم يجمد أمام المعارف القديمة الموروثة ولكنه - كما يبدو في مواضع كثيرة من كتابه - كان مزودًا بالثقافة الحديثة من علمية وسياسته الاقتصادية... إلخ).

وبعد: أكرر الحمد لله والشكر أن تحققت أمنية والدي الشيخ في أن كتابًا من كتبه انضم إلى كتب الإسلام ليساهم - كما أراد - في خدمة دينه وقرآنه، وأسأله جل وعلا أن ينفعنا ويهدينا سواء السبيل، ويتغمد الشيخ المؤلف بواسع رحمته إنه الكريم الجواد.

بقلم

إبراهيم عبد الرحمن الدوسري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة للأستاذ

محمود جبر الزعبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،
وعلى آله وصحبه، ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ﴿١﴾
فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة
ممثلًا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وبعد:

فإن خير ما صرفت له الجهود، واشتغل به العلماء تعليمًا وتفسيرًا وتفهمًا
ودراسة واستنباطًا كتاب الله ﷻ الذي ﴿لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾. فهو كتاب هداية، ودستور أمة هي خير أمة
أخرجت للناس.

ولقد تكفل الله بحفظ هذا القرآن العظيم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ويسر درسه وفهمه كما صرح بذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وإن من وسائل حفظه، وتيسير درسه أن يُعنى العلماء قديمًا وحديثًا

بتفسيره، وإيضاح معانيه، وكشف أسرارهِ، وبيان أحكامهِ.
والقرآن كتاب مكنون لا تنقضي عجائبهِ، ولا تنتهي معارفهِ، ولا تبلى
جدته، ولا يخلق من كثرة الرد. كما أنه مائدة ربانية جمعت كل ألوان المعرفة
التي تتغذى عليها العقول، وتلذ بها القلوب عند إقبالها عليه.
ولئن كان للعلماء القدامى -رحمهم الله- اليد الطولى في تفسير كتاب الله،
فقد تناولوا جوانب معينة، وذلك حسب حاجات عصرهم ومتطلباته. فقد
فسروا آياته وبينوا أحكامه في وقت كان القرآن دستور الأمة، ومنهج منهج
الأمة، ولا ينازعه في ذلك شرعة أخرى.
كما فسروا القرآن على وجه أبرزوا فيه بلاغة القرآن، وفصاحته، وإعجازه
من هذا الجانب، في وقت كان فيه للكلمة قيمة، وللفصحى رجال يولونها
اهتمامهم وعنايتهم.

وكذا القول بالنسبة للتفاسير العلمية.
ولكن بعض العلماء المتأخرين عاشوا حياة أخرى، ورأوا صورة مغايرة
تمامًا، فرأوا انحسار الإسلام عن أرض الله، وغيابه عن حياة الأمة وكيانها
ومشاعرها، فلا يُتحاكم إليه في صغيرة ولا كبيرة؛ حتى غدا ذلك حقًا لشرائع
وضعية ودساتير أرضية.

ولقد أدرك هؤلاء العلماء خطورة الأمر وفداحة المصيبة، وأي مصيبة أعظم
من المصيبة في الدين؟ فعادوا إلى القرآن الكريم، معتصمين به، وهو حبل الله
المتين، وذلك ليربطوا حياة الناس به من جديد، وليعالجوا به واقعهم الفاسد،
وليبينوا للناس بُعدهم عن وحي الله ﷻ.

فأعادوا بذلك للمسلمين كثيرًا من التصورات الإسلامية التي فقدوها في

زحمة الجاهلية وبين ركامها، كما أنهم أزالوا الغبش الذي أصاب بعض المفاهيم الإسلامية عند كثير من المسلمين بسبب ركودهم وغياب الإسلام عن حياتهم. وكان من بين هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري رحمته الله حيث كتب تفسيره هذا الذي نقدم له، وقد أسماه (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم) وفضيلة الشيخ الدوسري رحمته الله غني عن التعريف؛ لنشاطه في حقل العلم والمعرفة، ومجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وتفسيره هذا جاء عصارة لعلمه الغزير، وسعة اطلاعه ومعرفته، حيث جمع ما كتب القدماء والمحدثون من العلماء، ثم صفاه وغربله من كل شائبة، وقدمه لنا علمًا صافيًا من كل غث وسقيم، مثله مثل النحلة تطوف على كل الثمار والأزهار لتقدمه شرابًا فيه شفاء للناس.

إذا عرفت هذا عن الشيخ الدوسري وأضفت إليه تجربته وخبرته الواسعة التي اكتسبها خلال دعوته إلى الله حيث كان متفرغًا لها علمت ميزة هذا التفسير ومكانته.

فقد امتاز تفسيره بأنه جاء خلاصة علم واسع وغزير، كما امتاز -أيضًا- شأنه شأن كاتبه، بالصراحة والوضوح في تقرير الواقع الإسلامي، وبيان فساد، وسبل علاجه.

والرد بقوة على مزاعم أعداء الإسلام، وكشف مخططاتهم، وإظهار عداوتهم للمسلمين، سواء كانوا يهودًا أو نصاري، أو أذنبًا لهم من أبناء المسلمين؛ فكان اسم التفسير مطابقًا لمسامه.

أما منهجه رحمته الله في تفسيره، فهو منهج السلف الصالح حيث كان هذا طابعًا عامًا، وخطًا عريضًا في حياته وكتاباته، متأثرًا بمدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن

القيم رحمهما الله .

لذا فقد عُني بأمر العقيدة كثيرًا، وربط بها العمل ربطًا مباشرًا، وركز على مفهوم الإيمان، وأن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان، وبهذا المفهوم راح ينظر لواقع المسلمين ويعالجه .

كما أنه كان يتحرى الدليل في كل ذلك ويحترمه، ويقف عنده ويعتد به، ولا يميز مخالفته أو الخروج عليه، مما جعله لا يوثق القصص والروايات التي لا أصل لها ولا سند، شأن بعض المفسرين .

هذا إلى جانب تفسيره للقرآن الكريم بما يناسب العصر، حيث عالج بالقرآن فساد الأمة كما أسلفنا، متأثرًا بمنهج سيد قطب في كتابه (ظلال القرآن) وبمنهج صاحب تفسير المنار . وإن كان للشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعض الملاحظات حول التفسيرين السابقين فإنه تجنب الوقوع فيها .

كلُّ هذا يعلي من قيمة هذا التفسير، ويجعله في مصاف التفاسير التي لا يستغني عنها طالب علم أو متعلم، حيث يشعر دارسه بالقرآن غصًا طريًا وكأنه يتنزل الآن .

ولقد وددنا كما كان يود رَحِمَهُ اللهُ أن يأتي هذا التفسير على سور القرآن وآياته كلها، لتكون الفائدة أعم، وليكون الكتاب مرجعًا مكتملاً لكل مسلم يعنى بكتاب الله سُبْحَانَ اللهِ .

ولكن الله - سبحانه - قد اختار الشيخ إلى جواره قبل أن يتم سفره هذا، فلله ما أخذ وما أبقى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولعلي بهذا العرض السابق قد أعطيت القارئ فكرة واضحة عن هذا السفر القيم . سائلًا الله تعالى أن ينفع به، ويأجر مؤلفه على ما بذل من جهد

وتضحيات، وما صرف من وقت في خدمة كتاب الله، وأن يكثر أمثاله من العلماء في مجتمعنا الإسلامي، الذين يقولون الحق ويهدون إلى سواء السبيل. ولعلي -أيضاً- أوضح فيما يأتي الجهد المبذول في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود.

ولا يفوتني قبل ذلك أن أبين أن الجهد جهد مُقل، وأن الكتاب يحتاج إلى عناية أكثر لو توفر لذلك الوقت.

١- لقد كنت حريصاً كل الحرص على أصل الكتاب شكلاً ومضموناً، لذا فقد حافظت على صياغته كما جاءت، ولم أتصرف في شيء إلا لضرورة ومصلحة.

٢- جمع الكتاب، حيث جاء مكتوباً في أوراق متفرقة، وبعضه منشوراً في مجلة (البعث الإسلامي) وهو قليل، فاعتمدت ما نشرته المجلة، وأضفته إلى ما جاء مكتوباً بخط الشيخ رحمته الله حتى صار التفسير كله مجموعاً.

٣- هناك أوراق قد فقدت من التفسير -وهي قليلة جداً- قد سبب فقدانها فقد تفسير جزء من آية، أو آية بكاملها، وأحياناً مجموعة من الآيات، فقامت بتفسيرها متبعاً منهج الشيخ في تفسيره وأسلوبه، ومستفيداً من المراجع المعتمدة عنده.

٤- مراجعة التفسير كاملاً بحيث يأخذ شكله اللازم لطباعته من وضع الفواصل بين الجمل، والنقط عند انتهاء معنى وابتداء معنى آخر.

وتصحيح بعض الأخطاء اللفظية التي كانت تَنُدُّ أحياناً، ومن ثم نسخ الصفحات غير الواضحة، وصياغة ما جاء في الأوراق البالية صياغة جديدة.

٥- تنقيحه من التكرار أحياناً، ومن بعض الاستطرادات، وهذا قليل جداً،

جرى في مواطن أغنى عنه مواطن أخرى كان ذكرها ألزم وألصق .
 ٦- أما فيما يخص تخريج أحاديثه، وترقيم الآيات، وردها إلى سورها من القرآن الكريم، فهذا أمر مع إيماني بضرورته وأهميته، فإن الوقت لم يسعف لتحقيقه، لا سيما إذا علمت رغبة القائمين على التفسير بالإسراع في إخراجه .
 وإني لأرجو الله أن يهيئ لهذا الأمر أسبابه .

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

نبذة عن حياة المؤلف

بقلم ولده إبراهيم عبد الرحمن الدوسري

مدير متوسطة الفتح بالنسيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
 وبعد :

ترددت كثيراً قبل أن أمسك القلم لأكتب نبذة عن حياة والدي وأستاذي الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا . .

ترددت لأني خشيت ألا أعطي الموضوع حقه، فزادني من المعرفة قليل، وقدرتي على الإحاطة بالتفسير والمعرفة متواضعة ورحم الله رجلاً عرف حده فوقف عنده، ولولا الوفاء للوالد الراحل والبر به حياً وميتاً لما كتبت كلمة واحدة . .

وبهذه المناسبة أذكر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: خرابها بموت علمائها، وفقهائها،
وأهل الخير فيها. وكذا قال مجاهد - أيضاً - : هو موت العلماء.
ورحم الله من قال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف

وأشهد أن جهدي وجهد أشقائي في مضمار الدعوة الإسلامية لا يعادل -
مهما عملنا - بعض ما كان يبذله الوالد رَحِمَهُ اللهُ، حيث كان يجوب البلاد، ويتنقل
بين الأحياء واعظاً ناصحاً، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر.

لقد حاضر في معظم مدارس وجامعات المملكة السعودية، وكان يخطب
الجمعة، ويشهد مواسم الحج، ويصوم رمضان في مكة المكرمة، وهناك في
بيت الله الحرام يجتمع الناس حوله فيتحدث إليهم ويحيب على أسئلتهم.

وكان رَحِمَهُ اللهُ لا يتقاضى أجراً على أنشطته ودروسه، ويرى بأن إعراض الناس
عن بعض أهل العلم جاء بعد أن صاروا موظفين وأجراء عند السلاطين.

وكان رَحِمَهُ اللهُ واسع العلم والمعرفة كأنما يغرف من بحر، ووهبه الله ذاكرة
عجيبة، فيكاد لا ينتهي من قراءة بحث أمامه حتى يحفظه عن ظهر قلب،
وعلومه لم تكن قاصرة على جانب من الجوانب، فهو مفسر، وفقه، ومحدث،
وعنده اطلاع واسع على المخططات التي يدبرها أعداء الإسلام، فتراه يحدثك
عن دعاة القومية والعلمانية وتاريخهم وأفكارهم، وعن ردوده عليهم شعراً
ونثراً، ثم ينتقل بك إلى الماسونية واليهودية وعن أوكارها في العالم الإسلامي

وأهدافها، ثم يحدثك عن الشيوعية والشيوعيين وكتبهم وأباطيلهم وفضائحهم، وعن الوجوديين (كجون بول سارتر) وغيره، وردوده عليه وعلى أمثاله.

وفي أحاديثه كلها رصانة وموضوعية، وقدرة عجيبة على ربط الأمور، والإحاطة بها، وكشف أسرارها.

وفي بيته كان نعم الأستاذ والموجه والوالد الناصح، ومن أعز أمانيه أن يسير أبناؤه على طريقته في الدعوة والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان في مشاعره وأحاسيسه يعيش آلام الأمة الإسلامية كلها. كنا نراه حزينًا على المذابح التي يتعرض لها المسلمون في الهند على يد الهندوس، وفي أفغانستان على يد الشيوعيين، وفي قبرص والفلبين على يد الصليبيين، وكان يمشي في قضاء حاجة الضعفاء والمساكين، وكان حريصًا على نشر وتشجيع الكتب والصحف الإسلامية، فأحيانًا يشتري عددًا غير قليل من الكتب الإسلامية ويوزعها على نفقته الخاصة، ويشارك سنويًا في عدد كبير من المجلات الإسلامية ويوزعها، ثم ينصح أهل الخير؛ ليساهموا في هذه الأعمال النافعة.

وكان في نصحه لا يخشى في الله لومة لائم، ولماذا يخشى وهو الذي لا يأخذ أجرًا على نصحه؟ وليس له مصلحة عند أولي الأمر، ولا يتطلع إلى وظيفة أو جاه، ولهذا عرفه الناس قويًا صريحًا لا يهتم بغضب الناس أو رضاهم، وإنما هم الوحيد أن يرضي رب الناس.

وصرف رَحِمَهُ اللهُ جزءًا مهمًا من وقته في سنه الأخيرة في كتابة تفسيره هذا الذي أسماه: (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم) وأذيع

معظمه على شكل حلقات في إذاعة المملكة العربية السعودية، فلقي إقبالاً ورواجاً بين أهل العلم والفضل، وشاء الله أن يفارق الوالد هذه الحياة دون أن ينتهي من التفسير، وإن كان قد قطع فيه مراحل طيبة والحمد لله. وركز رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره على قضايا العقيدة، وبشكل أخص قضايا العقيدة المعاصرة، فرد على شبهات أعداء الإسلام، ودحض أباطيلهم، وبدد أراجيفهم.

وبعد هذه المقدمة أقدم للقراء نبذة عن حياة الوالد كان قد كتبها جواباً على سؤال ورده من بعض دور العلم:

بِسْمِ اللَّهِ

استجابة لطلب فضيلتكم شيئاً من ترجمتي أفيدكم بهذه المعلومات:

- ١- هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسري من قبيلة الدواسر ومن أسرة هم أمراء بلد (السليل) المشهور.
- ٢- ولد في مدينة البحرين عام ١٣٣٢هـ، وسافر به والده إلى الكويت بعد شهر قليلة، ذلك أن جده عبد الله بن فهد آل نادر قد نزع من قومه وبلاده إلى قرية الشماسية من مقاطعة القصيم، وتزوج بها، وأنجب ما أنجب من الأولاد الذين ماتوا ولم يبق منهم سوى محمد، الذي بعدما تزوج انتقل بزوجه إلى الكويت، ثم سافر بها إلى البحرين لزيارة أبيها الذي هو الشيخ علي بن سليمان اليحبي، وهناك وضعت ابنها عبد الرحمن صاحب الترجمة الذي عاد به أبوه إلى الكويت، ونشأ بها، ودرس وتعلم ما شاء الله، وبقي فيها أكثر عمره يزاول التجارة؛ ليستغني بها عن ابتدال علمه بالوظائف، التي إما تخرسه عن الصراحة بالحق، أو تجعله يساير رغبات الدولة التي توظفه، فلهذا لجأ إلى

العمل الحر شحاً بدينه، وعرفاناً بقيمته، وارتفاعاً بكرامته عن ملابسات
الوظائف، وقد قال في قصيدته الميمية التي هي ردُّ على الشاعر القروي
النصراني في شأن الوظائف وفتنتها، وأنها من جملة المخططات الماسونية في
ميدان التربية والتعليم:

ولست أمد الطرف نحو مراتب وزينة امتناع مُدَسِّ لآدمي

فذي فتنة الماسون شر من الألى قد استرخصوا فيها لقيمة مسلم

وقيمته أعلى وأغلى مضاعفاً لأضعاف ما في الأرض من كل قيم

فساعٍ إلى نيل الوظيفة بائع رسالته والدين من غير مسوم

حشا أن يرى توظيفه كركيزة لدين وأهل الدين فليستقدم

٣- نشأ في بيئة صالحة محافظة وفي محلة من حارات الكويت تدعى محلة

(المراقب)، أكثر أهلها عماراً للمساجد، نقاداً للأخلاق، يحرص بعضهم بعضاً

على الخير والفضيلة، فلذلك يسيطر الحياء عليهم أجمعين.

٤- دراسته: لقد طلب العلم في المدرسة المباركية، وكان اسمها مطابقاً

لمعناها في السابق، لأنها مدرسة أهلية لا علاقة لها بالحكم والحكام، ولم ترتبط

بالمناهج التي خططتها الماسونية للتعليم، بل هي في أول نشأتها تفوق المعاهد

والكليات العلمية الدينية في البلاد السعودية، حيث كان الحفظ فيها إجبارياً

عن ظهر قلب، ولم يخرج منها إلا وهو حافظ للثلاثة الأصول مع بعض

شرحها، وحافظ للدررة المضية نظم السفاريني (٢٠٩) بيت في التوحيد،

وحافظ للرحبية والبرهانية في الفرائض، ومنظومة هدية الألباب في جواهر

الآداب للشيخ محمد الجسر، ومنظومة الآداب المشهورة لابن عبد القوي،

ولامية ابن الوردي، ولامية العجم، وقصائد كثيرة متنوعة، قد حفظها عن ظهر قلب، وحفظ من متون الفقه (دليل الطالب) ومجموعة من عبارات غيره، وحفظ القرآن الكريم، وكان لصعوبة تحصيله كل الكتب يحفظ ما يعجبه بمجرد العثور عليه مجلوباً في السوق يطلب من صاحبه السماح بتصفحه، وقد حفظ جملة من أحاديث (منتقى الأخبار) ومجموعات أخرى من غيره، ودرس السيرة النبوية، وطرفاً من التاريخ، وحفظ شيئاً كثيراً من (الكافية الشافية) نونية ابن القيم، ولو ظهر توضيح الشيخ عبد الرحمن السعدي لها لتقدم لحفظها كلها ولكن عدم فهمه لبعض معانيها جعله لا يحفل بحفظها.

ثم بعد خروجه من هذه المدرسة - المباركة في زمنها - درس الفقه والتوحيد على الشيخ المرحوم عبد الله بن خلف الدحيان، وعلى الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش رحمته الله، وفي أثناء سفراته للبحرين يحظى بمقابلة الشيخ العلامة قاسم بن مهزح ويتدارس معه البحوث المهمة.

٥- وقد تأثر بهذين الشيخين: عبد الله بن خلف، وقاسم بن مهزح - رحمهما الله تعالى - .

٦- وكان يجب الجمع بين الفقه والحديث، ولا يرى الفصل بينهما، فلا يجب الفقه ناشفاً خالياً من الدليل، ولا يجب تطرف الزاعمين أنهم من أهل الحديث في رفضهم للفقه، ومناصبتهم العداوة للفقهاء، أو التحقير من شأنهم ونحوه، مما فيه إهدار لكرامتهم ونكران لجميلهم.

٧- وقد عاصر آخر الأحداث والمنازعات التي أثارها الإنكليز بين الكويت والسعودية، ولاحظ ما جرته تلك الأحداث من البغض والتكفير لبعضهم البعض؛ مما جره إلى البحث والتمحيص، فكان من جراء ذلك مولعاً بكتب

البحث والمناظرة والردود مما صار له الأثر القوي في تكوينه العلمي والروحي .
 ٨- وقد صار له نشاط في نشر العلم والتوعية الروحية بإلقاء المواعظ والمحاضرات المتوالية في المساجد والمدارس والأسواق، ويعطي كل موقف حقه الملائم له بحيث لا يلقي في المدرسة شيئاً مما يلقيه في المسجد، بل يلاحظ المناسبة ويرعى الاختصاص، وكانت الأسئلة تنهال عليه فيجيب على بعضها شفهيًا في وقفته مهما طال، ويكتب باقي الأجوبة في الصحف عند ضيق الوقت عن الإجابة الشفهية، وله نشاط في تدعيم العلم الروحي وخدمة الدين بشراء مجموعات كبيرة من الكتب وتوزيعها على حسابه الخاص على مكتبات المدارس والجامعات وغيرها من المكتبات العامة الهامة، كل ذلك يحسبه لله .

٩- وله من المؤلفات عدد غير قليل وهي :

- ١- الأجوبة المفيدة .
- ٢- الجواهر البهية .
- ٣- الجواب المفيد .
- ٤- النفاق .
- ٥- التربية في الإسلام .
- ٦- الصوم .
- ٧- الحج .
- ٨- تفثات داعية .
- ٩- فلسطينيات .
- ١٠- اليهودية والماسونية .
- ١١- للحق والحقيقة .
- ١٢- يهود اليوم خلفًا سيئًا ليهود الأمس .
- ١٣- ردود ومقالات في المجلات والصحف .

١٠- يرى في مستقبل الجيل الإسلامي ضرورة مقابلة علماء المسلمين وولاتهم لمخططات أعدائهم بما يقابلها ويحبطها، فيقومون بإنشاء المدارس الدينية والروضات التربوية الروحية، وأن يصنع أولاد المسلمين على أعينهم لا على أعين أعدائهم وتلاميذ أعدائهم، وأن يعملوا على إصلاح الأجهزة الإعلامية بتركيز الركائز الطيبة فيها وتغيير برامجها جذريًا، بل يرى أن

من أوجب الواجب على علماء المسلمين أن يبتثوا الوعي الديني الصحيح في طبقات الأمة، ويلهبوا حماس شبابها وأثريائها؛ ليسخروا بتأسيس جميع ما يكفل عودة القيادة الفكرية إليهم، فإذا نجحوا في التربية الروحية وحازوا القيادة الفكرية التي انتزعها منهم أعداؤهم وهم سادرون، كانوا جديرين بالحياة الصحيحة، أما دون هذا فإن مجهودهم يشبه عمل من يعالج الجرح والرأس مقطوع - عيادًا بالله من مثل السوء ومن عاقبة السوء - فإن كل مخطط لا يحبطه إلا ما يوازيه أو يزيد عليه، والماسونية اليهودية وإن سبقتنا أشواطًا بعيدة في هذا المضمار فإنه بقوة الوعي، وحسن القصد، والصدق في العمل؛ سنغلبهم في وقت قصير كما قيل: (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) والمسألة تتطلب:

- ١- الوعي العام الصحيح.
 - ٢- العمل الجاد المتواصل.
 - ٣- اطراح الجبن والشح اللذين هما أصل البلاء ومجمع الشرور.
 - ٤- السخاء في سبيل الله.
 - ٥- البصيرة النافذة بتركيز الركائز الإسلامية الصالحة في كل ميدان، وإعطاء كل عمل حقه.
 - ٦- عدم ترك فراغ يشغله أعداؤنا.
 - ٧- مجابهة كل خطة بما يفسدها.
- وليكن جميع ذلك بصدق مع الله وإخلاص لدينه، بحيث لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا أي شيء من الأنانية، وهنالك يسدد الله الخطأ، ويسلك بذا سبيل النصر ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].

وهكذا سجل فقيدنا ﷺ أفكاره وتاريخ حياته وآماله وآلامه في هذه الأسطر القليلة التي كتبها عن تاريخ حياته. انظر إلى حديثه عن السبب الذي جعله يعمل في التجارة بدلاً من الوظائف، ومن ذلك قوله:

إنه يستغني بها عن ابتدال علمه بالوظائف التي تخرسه عن الصراحة بالحق، أو تجعله مسائراً لرغبات الدولة التي توظفه، فلماذا لجأ إلى العمل الحر شحاً بدينه، و عرفاناً بقيمته، وارتفاعاً بكرامته عن ملاسبات الوظائف.

وكان ﷺ في وصيته مثلاً لأهل الخير وقدوة جديرة بالاتباع، أوصى بثلاث ماله للجمعيات والمراكز الإسلامية القائمة بأمر الدعوة إلى الله، وفي نشر الكتب والمنشورات الإسلامية وفي إطعام المحتاجين من الفقراء والمساكين وسائر القربات، مع مراعاة الأهم فالأهم حسب الترتيب الذي ذكره، وننشر فيما يلي أصل الوصية عسى أن ينتفع أهل الخير بها.

وهنا نقدم لطلاب الشيخ ومحبيه وعموم المسلمين تفسيره الذي حرص عليه في حياته أشد الحرص، وأراد أن يكون مرجعاً في مختلف القضايا التي جددت في هذا العصر - كما أسلفنا - وكان يعد أصحابه به، وكلما عرضت عليه مسألة قال للسائل: تجد جوابها في الموضوع الفلاني من تفسيري: «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم».

ولقد رأيت بعد وفاته في منامي، وما سألني عن أمر من أمور الدنيا إلا عن التفسير وماذا فعلنا به، فأجبتنا بأننا حريصون عليه كحرصك، وسيظهر إلى الوجود قريباً إن شاء الله فاستبشر خيراً. ومع هذا التفسير ستظهر كتب أخرى للوالد في العقيدة والثقافة والفقه والشعر، وأرجو أن ينتفع المسلمون بها، وأن تكون زاداً للدعاة ومصدرًا في تصحيح الأخطاء وتقويم الاعوجاج.

وأخيراً: أشعر بأن خسارة الدعوة الإسلامية في وفاة الوالد رَحِمَهُ اللهُ كبيرة جداً..

وقد كان طلابه ومحبه أوفياء له يوم تركوا أعمالهم وهُرِعُوا إلى المسجد الكبير، فصلوا عليه وأبوا إلا أن يحملوا نعشه على أكفهم، وكان من عادة أهل الرياض أن يحمل الميت بسيارة، فما قبل الناس للوالد أن يحمل إلا على أكفهم، وكان موكباً لم تشهده المدينة من قبل.. وهكذا يقدر الناس الرجال الدعاة في حياتهم ومماتهم.

وبعد أن توقف القلب الذي كان ينبض بالعقيدة والدعوة وإعلاء كلمة الله، لا أملك أكثر من ترديد قول رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم. وكانت وفاته في ١٦/١١/١٣٩٩هـ.

اللهم فاشهد: هذا علم عبدك ووديعتنا عندك ننشره لينتفع الدعاة به. وهذه صدقته الجارية نوزعها كما أراد: على الكتب الإسلامية، وعلى الدعاة، والجماعات الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر.

اللهم وهذا ابنه وأخوه يسألانك بأسمائك الحسنى وصفاتك الرفيعة وبكل اسم إذا دعيت به أجبت أن تغفر لفقيدنا خطايا، وأن تتقبل صالح أعماله، وأن تشبهه على ما أنفق في سبيلك، وأن تمن عليه بالجنة مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. اللهم لا تفتنا بعده، واغفر لنا وله.

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين الذين يدعونك فتقبل دعاءهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الاستعاذة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أعوذ: أي: ألوذ وألتجئ وألتصق بجناب الله تعالى، والعوذ والتعوذ والاستعاذة بمعنى واحد، وذكر العلماء لذلك خمسة أركان، نلخصها فيما يلي:

أولاً: الاستعاذة: وهي الاحتراز من شر الوسوسة التي كأنها حروف خفية تدق على قلب الإنسان، أو كهمزات يقذف بها شياطين الجن على الخواطر تتأثر بها المشاعر والجوارح، وهمسات يقذف بها شياطين الإنس بأساليب شتى؛ لفتنة من يريدون فتنته.

ثانياً: المستعبد: وهو الذي عرف نفسه أنه عبد مربوب، فالتجأ إلى ربه وخالقه القادر القاهر الغالب أن يمنعه مما لا طاقة له بشره، ولا يقدر على التخلص منه إلا بمعونته وعصمته، إذ لا تتصور الاستعاذة بخلاف ذلك.

ثالثاً: المستعاذ به: وهو الركن الأعظم في الاستعاذة، وذلك ألا يستعاذ إلا بالله، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وكلماته التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، بل يستحيل أن يعرض لها مانع أو عائق، ومنها ما نصت عليه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فالاستعاذة بغير الله شرك.

رابعاً: المستعاذ منه: وهو الشيطان على اختلاف أجناسه وأنواعه من الجن والإنس - كما سنفصلها - لدفع شره الحسي والمعنوي، وتطهير القلب من أنواع فتنه، كي لا تتحرك الجوارح، أو تنطلق بما يخالف أمر الله من كل شيء، إذ به الاستعاذة عَلَيْكَ على تحقيق عبوديته، والتشرف بتنفيذ حكمه وشرعه، والاستعاذة من شر ما يعوقه ويغويه، كما أرشد إلى ذلك في فاتحة

كتابه وفي خاتمة سورة (الناس) بأكمل أنواع الضراعة وأعظمها.

خامسًا: المطالب التي من أجلها يستعاذ، وهي نوعان:

أحدهما: طلب دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانية مما يحصل به السلامة من جميع أنواع الفتنة: المادية أو الروحية، فتنة الشبهات أو الشهوات، وكلها أمور غير متناهية ولا مأمون عليها، فيجب على الإنسان أن يكون مجاهدًا نفسه عنها لله وفي الله - دائمًا وأبدًا - فيما يقدر عليه، ويستعيد به مما لا يقدر عليه؛ ليحصل منه على العصمة، ويحصل له العون والمدد الروحي الذي يحصنه ويقوي معنويته، وينور بصيرته، بسبب ما تلبس به من التقوى، فلا يضره عدوه في دينه أو بدنه أو ماله، ولا يصدّه عن فعل ما يلزمه من حق ربه.

وثانيها: طلب العون من ربه على أداء ما أوجب عليه في هذه الحياة من أن يكون هاديًا مهديًا، محافظًا لحدود الله، معظمًا لشعائره، حاملًا لرسالته، ساعيًا في إصلاح ما أفسده المبطلون في أرضه على ضوء الوحي الذي ورثه من نبيه ﷺ الذي هو مسئول عنه ومعاقب على التفريط فيه بشتى العقوبات العاجلة والآجلة، فهذا بعض مدلول الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

شياطين الجن والإنس:

وليعلم أن (الشيطان) ليس متصورًا معناه على إبليس وذريته، بل هو اسم جنس لكل متمرّد عارم عاتٍ من الجن والإنس والدواب، ولكل من تعاون مع إبليس وكان من جنوده في الإغواء وتحييد المنكر والفحشاء، والصد عن سبيل الله، والدعوة إلى طريق الباطل بأي أسلوب، وتحت أي شعار أو مذهب، فالشيطان في لغة العرب مشتق من (شطن) أي: بعد نبطعه وسلوكه أو

مذهبه، فمن ابتعد بشيء من ذلك عن سائر بني جنسه فهو شيطان، لا سيما إذا كان فيه شيء من الطغيان أو الاستعلاء والاستكبار، ومن هذا النوع إبليس، ومن اقتفى أثره وورث طباعه من الجن والإنس، ومن ابتعد عن الخير المألوف بفسقه أو فجوره وكان ساعياً أو مرغباً بضده فهو شيطان مهما كان جنسه وصفته، قال (سيبويه): العرب تقول: تشيطن فلان: إذا فعل فعل الشياطين، ولهذا يسمى شيطاناً كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان، وقد نزل عمر عن البرذون، الذي أركبوه إياه قائلاً: (ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي)^(١). قال الله - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وكل من حاول فتنة أمة محمد ﷺ وأمم الأنبياء قبله عما شرع الله لها على ألسنتهم فهو شيطان؛ لمفارقة أخلاقه أخلاقهم وابتعاد مذهبه وذوقه عن مذهبهم، فهو من أعداء الأنبياء إلى يوم القيامة، يقول العربي: شطنت داري

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي التفسير (١٧/١) طبعة دار الفكر: وقال ابن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ ركب برذوناً فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا فنزل عنه... إلى آخره.

وقال ابن كثير: إسناده صحيح. اهـ.

قلت: وفي تصحيحه بهذا الإسناد نظر، وذلك أن هشام بن سعد مشهور ضعفه، قال أحمد: لم يكن بالحافظ، وكان يحيى القطان لا يحدث عنه، وقال ابن معين: ليس بذاك القوي، وقال النسائي: ضعيف، أما أبو داود فقال: هو أثبت الناس في زيد بن أسلم.

انظر ميزان الاعتدال (٧/٨٠) اهـ. [عادل سعد].

عن دارك، إذا بعدت .

قال النابغة الذبياني :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين

وقال أمية :

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يُلقى في السجن والأغلال

من شطن يشطن فهو شاطن، إذ لو كان من (شاط - يشيط) لقال : أيما

شائط . وقال غيره :

أقبل عذر الصب أم أنت عاذله لذكر حبيب عنه شطت منازل

فكل شاطن عاصٍ مبتعد عن وحي الله، ساعٍ لإبعاد الناس عن شرعه

وحكمه، عامل على إغوائهم وإغرائهم، أو متسلط بقهرهم على سلوك الباطل

فهو شيطان، وأشد منه شيطنة من يرهق الناس بالقتل والتعذيب؛ ليتبعوه على

مذهبه ويتحدوا معه في هدفه، كطغاة الشيوعية ورؤساء الإلحاد الذين تقبلوا

مذاهب اليهود، وأبرزهم الاستعمار بين شعوبهم بأنواع حيله ومكره وشعاراته

الدجلية، التي يغزو بها القلوب ويفسد العقيدة الإبراهيمية . فإنه يزيد على

إبليس في الشيطنة؛ لأن إبليس قال : ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿ [ص : ٨٢ ، ٨٣] وقال : ﴿لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء :

٦٢] .

وهذا الشيطان المتسلط من الإنس على بني جنسه لم يقتصر على الإغواء

كإبليس، ولكنه تسلط بجميع أنواع الفتنة والإرهاق؛ يريد إغواء الجميع

وإضلالهم واحتناكهم، كاحتناك الجراد للزرع، واحتناك اللجام للفرس،

حيث لا يدع أحدًا ينطق إلا ما يوافقه ولا يسعى إلا بما يهواه، فهو من جهة فيه يزيد على إبليس بتزيين الشر والإغراء على السوء والفحشاء والمنكر، وتحبيب ذلك بالأساليب الموافقة لكل عصر، والداخلة في ذهن كل واحد بحسبه، وهو من جهة أخرى أشد نكاية من إبليس الذي لا يقدر إلا على الوسوسة والتمثل بغيره من أعوانه، فهذا من جنده المنفذين لخطته، المنطلقين في خدمته ومرضاته، وبالطبع ليس للسلطان قيمة بلا جنود، فهذا الذي نصب نفسه من حيث يشعر أو لا يشعر جنديًا لإبليس يزيد شره عليه؛ لما يعمل من التسلط وتجنيد القوى المادية والأدبية والمعنوية مما يعظم به ضرره ويشتد خطبه - والعياذ بالله - فما أجمع حكم الله للخير!! وأبلغ كلامه في الإرشاد والابتعاد عن الشر!! إذ قال: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] ولم يقل: استعد من إبليس؛ لكثرة أجناس الشياطين وأنواعهم، الذين يصدون عن سبيل الله، ويلبسون الحق بالباطل، ويجرفون الكلم عن مواضعه، وينفثون في صدور الناس خلاف الحق، ويشغلونهم عن قراءة القرآن، ويلغون فيه، ويصرفونهم عنه بتسخير جميع الوسائل الملهية التي يضيعون فيها أوقاتهم ويحملونهم أن يتخذوا دينهم لهواً ولعباً، وقد ورثوا ذلك من أئمة الكفر كابرًا عن كابر، إذ حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وما أكثر أعداء الرسل من شياطين الإنس الذين ظهروا في كل عصر وبلد وفي كل فترة!! وهم أشد ضررًا من شياطين الجن كالفراعنة، ومن على شاكلتهم من فلاسفة الإغريق والرومان، وملاحدة اليهود المتنوعين ممن ظهر قبل البعثة المحمدية وبعدها ممن على عهدهِ ﷺ كأئمة الكفر من قريش ويهود

وغيرهم، كرأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، ومن على نهجه من المرجفين في المدينة، ومن خرج بعد موت النبي ﷺ يدس ضد الإسلام الدسائس ويحيك المؤامرات، كعبد الله بن سبأ وميمون بن القداح وأعوانهما ومن على شاكلتهما من الطواغيت، الذين ينشرون المبادئ الهدامة والنظريات المضللة والفرقة لصفوف الأمة تحت شعار مذهب أو حب أسرة أو دعوى خلافة أو مهدوية، سواء كانوا من علماء السوء أو رؤساء الفتنة والضلال، وهم يستغلون الدين تارة، والمادية تارة، وعصبية الجنس تارة، وتقديس الوطن تارة، ودعوى الحضارة والتطوير تارة، والفلسفة وعلوم النفس تارة، حسب ما يلائم الأوضاع والبيئات، ويلبسون الحق بالباطل بأروع فنون الجدل؛ لترويج مذاهبهم وتنفيذ مقاصدهم بشتى الوسائل والأساليب، ويسلكون لكل طبقة مسلكًا، ويلبسون للناس الأثواب المتنوعة من الدجل والتشفي، أو من العبادة والتصوف، أو دعوى محاربة الأعداء وتحرير الأوطان، أو دعوى الباطنية أو محبة الأسرة الفلانية أو النحلة الفلانية، أو نشر الطريقة التيجانية أو الرفاعية، أو الحلولية، أو الاتحادية، أو النقشبندية، أو البابية والبهائية، أو الاسماعيلية، أو القاديانية، أو غيرها. كأنواع القبورية، أو المذاهب العصرية التي نبشها ملاحدة اليهود والنصارى من قومية وبعثية وشيوعية واشتراكية ونحوها من روااسب المزدكية والماركسية، أو دعوى رفع الظلم والاستغلال إفكًا وزورًا ونحوها، مما أظهروا من كل ما هو مخالف ملة إبراهيم وشريعة سيد المرسلين - عليهما الصلاة والسلام - على أيدي من وصفهم المصطفى ﷺ بأنهم: يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم

أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب^(١).

فهذه النحل كلها - ما خرج منها وما سيخرج - من وحي شياطين الجن والإنس، وهي مهما اتسمت بسمة الدين أو المادة أو المصيبة الجنسية أو الوطنية، أو تسترت باسم الطب والفلسفة وما إلى ذلك، فكلها منشؤها السياسة الفاجرة الماكرة بالدين وأهله؛ ليجعلوهم شيعاً وأحزاباً متناحرة، ولو جهل بعض حملتها من أعوان الشياطين ذلك، فإن المؤسسين لها في الأصل هذا قصدهم ولهم غايات من وراء ذلك حملتهم عليها حاجات في صدورهم، فاندفعوا إلى ما يريدون بكل حماس واتباعهم كل موتور، ومن يرى أنه مكبوت، أو قلبه ملتهب بالحقد على منافسيه، أو من هم أعلى منه، وساعدهم المرتزقة والفوضوية الذين هم أتباع كل ناعق، فهكذا كثرت سبل الشياطين واتبعت، وقل سالكو الصراط المستقيم بسبب فتنة أولئك. ولم يكتف الله بأمره عباده بالاستعاذة من جنس الشيطان، بل أخبرهم بطرق الشياطين ومصائدهم وخطواتهم، مبتدئاً في إخبارهم بقصة إغواء كبيرهم وأستاذهم إبليس للأبوين آدم وحواء، كيف دلاهما بغرور، وقال: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٦٠٤) رقم (٢٤٠٤) من طريق ابن المبارك عن يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « يخرج في آخر الزمان رجال... » الحديث.

وفي إسناده يحيى بن عبيد الله بن موهب وهو ضعيف، ضعفه ابن عيينة، وقال الجوزجاني: أبوه لا يعرف وأحاديثه من أحاديث أهل الصدق. وقال أحمد: أحاديثه مناكير. انظر الميزان للذهبي (٧ / ٢٠١) وقال الحافظ ابن حجر: متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع، من السادسة. اهـ التقريب (٧٥٩٩).

النَّصِيحِينَ ﴿ [الأعراف: ٢٠، ٢١].

فورثة إبليس سلكوا طريقته في تغرير بني آدم، وإغوائهم على الشر، وتحبيب الرذيلة، وهجر الفضيلة باسم التقدم والحرية والمدنية والحضارة، وتحبيب خيانة الله وأطراح دينه ونبذ كتابه بدعوى التحرير والتطوير ومسايرة الركب والزحف المقدس والوعي وعدم الجمود والتخلف، والتمسك بأسباب الرقي والخلود، وما إلى ذلك من الألفاظ الرنانة والمظاهر الخلابة، التي ما هي في الحقيقة إلا استدراك على الله - تعالى - واستهانة بعزه وجحود بعلمه وحكمته، بل زادت فتنهم ووسوستهم على قائدهم ورائدهم إبليس، بأن زعموا أن من لم يسلك خطتهم متخلف رجعي يريد إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، أو عميل أو مستغل، ونحو ذلك مما هم به ألق، والذي مسخ شخصيته بالانقياد لهم يصفونه بالوطني المتحرر، والخائن لعهود الله الفطرية والخلقية والشرعية، النافض يديه من بيعته، يصفونه بالحر الأبى الشامخ الرأس، وهكذا دواليك، ويغرون الناس بدعوى الإصلاح، وتأمين الخبز، وضمان العمل، وتحرير المرأة، والتكافل الاجتماعي، ونحو ذلك مما لا يتحقق على الوجه الصحيح المعقول المقبول إلا باتباع الإسلام وتحكيم الشريعة.

وكذلك أخبر الله عباده عن الشياطين أن طبيعتهم الاستكبار والفخر وطلب العلو في الأرض، ورفض كل ما لا يصدر على أيديهم وإن كان صحيحًا نافعًا، فالشيطان والطاغية يعادي الحق إذا صدر على غير يديه، وإن من طريقته الأمر بالسوء على اختلاف أنواعه، وتحبيب القمار والفحشاء بكل وسيلة، والحض على المنكر بجميع أنواعه، والقول على الله بغير علم والإشراك به، كما فصل ذلك في سورة البقرة والأعراف والنور وغيرها،

وليس الإشراك بالله مقصورًا على عبادة صنم .
 وها نحن نرى شياطين الإنس والجن في هذا الزمان يسمون الفساد
 إصلاحًا!!، والمؤامرات والفتن ونقض العهود تحررًا!!، وخيانة الله بنبذ ملة
 إبراهيم وطنية!!، وارتكاب الفواحش مدنية!!، والدياثة والقوادة حضارة
 وتطورًا!!، وأطراح الدين ونبذ القرآن رقيًا ومسايرة للزمن!!، وهكذا مما
 تلوكه شياطين الإنس بألسنتها في الأندية والإذاعات، وتسطره في الكتب
 العصرية، والنشرات الدورية، والصحف التي تفاقم شرها، فما أحرى المؤمن
 بكثرة الاستعاذة بالله من جنس الشيطان الرجيم، القاعد لعباد الله بالمرصاد
 القائل: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْتِنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
 أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]. فلقد تفاقم
 شر جنس الشيطان وكثرت جنوده وأولياؤه، وعمت فتنتهم وأضرارهم في
 هذا الزمان، بحيث تفنت شياطين الإنس بأنواع الصد عن سبيل الله في جميع
 وسائل الفتنة، والقعود للناس بكل صراط ومرصد، وسيطرتهم على أغلب
 المرافق ليخرجوهم إليهم، ويوعدوهم بالشر، ويلعبوا بعواطفهم، ويتاجروا
 بعقولهم بالدجل السياسي، والتمويه الفكري، وبلبلة الخواطر، وقلب
 الحقائق، وتنويع الباطل، وتوزيعه بشتى الزخارف والألوان.

وقد قرر العلماء أن: الساكت عن الحق شيطان أخرس والناطق بالباطل
 والساعي فيه شيطان ناطق، فالمثبط والمعوق للناس عن الأمر بالمعروف وإنكار
 المنكر هو شيطان بأي دعوى ادعى وبأي ثوب ظهر، وكذلك من يجب إليهم
 الرذيلة ويمدحها بالأسماء المصطلحة الحديثة، أو يعمل على إزالة الحياء من
 المجتمع بأي وسيلة هو شيطان، سواء ظهر في ميدان التعليم أو الإذاعة أو

الصحافة والنشر، فالصحافي الذي ينشر ما يخالف الملة الإبراهيمية والشريعة المحمدية^(١) هو شيطان حتى ولو نشر قول من يرد عليه بحجة الحرية؛ لفتح الجدال في آيات الله، قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]. وكذا من ينشر ما يفسد الأخلاق ويذهب بالمروءة والحياء، فإن كان داعية محبداً لما ينشره قائماً بتقريره وتركيزه فهو مع شيطنته يعتبر طاغوتاً؛ لإحلاله الغي محل الرشد، والفساد محل الصلاح.

كما أن من أعظمهم شيطنة وخبثاً على الإطلاق من يعمل على إزاحة الناس عن ملة إبراهيم وشريعة محمد - عليهما الصلاة والسلام -، إذ هو مبدل لكلمات الله محرف لها، وكذا من يغري الناس بقوله أو فعله على تقليد أعداء الله ورسله في أزيائهم وأخلاقهم وأعيادهم ومراسيمهم مطرحاً سنة المصطفى وأصحابه وأتباعهم؛ لأنه يقول بلسان حاله أو صريح مقاله أو سوء خصائله لمن قلدهم من الكفرة: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] فجميع ما ذكرناه من أنواع الشياطين، سواء كان من أهل الحكم أو الموظفين أو الصحفيين أو أساتذة التعليم والتوجيه أو أهل المكتبات لابتعادهم عما فطر الله الخلق عليه من ملة إبراهيم، وعمله على إبعاد الناس عن شريعة ربهم، فما أكثر الشياطين الذين يعملون في أغلب هذه الميادين، أعاذنا الله منهم.

(والرجيم) على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل) أي: يرمم الناس بالشر من

(١) يستخدم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذا التعبير كثيراً، وأفضل منه أن يقال: الشريعة الإسلامية، لأن المستشرقين وأذئابهم يستخدمون هذا التعبير بسوء نية، لينسبوا الدين الإسلامي إلى النبي محمد ﷺ وأنه من اختراعه، وليس ديناً إلهياً جاء من عند الله ﷻ.

حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون في الغالب، فهو رجيم يزين لهم الشر ويغريهم على ما يقعون بسببه في طرق الرجم والهلاك الحسي والمعنوي، فوساوسه وهمزاته التي يندفع الناس إليها بتدليس أعوانه في كل زمان ومكان، ظاهرها الرحمة وباطنها وعاقبتها العذاب.

والرجم والبؤس المطبق كما يشاهده الناس من آثار المؤامرات والانقلابات والدسائس والهمز واللمز والتهارط بقبيح القول، وقيل (رجيم) بمعنى (مفعول) فهو مرجوم بجميع أنواع الرجم قولاً وفعلاً، مرجوم بالشهب عند استراق السمع، وذلك شيطان الجن، أما شيطان الإنسان فهو مرجوم بالكلام عند استماعه ما يكره الناس، أو تسجيله المساوي، ومرجوم بالعذاب وشدة النقمة منهم، وسوء مغبة الفتنة، وكثرة الشقاق، فهو رجيم من كلا المعنيين على الاشتقاقين، والجميع منهم مرجوم بالرد عن القبول والطرده عن رحمة الله، فقوله ومذهبه مردود وإن اغتر به بعض من تقبله بادئ الأمر، وهو مرجوم بالسوء من القول في كل المجتمعات الصالحة، وإن خفي أمره في بادئ ظهوره كانت عاقبته الرجم واللعنة، فحاصل الرجم (الرمي) سواء بالقول أو الفعل.

ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] فالشيطان بجميع أنواعه مهما ظهر ويظهر إلى يوم القيامة يكون مصيره الرجم المعنوي والطرده من رحمة الله بجميع معانيها ومبانيها، فهو طريد عن الخير، ولذا تجد شيطان الإنس، مرهقاً متعباً يلهث كما يلهث الكلب؛ لنشر دعايته، وينفق الأموال الطائلة؛ للصد عن سبيل الله؛ فتكون عليه حسرة لانقلابها في غير صالحه؛ وانعكاس أعماله ومقاصده ضده، ولو فتح الله عليه بادئ الأمر شيئاً استدراجاً له ومكرًا به، وعقوبة للمفتونين الذين افتنت قلوبهم به فعاقبته

السوء وعاقبتهم الدوران معه في حلقة مفرغة، يضيعون بها جهودهم وأوقاتهم بلا طائل، فما يطمع فيه من وحدة أعوانه ينقلب زيادة في الفرقة والشقاق، وما يطمع فيه من زيادة كسب الأصدقاء ينقلب عداوة ضارية، وما يطمع فيه من السعادة والرفاهية له ولأتباعه ينقلب بؤساً وشقاوة، وما يطمع فيه من بسط النفوذ والسيطرة ينقلب إلى سوء الهلكة والإتباع باللعنة في التاريخ، كما جرى لكل شيطان من عهد ابن سبأ وأضرابه إلى (هتلر وموسيليني) ومن على شاكتهما ممن ظهر أو أبرزه الاستعمار في كل أمة إلى يوم القيامة من أبيض وأسود وأحمر وأصفر.

وكل شيطان من الثقلين فهو مطرود من رحمة الله عن نيل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، ففكر في ذلك تجده واضحاً ملموساً من حال كل شيطان، وإن راج مذهبه على كثير من الأعمار الذين لا حظَّ لهم من الاطمئنان لما نزل من الحق، أو حصل له جولة في بادئ أمره أو تسلط على قومه بقوة بطشه أو حنكة مكره فإنه سينقلب إلى العكس، وينكشف أمره حتى يكون مرجوماً بكافة أنواع الرجم كالكذابين الماكرين الذين طلوعوا على الناس بين الحين والحين في أصقاع الأرض، فكن أيها المسلم على يقظة وحذر بما يقذف به إليك سرّاً وجهراً، ظاهراً وباطناً، واجعل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما الميزان الذي تزن به كل شيء.

وإذا أعجبك كلام أحد أو تبججه بدعوى الإصلاح والتحرير والكفاح، أو أدهشك ما حصل عليه من نجاح أو ظهر على يديه من خوارق، فلا تجعل له في قلبك مجالاً حتى تنظر في سيرته وأعماله، وتقارن ما يقول بما يفعل، فإن كانت أعماله على وفق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ورأيتة حاملاً رسالة الله آخذاً

بكتابه، عاملاً لنصرة دينه وقمع المفترى عليه، مدافعاً عن قضايا المسلمين في كل قطر، فذلك من حزب الله، يجب عليك موالاته، ولو حصل منه بعض الذنوب التي لا يستحلها ولا يحض عليها؛ لأن العصمة ليست مشروطة بل مستحيلة، وإن رأيت أن أحواله وأعماله كحال المنافقين التي كشفها الله في القرآن، وأن ما يدعيه مجرد مزاعم يتاجر فيها بعقول الناس ويلعب بعواطفهم، وأن أعماله ومبادئه مستمدة من مذاهب ومبادئ ملاحدة اليهود والنصارى في الشرق والغرب، فذلك شيطان من جند إبليس وأئمة الكفر ودعاة الضلال، مهما كبرت مكانته أو كثرت كتبه ومقالاته أو انتشرت جولاته وكثر أتباعه والمجندون لمبادئه، فإن الله يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقد جرى للمختار بن عبيد الثقفي الكذاب ما جرى وراج أمره بحجة الأخذ بالثأر حتى كشفه الله وأهلكه وأخزاه، وجرى من أبي مسلم الخراساني ما أنجح خطته ثم أهلكه الله على يد الذين سعى من أجلهم، وجرى من فتنة العبيدين الباطنيين والقرامطة في مصر والشام والأحساء والحجاز ما جرى، حتى ادعى بعضهم الألوهية وقتل الحجاج وصعد الكعبة صارخاً بأنه الله الذي يحيي ويميت، فسلط الله الأكلة في جسده، حتى هلك شر هلكة، وجرى من النصيرية وطغاة المبتدعة الذين صاغتهم سياسة اليهود الماكرة فظائع عظيمة، كشف الله غمته وأراح أهل دينه منهم، ثم تنوعت أساليب سياستهم في القرون الأخيرة بأنواع الغزو الثقافي الفكري، فنبشوا النعرات القومية في أنحاء (أوروبا) وركزوا جهودهم في (تركيا) لنبش القومية الطورانية، التي بسببها تنكر حكامها الجدد للإسلام والمسلمين عامة والعرب خاصة؛ مما سهل

لليهود وأذناهم من النصارى وتلاميذهم بث النعرة العصبية في العرب ونشرها في وقت سريع، فأحدثوا تحت شعاراتها كثيرًا مما يهدم ملة إبراهيم، ويناقض الشريعة المحمدية، ويمزق القرآن تمزيقًا معنويًا، فحصل من جراء ذلك في (تركيا) - وغيرها من بلاد المسلمين - شر كبير وفتنة تتغلغل إلى أكثر الأدمغة، بسبب ما جرى بعد عام ١٩١٤م من مؤامرات الصهاينة على أيدي الدول الظافرة، وإبرازهم ما شاءوا من تلاميذهم وأفراخهم.

نقصر من ذلك على ذكر الطاغية (كمال أتاتورك) الذي تحمل المستعمرون في إبرازه لتضليل الأمة شائعة الذل والهزيمة المفتعلة، عسى أن ينتبه القراء للقياس الصحيح الذي يميزون به بين الحق والباطل، ويدركوا مدى مكر، المستعمرين وتهويلهم لإبراز من أرادوه صنيعه لهم من أبناء المسلمين؛ ليفعل بهم الأفاعيل، التي لم يفعلها الاستعمار في أي مكان، وليعرفوا كيف أن الدول الشيطانية تصبر على شتم صنيعتها، بل توعد له بذلك، وقد يظهرون عداوته وعمل مؤامرة صورية ضده؛ ليغرسوا حبه في قلوب شعبه، حتى يتسنى له تنفيذ خطط الكفر في مجتمعه، وما أكثر أحابيل اليهود والمستعمرين التي لم تقتصر على شعب أو أمة أو قارة من القارات، فإنهم يجمعون بين المتناقضات، فينبشون مذهب (مزدك) اليهودي الشيعي القديم في (روسيا) على يد خلفه اليهودي (كارل ماركس)، ويغرزون المذاهب الرأسمالية في الأمم الأخرى، كما يعبثون في الناس من جهة الاقتصاد، ومن جهة العقائد والأخلاق، بحيث لا يقتصر على جبهة دون جبهة، بل يركز مذهب (داروين) ونحوه ومذهب (فرويد) ونحوه من اليهود ذوي الخطط الماسونية، التي نرى أن أشراك مؤامراتها وأحابيلها أشد تأثيرًا واصطيادًا من (الأخطبوط) في

الأخلاق والعقائد، وسائر ميادين الحياة الاقتصادية والروحية والثقافية والاجتماعية، حتى حصل لهم من هذه النعرات والمذاهب الخطيرة إقامة دولة تخدم قضاياهم.

والله ضبط صفات المنافقين وجنود إبليس من شياطين الإنس بما هو مطرد ومخالف لوحيه وتنزيله، حتى أخبر أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، فعليك أيها المسلم بمعاداة من هذه صفاته وإن قال ما قال، وادعى ما ادعى، فإنه من شياطين الإنس الذين هم أضر من إبليس أبي الجن وذريته.

وإذا كان الله أمرنا بالاستعاذة من جنس الشيطان من همزه ونفته ونفخه ورفض خطواته عموماً فأمره يدل بطريق أولى على معاداته ومنابدته في كل شيء.

فواجب المسلم أن يتعوذ بالله متبرئاً من الشيطان من (همزه) الذي يكون بالوسوسة والإغراء على الشر بجميع الوسائل، ومن (نفخه) الذي يكون بغرس الكبر بأن يقذف في روع الإنسان أنه من نوع كذا أو أنه من عنصر سام، فيلهب صدره بالقومية الفلانية والنعرة الفلانية، أو يطغيه بمركزه، فيجعله بهذا أو ذاك معرضاً عن الحق، ساعياً بالباطل كما وصف الله بعضهم بقوله: ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] ومن (نفته) بالشعر والكلمات الرنانة المغرية على السير بالباطل والتمادي فيه معتقداً صوابه ونجاح طريقته، فإن أكثر ما تروج به مذاهب شياطين الإنس ومبادئهم، إما بالحديث المفترى أو بالشعر المفتعل؛ لأن في الإفك قوة خبرية وفي الشعر قوة عملية، إذ الإفك من سائر الأكاذيب فيه إضلال في العلم، بحيث يوجب اعتقاد الشيء على خلاف حقيقته، كما ابتلي الناس به في كل

زمان، لا سيما زماننا الذي كثرت فيه وسائل انتشاره بسرعة فائقة. والشعر يفيد إشعار النفس بما يحركها وإن لم يكن صدقاً، بل غالبه المغالاة والكذب؛ فيورث محبةً أو نفرةً أو رغبةً أو رهبةً لما فيه من التخيل، ولذا كان الشعراء يتبعهم الغاوون؛ لأن الغي اتباع الشهوات، إذ الشعر يحرك النفس حركة الشهوة أو النفرة في الفرح أو الحزن بالشيء، وذلك هو الغي. قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٤].

ولقد تفاقم شرهم في هذا الزمان حيث إن شياطين الإنس أراحوا الأبالسة وأراحوا طواغيت الاستعمار، بما عملوه من فتنتهم التي هي ﴿أَشَدُّ مِّنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]؛ لأنهم احتسوا من قبح الاستعمار ودمه وصدیده، فأخذوا يمجونه على القلوب الطاهرة التي جاءت فتنتهم الخبيثة، على فراغ أحدثه المفرطون في جنب الله بعدم إشغالها بحمل رسالته وعمارته بحبه، وإشغالها بنار الغيرة لدينه وحرماته، كما أن شياطين الإنس -أيضاً- تجرءوا على ما لم يجرؤ كل مستعمر عليه قولاً وتنفيذاً وفتنةً، وشياطين الجن مهدوا السبيل لهم بإحراق ما قدروا على إحراقه مما في الإنسان من مواهب الخير أو طمسها أو تصدئتها، حسب ما قدروا عليه منه، بحيث يكون قلبه غلفاً بذلك مما تقذف به شياطين الإنس وتحشوه من الباطل.

فأكثر أيها المسلم من الاستعاذة متبعاً لها بالحذر واليقظة، والعمل الدائم لإعلاء كلمة الله وحفظ حدوده وقمع المفترى عليه، وأشغل نفسك في جميع أوقاتك بطاعته، كيلا تجعل للشيطان مجالاً أو فراغاً ينفذ منه، فلا يحصل له عليك

سلطان؛ لأن المعرض عن ذكر الله ذكرًا حقيقيًا، والمفرط في دينه تستولي عليه الشياطين من كل ناحية، كما سنفسره في موضعه - إن شاء الله -.

وعليك بالصدق قولاً وعملاً، فإن من استعاذ بالله صادقاً أعاده وأجاره، كما أعاد مريم وذريتها لما صدقت أمها امرأة عمران باستعاذتها. والشيطان عدو للمسلمين بجميع أنواعه من إبليس وذريته، إلى كافة جنوده من شياطين الإنس، فعلى المسلم مجاهدتهم وعصيائهم في كل أمر من إلحاد أو تشكيك أو إغراء على المعاصي وتحبيب للفواحش والقمار والإسراف، أو تثييط عن الطاعة وحمل الرسالة والأمر بالمعروف، وسائر ما يقطع المسلم عن الله.

ولا تكثر بما يصيبك؛ فقد أخبرنا مولانا أنه يتلى عباده ويزلزلهم بأنواع الفتن؛ ليختبرهم ويمحص قلوبهم كما في الآية (٢١٤) من سورة البقرة والآية (١٥٤) من سورة آل عمران، وقال في سورة محمد: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. وروى الترمذي مرفوعاً: «إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»^(١). وتكلمت على الحكمة من هذا في كتاب سميت «الحق والحقيقة من كلام خير الخليقة» بما لعله لم يسبق له مثل في موضوعه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) وغيرهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحديث ذكره ابن عدي في الكامل (٣/٣٥٦) في ترجمة سعد بن سنان وذكر الاختلاف في اسمه فبعضهم يقول: سنان ابن سعد، وقال الإمام أحمد: لم أكتب أحاديث سنان لأنهم اضطربوا بها، وقال: يشبه حديثه حديث الحسن ولا يشبه حديث أنس. والحديث أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١/١٩٧) من قول الحسن البصري. اهـ. [عادل سعد].

وقد أخبر النبي ﷺ أمته بغالب ما يجري عليهم من الفتن إجمالاً، وما يعرض لهم فيها من الشبهات التي تجعل أحدهم يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، وأخبرهم بالدجاجلة الكذابين والمسيح الأعور الدجال، أمراً بالابتعاد منه، مخبراً أن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه لمؤمن فيتبعه بسبب ما يعرضه من الشبهات، ولكن الاعتصام بحبل الله المتين الذي هو كتابه المبين والاطمئنان الكامل لوعده ووعدته، وقوة الإيمان بالغيب والإخلاص، والصدق لله في العمل والاستقامة عليه، وقوة الرجاء فيما عنده؛ يكون المؤمن بها قوياً في ذات الله، متصلباً غاية التصلب على الحق ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

البدء باسم الله:

(بسم الله) أي: أبتدى بكل اسم لله تعالى؛ لأن لفظ (اسم) مفرد ومضاف، فيعم جميع أسماء الله الحسنى، وللعلماء فيه تقديران كلاهما صحيح، فمن قدر بالاسم فتقديره: (باسم الله ابتدائي) آخذاً ذلك من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا﴾ [هود: ٤١]. ومن قدره بالفعل، فلقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ لأن الفعل لا بد له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره بحسب الفعل الذي سميت قبله^(١)، فالمشروع ذكر الله عند الشروع في أي شيء كما سيأتي بيانه.

و(الله) هو المألوه المعبود المستحق للإفراد بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات

(١) رجح الشيخ ابن تيمية تقديره: قراءتي باسم الله، وذبحي باسم الله، ونحوه، أو: أقرأ وأذبح وأفعل كذا باسم الله؛ لأن الفعل كله مفعول باسم الله وليس مجرد ابتدائه.

الألوهية ونعوت الكمال والجمال، وما أفاضه من سوابغ النعم والأفضال، وهو لفظ الجلالة، لا ينبغي لأحد سواه لفظاً ولا معنى، إذ جميع صفات الله الحسنى صفات تجري على هذا الاسم العظيم، فلذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وسنين - إن شاء الله - حقيقة أن كل من عظم مخلوقاً واستجاب لدعايته واستحسن ما يصدر منه دون عرضه على ما جاء من الله، فهو ملحد في أسمائه، يجب أن يعامل كما أمر الله، و(الرحمن الرحيم) اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وقد كتبها الله للمتقين المتبعين ما جاء به الرسول النبي الأمي محمد ﷺ، كما نص على ذلك في سورة (الأعراف)، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها اقتضته حكمته في الكون.

ولا ينكر اشتقاقها من الرحمة لحديث عبد الرحمن بن عوف أنه سمع النبي ﷺ يقول: «قال الله: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»^(١). قال ابن كثير: وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق، وقال العلامة المودودي في كون صيغة (الرحمن) في اللغة العربية من صيغ المبالغة: (ولكن رحمة الله على عباده ورأفته بمخلوقاته أعم وأشمل من أن تعني في وصفها صيغة واحدة من المبالغة مهما اشتدت، ولذلك جيء بعد (الرحمن) بكلمة (الرحيم)، ومن أمثلة هذا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٤)، والبيهقي في سننه (٧/٢٦)، والحاكم في المستدرک (٤/١٧٤ - ١٧٥) وابن حبان في صحيحه (٢/١٨٦) رقم (٤٤٣) من طرق عن الزهري به.

الوصف المصادف في كلام الناس قولهم: (أبيض يقق) للشديد البياض، و(أحمر قان) للشديد الحمرة، و(السخي المعطاء) للكثير الجود، و(الطويل العنق) للمفرط في الطول، وكل ذلك لإتمام الوصف واستيعاب النعت. وعلى القارئ أن يعلم أنه من الأصول المتفق عليها عند سلف الأمة وأئمتها المعتبرين، الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكامهما، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فلا يلتفتون إلى منشئها في المخلوق ويقيسون عليه الخالق كما هي عادة خلف سوء الذي اضطرتهم هذه العادة المبتدعة إلى أن يسطوا على أسماء الله - تعالى - وصفاته بالتأويل الذي يؤول إلى التعطيل والعياذ بالله، فجميع النعم أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم أنه عليم ذو علم يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء، وبتوفيق الله للسلف لهذه القاعدة عصمهم مما وقع به الخلف في شقاق بعيد اشتغلوا به عن عبث الحكام، فعطل أكثرهم العمل بمدلول سورة (العصر) لتناحر بعضهم مع بعض فيما جرته عليهم القواعد الفاسدة، التي ليس لها أصل إلا في المنطق اليوناني، الذي هو قول على الله بغير علم، فهو من وحي الشيطان الذي فرح به السلاطين وعملوا على ترويجه؛ ليضربوا العلماء بعضهم ببعض، فيتفكحوا عليهم ويسخروهم، فينصروا من يخدم رغباتهم، ويتمشى مع سياستهم، وهو أول انخزال لرجال الدين دبره الخليفة (المأمون) بمكره الملعون، فنجى الله من اتقاه بتحكيم وحيه وهداه، وذلك من بعض إظهاره لنوره.

وفي البدء بالبسمة أدب كريم من الله لنبيه ﷺ ولأئمة كما يفيد ذلك في

ابتداء الوحي إليه بقول ربه له: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. وهذا الأدب يتفق مع قاعدة الدين الحنيف من التعلق بالله وحده، والتبرك باسمه عمن سواه، وحصر التعظيم لجنابه جل وعلا، دون التفات إلى ما سواه بشيء من ذلك، فلا يجوز بعد هذا التعليم أن يبدأ بغير اسمه -تعالى- في أي مهمة وفي أي كتاب، لا باسم السلطان الفلاني، ولا باسم الرئيس، ولا باسم الملك، ولا باسم الأمير، ونحو ذلك من عادات المتعلقين بالأشخاص، والمقدسين للمادة والأوطان، إذ الله رب الكل، وفاطر الكل، والمهيمن على الكل ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] ففي البدء (بسم الله) إشعار بأن هذا الكتاب العزيز الذي يهدي للتي هي أقوم مدار هدايته على الإخلاص لله والتعلق بجنابه العظيم، وأنه مناف لدقيق الشرك وجليله، ولا يقبل من عباد الله اتخاذ ند من دونه، في أي مظهر من مظاهرهم، أو سريرة من سرائرهم، وذلك هو ركيزة الإيمان بالغيب الذي هو أصل الخير ومصدر الهداية، والانتفاع بالتذكرة، الذي بدونه لا ينتفع الإنسان بحواسه، كما سيأتي توضيحه إن شاء الله.

ومع ما في ذلك من (براعة الاستهلال) في بديع الكلام، فإنها -أيضا- تركز معتقد الرحمانية وكون الله جل وعلا (هو الأول والآخر). وقد ورد في الحديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ باسم الله فهو أبتر»^(١) أي: أقطع، فهو أبتر من البركة، أو من حسن العاقبة، أو من كمال المنفعة، حسب ما شاء الله

(١) أخرجه أحمد (٣٥٩/٢) من حديث أبي هريرة بنحوه. وأخرجه أبو داود (٤٨٤٠) بلفظ: «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم» وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (١٥١/٣): اختلف في وصله وإرساله فرجح النسائي والدارقطني الإرسال.

فيما يجريه على المعرضين عن ذكره وشكره، الصحيح من العقوبات القدرية المتنوعة الكثيرة التي لا تحيط بها العقول، وفي البداية بذكر اسم الله في كل قول وفعل وحركة وأخذ ورد، يتحصن العبد المؤمن بلفظة الجلالة من شر ما خلق الله، وذراه وبراه وقدره وسلطه، كما تحصل البركة الحسية والمعنوية بذكره العظيم حسب قوة إيمان الذاكر ويقينه، فذكر الله مطردة للشيطان، وبه تحصل الحيلولة بينه وبين ما يريد من مشاركته للناس في الأموال والأولاد كما سلطه الله على غير عباده المخلصين.

وقد اختلف العلماء كثيرًا في البسمة هل هي آية من القرآن أو من كل سورة أو من الفاتحة فقط، أو ليست منها ولا من غيرها؟ وأقرب الأقوال إلى الصواب حسب النصوص أنها ليست آية من الفاتحة ولا غيرها، وإنما هي آية من القرآن فاصلة بين كل سورتين، كما أنها بعض آية من سورة النمل. وكذلك اختلف أهل العربية في اشتقاقها، فعند البصريين مشتق من السمو ولامه محذوفة، أما عند الكوفيين فهو مشتق من السمة وهي العلامة ففأؤه محذوفة، والمرجع عند المحققين قول الكوفيين؛ لأن الاسم علامة على المسمى، وقد ذكر بعض المفسرين أن تقديم الرحمن على الرحيم لوجهين: أحدهما: اختصاصه بالله.

والثاني: جريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات، والله أعلم.

* * *

تفسير سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الحمد لله ثناء أثنى به الله على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا: ﴿الحمد لله﴾. فالحمد ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنی، بما أنعم على عباده من نعم لا يحصيها غيره، وبما بسط لهم من الرزق وسخر لهم جميع الكائنات من غير استحقاق منهم لذلك، والألف واللام في ﴿الحمد﴾ لاستغراق جميع المحامد وصنوفها لله، فما من حمد واقع أو مفروض منذ البداية حتى النهاية يصرفه أحد إلى أحد إلا وينصرف إلى الله، إذ هو أهله؛ لأنه معطي الجميل ومعطف أهل الفضل لفعل الجميل.

ثم إن معنى الحمد في الاصطلاح هو معنى الشكر في اللغة، ومعنى الشكر في الحقيقة هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلقه لأجله، من جميع الجوارح والحواس والآلات والقوى، وكافة النعم والأموال، فيحسن التصرف فيها باستعمالها في طاعة الله، ونشر دينه، وإعلاء كلمته، وقمع المفترى عليه، إذ يتضمن مدلولاً الحمد والشكر القيام بجميع أنواع العبودية المرضية لله، ففي قرن الحمد بلفظة الجلالة الكريمة هذه الدلالة العظيمة، فمن لم يقم بذلك لم يكن حامداً ولا شاكراً على الحقيقة، إذ مجرد النطق لا يفيد، ومن قصر في أنواع العبودية كان مقصراً بحمد ﴿رب العالمين﴾ بقدر ذلك، و﴿العالمين﴾ هم مَنْ سِوَى اللَّهِ، فكل من سوى الله تعالى فهو عالم (بفتح اللام).

ومن هنا قالوا بعموم مدلولهم جميع أجناس المخلوقات، فمعنى ﴿رب العالمين﴾ سيدهم الربى لهم الذي رباهم بنعمته:

١- تربية خلقية يكون بها نموهم وكمال إحساسهم وقواهم النفسية والعقلية .

٢- تربية هداية فطرية لكل نفس ما يلائمها من طلب نفع أو مكافحة ضرر .

٣- تربية هداية شرعية لأهل الإدراك منهم لما يسعدهم في دنياهم وأخراهم ، وذلك بما يوحيه إلى أفراد منهم بدينه القويم ، وتشريعه النافع ، ومن هنا قال من قال بقصر معنى (العالمين) على أهل الإدراك من الجن والإنس والملائكة ، والتعميم بجميع المخلوقات هو الأولى ؛ لورود النصوص القرآنية بتسبيح كل شيء وسجود كل شيء لله ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل : ٤٨] .

٤- رباهم تربية معيشية بتسخيره لهم كل دابة ومادة ، وتيسير أرزاقهم حسب تقديره الأزلي ، وإنعامه عليهم بالنعم التي لا يمكن لهم البقاء بدونها . ولذلك استحق جميع المحامد بحيث إن أي حمد يتجه إلى محمود ما فهو لله - تعالى- ، سواء لاحظته الحامد أو لم يلاحظه ؛ لأنه مصدر جميع الوجود والفضل والنعمة والمعروف والإحسان ، فلهذا ثنى السورة بقوله : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ لأن تربيته للعالمين بأنواعها المتقدمة ليست الحاجة به إليهم قطعياً ، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه ؛ لأن ربوبيته ليست مقصورة على القهر والعزة والجبروت ، بل فائضة بالرحمة واللطف والإحسان ، فهو الرحمن المنعم بجلائل النعم كالسماوات والأرض وما بعث فيهما من دابة ومادة ، وما سخره من شمس وقمر وأفلاك ، وما وهبه من نعم وصحة وعقل ، وهو ﴿الرحيم﴾ بدقائق النعم ، كسواد العين وتلاصق شعرات أهدابها المانعة من دخول كل ما يؤذيها مع كون النور يلمح من خلالها .

وهو ﴿الرحيم﴾ الذي اقتضت رحمته وحكمته أن يجعل ماء العينين مالحاً؛ ليحفظ شحمهما من الذوبان، وجعل ماء الأذن مرّاً؛ ليمنع الذباب وسائر الحشرات من الولوج فيها لصعوبة خروجه منها، ودقة إيدائه إذا بقي فيها، وجعل ماء الأنف لزجاً ومسالكه ملتوية ليتجمع الداخل المؤذي، ويطيب التنفس، وترهف حاسة الشم، وجعل ماء الفم حلواً رائقاً ليطيب للإنسان بما يمضغه من الطعام، كما جعل في اللسان أجهزة دقيقة كثيرة جداً لتمييز التذوق، وجعل في الفم نفسه أجهزة لحسن الابتلاع واتقاء الضرر.

وهو ﴿الرحيم﴾ الذي جعل الليل والنهار، هذا صالح للسكن، مفيد نومه صحياً، وهذا للعمل واكتساب الرزق، كما يأتي توضيح ذلك في سورة القصص - إن شاء الله -، ثم هو ﴿الرحمن﴾ ذو الرحمة العامة الشاملة لجميع الخلق، حتى الكافر والفاسق والمتمرد، وهو ﴿الرحيم﴾ ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما نص على ذلك في الآية (١٥٧) من سورة الأعراف، كما سنوضحه بحوله تعالى وقوته، وهو ﴿الرحمن الرحيم﴾ في خلقه وتكوينه، وحسن تصويره، وقسمته للأرزاق، وتشريعه لخلق من الدين ما يحرر نفوسهم ويزكيها، وتشريعه لهم من الأحكام ما يحصل به عموم الرحمة والسعادة والرفاهية والأمن والعيشة الراضية في الدارين، فتحليله رحمة، وتحريمه رحمة، وعزيمته رحمة، ورخصته رحمة، وعقوباته رحمة، ومصائبه وبلاياه رحمة ظاهرة، لمن تدبرها، وخافية لمن عمي أو غفل عنها، فهو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البالغ في الرحمة غايتها، والذي هو أرحم بخلقه من الوالدة بولدها.

واعلم أنه لا ينافي عموم رحمته ما يجريه على خلقه من النكبات التي هي

عقوباته القدرية، ولا ما يفرضه عليهم من العقوبات الشرعية، فإنها كلها رحمة وعدل اقتضته حكمته تأديباً للجنة رحمة بهم، وبمن جنوا عليه، وإيقاظاً للعصاة الذين فرطوا أو أعرضوا عن هديه، وقد يسلط أعداءه على بعض المسلمين المتعبدين ببعض الشعائر، وهم مهملون لبعضها أو للمهم فيها، كالتواصي بالحق، والتعاون على البر والتقوى، الذي من موجباتها: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد لإعلاء كلمة الله، وكبت المنكرين له في صحفهم وكتبهم الخبيثة، الطاعنين في دينه، المحادين له ولرسوله، بتحبيب الكفر والفسوق والعصيان، في كتبهم وصحفهم، التي لا يجوز للمسلم أن يسمح بها أو يتسع صدره لانتشارها في بلاده؛ كيلا يجرمه الله من رحمته الواسعة؛ لأنه أقسم بحصول الخسران لمن لم يتصف بذلك من بني الإنسان، فكيف يطمع بدوام رحمة الله وشمولها من لم يغضب لله، ومن لم يتمر وجهه فيه، ولم يحقق محبته بموالاته أحبائه ومعاداة أعدائه، والبراءة منهم، ومن تنكب عن الهدى، ويعمل على أطره على الحق أطراً.

(هذه الأمور العظيمة) التي تستلزم لصاحبها العزم على الجهاد، وإعداد المستطاع من كل قوة لازمة ملائمة يتمكن بها من قمع المفتري على الله، والمعرض عن سبيله، أو المتعرض له بالصد عن الحق والإغراء والفتنة، يسد بذلك الفراغ والثغور، التي ينفذ منها المبطلون من الأحزاب المغرضة المنحرفة، وذوي المبادئ الهدامة، التي تفاقم شرها في هذا الزمان، وطم سيلها الوعر والسهل، والتي تلبس في كل زمان زياً خاصاً بسبب تفريط المسلمين في هذه الأصول العظيمة، لما انطفأت جمره الغيرة من قلوبهم، وعكفوا على خرافات وأوضاع ما أنزل الله بها من سلطان، أو اكتفوا بفعل بعض الشعائر التي يأتون

بها خالية من الحب والتعظيم لرب العالمين، فأصبحوا بذلك عرضة للعقوبات القدرية التي سنفصلها في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. وخسروا النصيب الأوفر من رحمة الله التي خصصها في سورة الأعراف للمؤمنين المتبعين القائمين بنصرة دينه، فرحمته الكاملة الشاملة لا تُنال بدون ذلك، ومن طمع بها دون أن يسلك مسالكها من تحقيق التقوى والأخذ بالأسباب الواقية فهو العاجز الذي يتمنى على الله الأمانى.

والله كتب على نفسه نصره المؤمن والدفاع عنه، والانتقام من المخالفين بشتى أنواع العقوبات، وقد ينجي بعض الناس مع ما بهم من البدعة التي تألوها بنية حسنة، لثباتهم على ما هم فيه احتساباً، وإنفاقهم المال في سبيله لعدم وجود من يوجههم إلى الحق، والله يعامل عباده بحسب نياتهم وقوة غيرتهم نحوه، ومدى اندفاعهم لطاعته وحفظ حدوده، وقد يرى الطبيب الماهر قطع عضو، أو قلع سن؛ فيكون ذلك رحمةً لصاحبه وإصلاحاً لحاله، و- لله المثل الأعلى والحجة البالغة - . وسنزيد الموضوع توضيحاً عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ﴾ [البقرة: ١٥٥] إن شاء الله تعالى، ثم إن ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ - جل وعلا -، إذ يعاقب أصحاب المخالفات في الدنيا ويسلط عليهم أعداءهم ولا يبالي بهم في أي وادٍ هلكوا، فإنه لا يضيع من حسناتهم شيئاً في الدار الآخرة، إذا خلصت من نوائب الشرك، وقد يضاعفها لهم بصبرهم أو بأسباب أخرى.

ومن تمام رحمته أن اختص بالملك والحكم وحده في دار الجزاء، فهو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إذ لو جعل الأمر هناك إلى سلاطين البشر ورؤسائهم ووزرائهم ومديرهم كما في الدنيا، لحصل الجور والمحاباة، وكثرت الأثرة

والأنانية، ولم يدخل الجنة سوى عدد من محسوبيهم، وقذفوا بسائر الخلق في الجحيم، ولكن رب العزة - جل وعلا - اختص بالحكم في ذلك ليحقق رحمته وعدله وجزيل فضله، فلا تظلم أو تهضم نفس شيئاً وإن كان مثقال ذرة، ولاطمئنان المؤمنين بالغيب لأحكامه في الآخرة رخصت عليهم نفوسهم وأموالهم في ذات الله، فاتصفوا بأشرف السجايا وأكرم الخصال، وسارعوا في الخيرات، وأقدموا وتنافسوا على الجهاد، فنالوا النصر والسؤدد في الدنيا حيث حقت عليهم كلمة ربهم الحسنى، ورحمته الواسعة، وسينالون الجزاء الأوفى في الدار الآخرة، ومن عداهم انعكست أحوالهم بتفريطهم في جنب الله وعدم قيامهم بواجبه.

والدين هنا يطلق لغة على المكافأة والجزاء، وقد ورد في الأثر: «كما تدين تُدان» ويطلق على الطاعة والإخضاع والسياسة، يقال: «دانه وتولى سياسته» ويطلق على الشريعة وما يؤخذ العباد به من التكاليف، وقد قرئ (ملك يوم الدين) بوجه كثيرة، إلا أنها شاذة، وهي على طريقة الاتساع وبها يجري الظرف مجرى المفعول به فيكون معناه على الظرفية أي: الملك في الدين. ويجوز أن يكون المعنى: (ملك الأمور يوم الدين) فيكون فيه حذف، أما على القراءة المشهورة عند عاصم والكسائي وغيره فتقديرها: (مالك الأمر يوم الدين) أو مالك مجيء يوم الدين، وبصفتها تقتضي حذفاً، فإن قراءة (ملك يوم الدين) أبلغ في المعنى، وأرجح من حيث الدلالة اللغوية؛ لأن الملك أعظم من المالك، إذ قد يوصف كل واحد بالمالك لماله دون الملك، فإنه سيد الناس، ولها تأييد ثالث من القرآن وهو قوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣] وعلى كل حال بقراءة مالك تعطي المراد أيضاً، وتخصيصه تعالى

لنفسه الحكم في الآخرة نعمة عظيمة يشكره عليها العارفون لضبط الجزاء أولاً، ثم يشكرونه لمضاعفة الأمر ثانياً كما سيأتي في بحث الشكر، وأيضاً فتخصيصه لنفسه الحكم في الآخرة هو المشجع للمؤمنين بالغيب على تحقيق عبوديته والاستعانة به والتفاني في ذلك.

ولذلك أرشدهم في هذه السورة الكريمة إلى حصرها له حيث قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بتقديم المفعول وتكريره للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ولا نتوكل إلا عليك، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وذلك لأمر: معاني العبادة والاستعانة:

أحدها: أن العبادة هي كمال الطاعة والانقياد لأوامر الله والانتهاز عن زواجره، والوقوف عند حدوده، وقبول جميع ما ورد عنه على لسان نبيه ﷺ دون رد شيء من ذلك أو إلحاد فيه.

ثانيها: أن التذلل والخشوع فيها ناشئ عن حب وتعظيم، فمن خضع لأحد مع بغضه له لا يكون عابداً له، ومن أحبه ولم يخضع له بالقبول والانقياد لم يكن عابداً له أيضاً كمحبة الإنسان لوالده أو صديقه، إذ لا بد أن يقترن الحب بالتعظيم ليحصل الخضوع والانقياد، فلو حصل بسبب الخوف والإرهاب لا يكون عبادة، ومن هنا وجبت محبة الله ورسوله وتعظيمها وتقديم محبتها على كل شيء.

ويشهد لذلك حديث عدي بن حاتم المشهور في الصحاح والمسانيد حيث نص الرسول ﷺ أن موافقة النصارى لأخبارهم ورهبانهم فيما يشرعونه عبادة لهم، وإن كانوا لا يحسبونه ولا يعتقدونه عبادة. والله سبحانه يقول: ﴿وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿١٦٥﴾
[البقرة: ١٦٥].

ثالثها: من ألزم وأعظم أنواع العبودية أخذ القرآن بقوة، وذلك بالعمل بما فيه، وإقامة حدوده، دون الاقتصار على إقامة حروفه، كما هي الحال عليه في هذا الزمان، وألا يُسْطَى على نصوصه بالتأويل أو التحريف.

رابعها: العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه، وتعني العمل وفق شريعته سبحانه وطبق حدوده. فمن شرع له من الدين ما لم يأذن به الله، أو قلد متبوعاً محبوباً فيما استهواه فليس عابداً لله كما يفيد معنى الحصر في الآية، بل هو عابد للطاغوت المفتت على حكم الله.

خامسها: من ترك العمل بشعائر الإسلام معتمداً على مجرد لفظ الشهادتين فهو مشرك عابد للهوى والشيطان. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَعْتَدُوا لِكُفْرٍ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَقَدْ آمَنَّا بِاللَّهِ أَتَى الْفِتْنَةَ يَكْتُمُ الْمَقْتُولَ وَنَافِثٌ يُكَلِّمُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِذْ دُخِلُوا فِي الْكُفْرِ أَتَى الْفِتْنَةَ يَكْتُمُ الْمَقْتُولَ وَنَافِثٌ يُكَلِّمُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ إِذْ دُخِلُوا فِي الْكُفْرِ أَتَى الْفِتْنَةَ يَكْتُمُ الْمَقْتُولَ وَنَافِثٌ يُكَلِّمُ الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٠]. وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

سادسها: جميع أنواع العبادة التي سنفصلها في تفسير ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] من خوف ودعاء وخشية ورجاء واستعانة واستعاذة. لا يجوز شيء منها لغير الله، وهو مصادم لمقصود الله في حصره ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما أنه شرك مخل بمدلول الشهادتين.

سابعها: إقامة الحدود والحكم بما أنزل الله من لوازم عبوديته سبحانه، وهما من صميم العقيدة؛ لأن من عطل حدود الله، أو لم يحكم بشريعته فقد ابتغى غير الله حكماً، فإن ادعى عدم صلاحيتها للعصر، فإنه طاغوت تجب منابذته حتى تكون عبودية الله مرتكزة على أصل صحيح.

ثامنها: لباب العبودية الحب في الله، والبغض في الله، والموالاتة في الله والمعاداة فيه، فلا تجوز محبة شخص إلا في ذات الله، ولأن حاله موافقة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

تاسعها: روح العبودية التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ومن مقتضياتهما الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع المفتري، فمن تخلى عن ذلك ولم يفعل قدر المستطاع فقد أحل بعبودية رب العالمين.

عاشرها: من تمام عبودية الله - سبحانه - نصرته المظلوم، وردع الظالم مهما كان نوع ظلمه وأطره على الحق أطراً.

حادي عشرها: من العبودية الأخذ بالأسباب التي أمر الله بها من النشاط في العمل والسعي لطلب الرزق، وبذل أقصى الجهد في الاستعداد بالقوة، وتسخير كل ما في الكون ليعين المسلمين على التواصي بالحق وقمع المفتري، وإقامة الجهاد، وكما قال ابن تيمية رحمته الله: فالتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]. اهـ.

ثاني عشرها: ذروة سنام الدين وعبودية رب العالمين الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، إذ لا يمكن الانتصار لله ودحض المفتريين إلا به، ومن لم يجاهد ولم يحدث نفسه بالجهاد مات ميتة جاهلية، وحق عليه غضب الله وذلته في الحياة الدنيا.

ثالث عشرها: عبودية رب العالمين لا تسمح للعابد إقرار المفتري على الله ورسوله من كل ملحد أو مبتدع، فضلاً عن موالاتهم والعياذ بالله باسم القومية أو الوطنية ونحوهما.

رابع عشرها: تقتضي عبودية الله على العابد الحقيقي أن يعتبر نفسه خليفة

اللَّه في أرضه، مسئول عما يجريه فيها أعداؤه من الفساد والخبث، فيسعى لإزالته ببذل أقصى مجهوده ويستغل جميع الطاقات من أجل ذلك، فمن اقتصر على ركعات يصلحها وأدعية يرددها، وسُبْحَة يعلقها، لم يَقم بواجب العبودية؛ لأنه ترك المشاقين لله ورسوله يسرحون ويمرحون.

خامس عشرها: على عابد الرحمن أن يعرف نفسه حق المعرفة، وأن يعرف دوره وواجبه في هذه الحياة، فلا يعيش في مجتمعه مقلداً ومسايراً، ولا تابعاً مسالماً، بل يكون قائداً متبوعاً آمراً وناهياً، يفرض عقيدته ومبدأه حيث حل.

سادس عشرها: تحقيق عبودية الله والاستعانة به من كافة الوجوه، فتحرر النفوس من رق العبودية لغير الله من كل سلطان وهمي، وتسمو بعقله عن الخضوع لثرهات القبورين والمشعوذين، وتعصمها من همزات شياطين الجن والإنسان، وتنقذها من مكر الدجاجلة المضللين المهرجين؛ لأنها - بإذن الله - تكسب العبد فرقاناً يميز به بين الحق والباطل، ويعرف به دعاة الرشد من دعاة الغي الذين تفاقم شرهم.

سابع عشرها: عبودية الله المرضية تستلزم الإخلاص له والصدق معه ببذل جميع مجهوده وطاقته في ذات الله، وتكريس جميع أوقاته في النصيح له ولرسوله وعباده المؤمنين من أمر ومأمور وسيد ومسود، بلا كسل ولا جبن أو فتور، ليصدق القسم الإلهي في سورة (العصر) وأن يكون مخلصاً في حركاته وسكناته كلها.

ثامن عشرها: عبودية الله المرضية تقتضي حسن المعاملة للخالق والمخلوق فيعامل الله ويراقبه حق المراقبة كأنه يراه؛ ليرقى بذلك إلى درجة الإحسان، وينال حظ المحسنين، ويحسن معاملة الخلق أيضاً، بما يجب أن يعاملوه به

ليحقق الإيمان، ويكون أسوة صالحة مؤثرة في دعوته، نافعا لأمته، ويكون كل فرد منها مواطنا صالحا، فيتحقق لها الوثام والكرامة.

تاسع عشرها: العبودية بمعناها الصحيح تسمو بالذات إلى أشرف الغايات، وتكسب صاحبها عزة معنوية وصلابة في دين الله، بحيث لا يستطيع الولاية أن يشتروه بموائدهم وخلعهم، ولا أن يخضعوه بسياطهم؛ لأنه قوي الإيمان، زكي الجنان، مترفع عن المادة، شعاره شعار الأنبياء: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»^(١).

العشرون: القيام بواجب العبودية يحقق لصاحبه الصلة الروحية بالله ورسوله، فلا يزحزح عقيدته هدير أصحاب القوميات الذين غيروا كلام الله وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، فبدلوا حب الله ورسوله بحب الوطن، وبدلوا تقديس حدود الله وشعائره بتقديس حدود الوطن ومصالحه، حتى تبجحوا بأكل السحت تكثيراً للثروة القومية، وبمسارح اللهو ونوادي الإثم والمنكر وبلاجات الخلاعة، زعمًا للحضارة الخاطئة المعكوسة المموجة من قبح الاستعمار ودمه وصدیده، بل حضارته حضارة صحيحة عجت مع اسم الله ومراقبته، وقامت على أساس الإيمان والطابع الديني المطهر للأخلاق، الحافظ للأموال، المبارك في الأوقات والأعمال.

الحادي والعشرون: تحقيق عبودية الله ﷻ، يتكون منها شعوب وفصائل، أعزة على الكافرين تجدهم أمامهم أشداء في صلابة الحديد، لا تلين لهم قناة مهما بلغوا عددًا وعدة، بينما تجدهم أذلة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

على إخوانهم المؤمنين رحماء بينهم، متسابقين إلى منفعة بعضهم بعضاً، فهُمْ في ذات الله للمؤمنين كنعومة الحرير وكالغيث السح الغدق، وعلى أعداء الله شداد غلاظ لا يقبلون صرفاً ولا عدلاً ممن لا يدين دين الحق، وعلى العكس تجد الذين لم يحققوا عبودية الله وفق شرعه يظاهرون النصارى والملاحدة ويتوددون إليهم، ويسخرون بالمسلمين ويرمونهم بكل نقيصة.

الثاني والعشرون: عبودية الله تحقق لمن قام بها الرشد والصلاح والفلاح والوحدة الصحيحة المشبعة بروح المودة والإخاء التام، ومن استنكف عن عبوديته وتنكب عن شريعته فقد سفه نفسه ووقع في خسران مبین وشقاق بعيد، كما نرى أصحاب المبادئ والنظريات المنحرفة عن شرع الله، وقعوا في ذلك وحق عليهم وعيد الله بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فحصر أحوالهم بالشقاق تارة، وبالسفاهة تارة، وبالخزي تارة، وبالكبت والذلة مرة، فجميع أنواع الوعيد في القرآن متحقق فيهم، ولكنهم يغالطون ويقلبون الحقائق.

الثالث والعشرون: تحقيق العبودية يكون منه معسكر واحد يقف لإعزاز كلمة الله كأنه بنیان مرصوص، فيمضي بمحبة الله ونصرته وتأييده بجند من عنده لاهتدائه بتحقيق العبودية إلى غض النظر عن الخلافات الجزئية، وطهره من الأثرة والأنانية، فهو أعظم حرمة عند الله من السماء التي زينها بالنجوم وحفظها من كل شيطان رجيم.

الرابع والعشرون: للعبادة الصحيحة المطابقة لهدي الله أثر عظيم في تقويم

أخلاق القائم بها، وتطهير نفسه من الإعجاب والكبر والسخرية بالغير واحتقاره، والإفك والغيبة والنميمة، كما تزكيتها من جميع أنواع الشرك والانصياع إلى المبادئ الوثنية المادية التي ظهرت علينا بأسماء محبة من قومية ووطنية وشيوعية واشتراكية، كعجل بني إسرائيل المصوغ، ولكنها يبدو زيفها بأدنى نقد، ويظهر فسادها وعدم جدواها بأدنى حادثة؛ لأنها لا تحل مشكلة ولا تحرز نصرًا إلا بانضمام غيرها إليها.

الخامس والعشرون: من لوزام العبودية ألا يتقدم المسلم بين يدي الله ورسوله بأي تشريع يخالف الكتاب والسنة، مهما كان وحيث كان، ولا يقبل ذلك من أحد ولا يقر أحدًا عليه، بل ينكره بحسب استطاعته ويتقرب إلى الله ببغض صاحبه وتكريس جهوده للرد عليه ومعارضته بشتى الطرق والأساليب، نصره لله ورسوله دون مبالاة بالدنيا وزينتها، فإن من الإيمان الفرار بالدين من الفتن.

السادس والعشرون: من لوازم العبودية ودلائل إخلاصها القيام بتبليغ الدعوة الإسلامية في سائر الآفاق بحسب استطاعته وتفهم كتاب الله لأسرته وعشيرته، كي يقوموا بواجبهم معه، وألا يألو جهدًا في نشر الإسلام غير مبالٍ بالمصاعب والتكاليف كي يحسن التصرف بوراثة محمد ﷺ في حمل رسالته ويكون له أحسن خليفة. ألا ترى أنه بتجميد المسلمين لرسالتهم شغل أعدائهم الفراغ الذي أحدثوه، فجندوا عشرات الآلاف من المبشرين ومثلهم من الملاحدة لنشر المسيحية الكاذبة والإلحاد، ففتنوا أولاد المسلمين وأشغلوهم بالملذات والأباطيل حتى جعلوهم كالأنعام، وما الذنب إلا ذنب المسلمين الجامدين القاعدين عن رسالتهم، الواثقين بأعدائهم حيث يتسابقون إلى إدخال

أولادهم المدارس التي يدرس بها خريجو مدارس فرنسيس وأفراخ الإفرنج، فهل فاقد الشيء يعطيه؟! وهل يرجون من شجر الحنظل رمانًا أو برتقالاً؟! أم أنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم؟ فعلى عباد الله الانتباه للواقع السيئ من جديد؛ ليصححوا دينهم ويحققوا عبوديتهم لله.

حب الله ورسوله:

السابع والعشرون: كمال العبودية ولبابها أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يفضل على طاعة الله وابتغاء مرضاته أولادًا ولا أبًا ولا أمًا ولا إخوانًا ولا أزواجًا ولا عشيرة ولا موطنًا ولا مالًا ولا عقارًا ولا ضيعة، فتفضيل شيء من ذلك على مرضاة الله ومحبته والجهاد في سبيله مخل بالعبودية وسالب الإيمان أو مضعف له بحبه. وذلك أن الحب يحرك إرادة القلب، فكلما قويت المحبة في القلب قوي انطلاقه لمرضاة محبوبه، فإذا كانت المحبة لله تامة استلزمت إرادة جازمة في بذل الوسع لتحصيل محبوب الحق تبارك وتعالى، ودفع ما يكرهه والزهد والمعاناة لما يصده عن ذلك، فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد، كان دليلًا على ضعف محبته لله ورسوله في قلبه وإيثاره ما سواهما، مما تقدم، فالحب خير حاجز للقلب، وخير حارس له، إذا احتل قلبًا وشغله منعه من أن يغزوه، أو يكون كالغصن تميله الأهوية فيكون لعبة للعابثين، وعبدًا للأطماع والشهوات؛ لأنه لا بد للمرء أن يستعبده شيء من المحبوبات من شهوة حيوانية أو مال أو رئاسة أو عصبية أو مذهب من مبتكرات أهل هذا الزمان، وذلك إذا شغل قلبه من حب الله، قال الشيخ ابن تيمية: «إن المحبوبات لا تنال غالبًا إلا باحتمال المكروهات، سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة، فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا

بضرر يلحقهم في الدنيا مع ما يصيبهم من الضرر في الآخرة، فالمحب لله ورسوله إذا لم يتحمل ما يتحملة المحبون لغير الله في حصول مطلوبهم، دل ذلك على ضعف محبة الله، إذا كان ما يسلكه أولئك هو الطريق الذي يشير به العقل، ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبا لله . . .» .

ومن أضل ممن أشقى نفسه وأفناها في حب غير الله فجعلها عرضة للعقوبات في الدنيا والآخرة، وخسر العزة والثواب؟ ومحبة الله لا تكون إلا بمحبة ما أحب وتحقيقه، وكراهة ما كرهه من متلبس بكفر أو فسوق أو عصيان، ومعاداته والسعي لإزالته، ولا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يفضل على غيره، ولو حقق المسلمون هذه القاعدة، لما ذلوا بل كانت لهم السيادة وتحققت لهم القيادة.

الثامن والعشرون: ليس بين الحق والباطل طرف ثالث مقبول لله . فقد حصر الله الضلال فيما سوى الحق بقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢] فالمعرض عن الله لا بد أن ينصرف قلبه إلى غيره، وفاقد الحب الصحيح لا بد له من الحب الفاسد المفسد لقلبه المخرب لضميره، المتلف لمهجته، الضار بأسرته وأمته، كما هو مشاهد محسوس، فإن المعرض عن عبادة الله يستعبده ما سواه من مطامع الدنيا وشهواتها، ويفني عمره في اتباع الأذواق والمواجيد المتلونة التي لا يستقر لها قرار، ولا يتحقق فيها أمن ولا راحة، فبخروج الناس من عبودية إله واحد فرد صمد، وقعوا تحت استرقاق آلهة كثيرة، وفرضت عليهم أهواؤهم الإلحادية تضحيات وخسائر لا يكلفهم بها الرحمن الرحيم، فعاشوا ويعيشون في جحيم من الاضطرابات والتخليط، بل في جحيم من الأنانية المستمرة التي تحملوا أهوالها من همزات الرؤساء

الماديين وقلقلهم، مهما حصروا إيمانهم في رئيس أو جماعة أو أمة أو دولة أو مذهب فاشي أو سواه من الفلسفات المؤدية إلى الولاء الجماعي لطاغية يتحكم في الشعوب وباسم الشعوب، فيعرضها للويلات، ويسوقها للمجازر، فقد أثبت الواقع أن الولاء الجماعي كلف الناس مثلما كلفهم الهوى الفردي من شطط، فما أعظم خسارة العالم بانحطاط المسلمين وابتعاد العرب خاصة عن حمل رسالة رب العالمين.

التاسع والعشرون: من أجل ذلك كانت عبودية الله المرتكزة على وحيه وهداه تستلزم الكفر بالطاغوت، فنص الله نصًا قاطعًا على الكفر به، فقال: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]^(١). والطاغوت اسم جنس يعم كل ما يُطغي البشر عن الحق من أي مبدأ كان وأي طريقة وأي شخص يرتكز نفسه بفلسفات أو شعارات مناقضة لملة إبراهيم، ومخالفة لحكم الله ورسوله في أي نوع من الأنواع، وسُمي طاغوتًا لإطغائه البشر عن طريق العبودية الصحيحة لله، وتعلقهم بشخصيته هو، وإخضاعهم لإرادته دون هدى الله قهراً، أو دجلاً وتضليلاً كما هو المشاهد في هذا الزمان الذي تفنن فيه تلاميذ الإفرنج ببلورة الأفكار والجناية على العقول، والطغيان في اللغة: مجاوزة الحد، فكل من جاوز حده في المعصية والضلال فهو طاغ، يقال: «طغى السيل وطفى الماء» فالرجل الذي يطغي الناس عن هدى رب العالمين بما يلقيه عليهم من فتنة الشبهات

(١) بسطنا الكلام على أنواع الطاغوت في تفسير هذه الآية أكثر مما هنا؛ لأن لكل مقام مقالاً.

والشهوات، باسم جنس أو وطن أو مبدأ أو تقدم أو حضارة أو تحرر وما إلى ذلك من الأسماء الفاتنة الخلابة، فهو طاغوت، وإنما قرن الكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله؛ لأن الطاغية بمكره وعظيم دجله يسترق القلب الذي هو الملك في الإنسان، فيجعله مستعبداً متيماً لغير الله، بخلاف الظالم الغشوم الذي يسترق البدن ولا يؤثر في القلب إلا بالامتعاظ الجالب للأنقاض، فعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، ولا نجاة اليوم من همزات شياطين الإنس وطواغيتهم إلا بتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بجميع معانيها ومبانيها، لا سيما في هذا العصر، عصر التهريج والتلبيس والمغالطات التي تحملها أمواج الأثير في الإذاعات وتبثها دور الطبع والنشر من كل حدب وصوب، ممن غايتهم العلو في الأرض واللعب بمقدرات الشعوب تحت ستار الأوهام والأباطيل، إذ مهمة الطاغوت في كل زمان ومكان الجناية على عقولهم حتى يسخرهم لأغراضه، وقد وصفه الله بأبشع وصف وأخبثه على جهة العموم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. فالطاغوت بجميع أنواعه إذا رأى أتباعه ومقلديه قد لاح لهم شعاع من نور الحق يفهمهم فساد ما هم عليه، بادر إلى صرفهم عنه بما يلقيه دونهم من حجب الشبهات وزخارف الأقاويل، التي يلبس بها الحق بالباطل، ويرمي ورثة الأنبياء والدعاة إلى الله بدائه، هو من عمالة الاستعمار ومهادنة الصهاينة مثلاً، وبالرجعية والانتهازية وأصحاب المؤامرات وما إلى ذلك من الألقاب التي تنفر عنهم العوام والمضبوعين إيغالاً بالصد عن سبيل الله بفلسفته الزائفة، فهنا تُشان طواغيت الأرض في كل زمان ومكان، فقد حكى الله عن فرعون أنه قال لمن

آمن بموسى من السحرة: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِخُرُوجِهَا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣] فسمى انقيادهم للحق مؤامرة على البلاد، وانطلت هذه الفرية على أتباعه ومقلديه مع بعدها عن الواقع بعدًا عظيمًا، وما ذاك إلا لاسترقاق الطاغية قلوب الناس وتخنيثه أدمغتهم، وها هو التاريخ يعيد نفسه، ولشدة تأثير الطاغية على العقول، نص الله في كتابه على أن الفتنة أشد من القتل وأكبر.

الثلاثون والحادي والثلاثون: بتحقيق عبودية الله يهون على الإنسان نفسه وماله في سبيل الله، فينجو من الجبن والبخل اللذين استعاذ منهما رسول الله ﷺ؛ لأنهما مصدر الذل والانحطاط الذي وقع فيه المسلمون اليوم لما تلبسوا بهاتين الخصلتين الذميتين، فلم يحققوا العبودية كما أمرهم الله، إذ بتحقيقها يرتفعون عن البخل والجبن فيقدرون على الوفاء بمبايعة الله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فيتحقق عزهم ويشمل حكمهم بالله جميع الأرض، وما أروع تصوير نبينا ﷺ لهاتين الخصلتين الممقوتتين بقوله: «شر ما أوتي العبد شح هالع أو جبن خالع»^(١). فالشح يزرع الهلع والنهمة في القلب بحيث يزداد بخله عند زيادة خيره وغناه ويزداد جزعه بأدنى مصيبة، والجبن يزرع فيه الذلة والاستكانة لأي شيء، ويخلع منه العزة والطموح إلى المعالي، وقد أثبت جميع الوقائع التاريخية أن المقاتل دينًا طلبًا للجنة لا يهزمه أحد، فلا يصد عن وجه طلبه كما هو موقف المسلمين أمام الفرس والروم

(١) أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٣٠٢/٢) والبيهقي في سننه (١٧٠/٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٢/٨) رقم (٣٢٥٠) كلهم من طرق عن عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة مرفوعًا به.

الذين كانوا يهزءون من عددهم وعدتهم؛ لأن المحقق لـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لا يغلبه أحد بإذن الله، إذ يقاتل وفاء بعهد الله يبغى جنته ورضوانه، ناجيًا من الشح والجبن وسواه، غير مدفوع بأجرة أو عصبية - فالفرق عظيم - أما الذي يجتمع فيه الشح والجبن معًا فليس محققًا عبودية الله، وكيف يحققها من بخل بماله ولم يجد بنفسه، إذ من لم ترخص عليه نفسه في مرضاة محبوبه، لا بد أن يرخص عليه ماله، فلم يتأخر المسلمون ولم يغلبهم عدوهم إلا باجتماع هاتين الخصلتين اللتين لا ينجي منهما إلا تحقيق العبودية.

الثاني والثلاثون: عبودية الله توجب على صاحبها القيام بجميع أنواع الصلاح والإصلاح، في كافة المرافق والشئون الفردية والجماعية دون أنانية أو محاباة أو مدهانة، مراعيًا حدود الله في التطوير والتنظيم بدون إفراط ولا تفريط، بحيث لا يخرج ذلك عن اتباع ما أنزل إليه من ربه إلى اتباع الملاحظة المتحللين أو الطغاة الماكرين.

الثالث والثلاثون: عبودية الله توجب على صاحبها الصدق في القول والعمل بحيث لا يخالف الناس إلى ما ينهاتهم عنه أو يأمرهم بما هو منسلخ منه، فيكون أضحوكة ومثلاً سيئاً لعدوه وصديقه.

الرابع والثلاثون: عبودية الله الحققة تخلق وعيًا جماهيريًا صادقًا لجميع أمم الأرض، تعي به واجبها نحو خالقها وبارئها ومصورها، المنعم عليها بكل شيء، المسخر لها كل شيء، المنمي إحساسها إلى كل شيء، فبهذا الوعي الصحيح تتكاتف قواها، ويجتمع شملها على تقوى من الله ورضوان، فيعيشون في إخاء ورخاء لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد، بل يؤثر أحدهم أخاه على نفسه ويتألم لألمه فينصره ولو مع بعد داره؛ لأن عباد الله

المؤمنين حقًا في مشارق الأرض ومغاربها كالجسد الواحد، خلاف ما هم عليه الآن من تفكك لا تقبله عبودية رب العالمين.

الخامس والثلاثون: عبودية الله الحقّة توجب العمل على بناء مجتمع إنساني على أساس دين الله ونظمه وفق الدستور الذي شرعه في سورة (الحجرات) خاصة وغيرها مما أوحاه إلى نبيه عامة ليكفل للإنسانية حقوقها، ولا يلعب بمقدراتها وعقولها، إذ من لم يعمل للإنسانية على أساس ما أنزل إليه من ربه فهو مفترٍ يلعب عليها حتى يسخرها كأنعام أو يمزق وحدثها ويغيرها على التناحر كما هو شأن طواغيت الأرض في هذا الزمان: من هدم الأخلاق، والقضاء على الفضيلة وكبت الحريات وشل حركة التجارة والتحجير على الأعمال باسم بناء الوطن والاشتراكية وما إلى ذلك من تسخير الإنسانية والجناية على عقولها.

السادس والثلاثون: القيام بحق العبودية يوجب العمل المتواصل بكل جد ونشاط على تحقيق الوحدة الإنسانية جمعاء تحت إطار الدين وفق قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] إذ بتحقيق العبودية لا تنشأ العصبية والقوميات المفرقة بين الأجناس والأقاليم، ولا الحدود المصطنعة؛ لأن كلمة التوحيد المستكملة لمعانيها يجب أن تشمل جميع الأرض ولا يعلوها أحد ولا تعترف بحدود ولا تجزئة، فلا تحقق أمة القرآن معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حتى يعملوا العمل المتواصل لتكون كلمة الله هي العليا في سائر المعمورة، لا يحول بينها حدود ولا سدود، فأهل القرآن هم المسئولون عن التقصير في ذلك، إذ لو ألهبوا حماس الشعوب بواجبهم الديني ودفعوهم إلى الاستعداد بكل قوة وتسخير كل شيء

فيها؛ لما استطاع أن يصددهم عن ذلك شيء.

السابع والثلاثون: على كل من أراد تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾ أن يعتبر الحرية حقًا من حقوق الله لا يجوز له التفريط فيها، فضلاً

عن التخلي عنها أو السماح لأحد باستلابها منه؛ لأنه يفقد حرته لا يستطيع

عبادة الله على الوجه الأكمل، فكان مفرطاً في جنب الله، ومن هنا وجب

عليه أن يكون قوياً آخذاً بجميع وسائل القوة مستعداً للجهاد ومكافحة

الأشرار، فإن لم تساعد البيئة على ذلك وجب عليه الهجرة إلى بلد يتمتع فيها

بالحرية التي يستطيع معها القيام بحق الله، كما هاجر الرسول ﷺ من أشرف

البقاع وأحبها إليه بأمر ربه إلى البلد التي استطاع فيها تحقيق دينه وإظهاره

حسبما تقتضيه هذه الآية، ومن لم يتأس بنبيه ﷺ لم يصدق انتماءه إليه حقيقة،

كالذين ارتبطوا بعجلة أعداء الله، وتقبلوا أفكارهم، واستحسنوا نظمهم،

فقعدها عن واجبهم وهو:

الثامن والثلاثون: الذي هو القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية

ونقلتها من بني إسرائيل إلى أمة محمد، فمن تقاعس عن حمل أعبائها وعن

السعي الحثيث لئلا يفترق في عبودية رب العالمين، فجميع الأمة مسئولة

عن تفريطها بتلك القيادة التي خسر العالم كله بفقدانها العدل والإحسان،

وتورط في جحيم المبادئ والنظريات الكافرة، وتخبط في ظلمات الدجل

والتضليل التي يبثها طواغيت الأمم من إذاعاتهم وصحفهم، وكان له أكبر

نصيب من سوء والفرقة والتجزئة.

التاسع والثلاثون: عبودية الله - تعالى - لا تسمح أبداً لأي مسلم أن يغير

شيئاً عن أنظمة الفطرة التي فطر الله الخلق عليها في سائر الميادين، ولا يقر

أحدًا على ذلك، فضلًا من أن يستحسن اتجاهه، ذلك أن الإنسانية من أقدم العصور إلى أحدثها تتقلب بين نظامين تعتبرهما أساسًا للحياة:

أولها: نظام الفترة النابض بحيوية الحق والخير، وهو الذي تؤيده التشريعات السماوية، وتقبله العقول المستقيمة التي لم تتبلور بالأوهام والأضاليل من العبادات القلبية والبدنية والمالية المقومة لروح المجتمع والجمالية له رضا الله، ومن الأخلاق الحسنة الفردية والعمومية الجمالية للصلاح والفلاح، ومن الروابط الأدبية والاجتماعية الماحقة للأثرة والأنانية، ومن حسن المعاملة والتعاون على البر والتقوى في المنازل والأسواق والأندية والمصانع وسائر الميادين، وتشكيل المحاكم والأحكام ونظم السلم والحرب، وفق ما شرعه الله، مما يلائم تلك الفطرة، ولا يجلب ضررًا ولا ضرارًا بأحد في سائر التشريعات الاجتماعية والاقتصادية.

ثانيها: ما يعارض هذه الأنظمة من نظم الجاهلية أو مبتكرات أهل هذا الزمان التي هي شر منها بكثير من التفسخ والانحلال الخلقي باسم التقدم والتخنت، والميوعة باسم الحضارة، وكبت الحريات بدعوى صالح الدولة، أو الثورة وتقديس الأشخاص والتماثيل باسم الفكرة أو المبدأ المتحل، وتعطيل ما أباحه الله من الاكتساب ومحاربة الاغنياء، وتأميم أعمالهم بدعوى محاربة الاستغلال، وتربية الناس على الإيمان بالمادة واستحلال ما لذ وطاب، فهؤلاء كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، فمن استحسن هذا النظام الحيواني المرتكز على المادة بجميع أنواعها فهو بجانب لعبودية الله وعابد لشیطانه وهواه، ومن حمل الأمة على ذلك ودعا إليه فهو محاد لله ورسوله يجب على عباد الله بغضه ومناذته؛ لأنه يريد أن يركس الناس في جاهلية أفضع من الجاهلية الأولى.

الأربعون: عبودية الله توجب على صاحبها الاستجابة لجميع نداءات الله في كتابه العزيز، على اختلاف أنواعها وأساليبها دون إهمال شيء منها أو التراخي فيه، وهي تقرب من مائة وثلاثة وعشرين نداءً، بعضها ب(يا أيها الناس)، وبعضها (يا بني آدم) وبعضها (يا أيها الذين آمنوا) فمن لم يستجب لكل نداء يناديه به ربه فليس محققاً للعبودية المطلوبة في هذه الآية، وكيف يكون عابداً لله من لا يستجيب له وهو يدعو لما يحياه حياة طيبة في الدنيا، وينجيه في الآخرة من العذاب، لا شك أن من لم يستجب لنداءات ربه عاص له مناقض في سيرته لجميع مدلول سورة الفاتحة من: حبه، وتعظيم أسمائه، والتعلق به، والقيام بشكره وحمده، والإيمان ببعثه وحسابه، ورجاء رحمته، والخوف من عذابه، والقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، فأصبح غير محقق لعبوديته المطلوبة فيها، وهذه أكبر بلية المسلمين ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] فانصاعوا لنداء من يهلكهم كالشاء تنصاع للجزار.

الحادي والثاني والأربعون: عبودية الله توجب على العابد أن يجعل لقلبه هجرتين: (هجرة إلى الله) بهجر جميع ما نهى الله عنه، والإقدام على ما أمر الله به، رغبة في وعده، ورهبة من وعيده، وتعظيمًا لشأنه، وحبًا للقاءه بإخلاص وصدق غير مشوبين بحاجة صدر أو تخرج أو توجع، وأن يتمسك بكتابه عملاً كاملاً وتبليغاً؛ لأن من لم يعمل بالكتاب لا يكون مقدرًا لرسول الكتاب، وأن يغضب لانتهاك محارمه أزيد مما يغضب لنفسه لو أهينت كرامته؛ فيستعد بكل مقدوره لنصرة ربه جل وعلا، والله لا يخذله.

والهجرة الأخرى: إلى رسوله ﷺ بالتأسي به في كل شيء وتقديم سنته على كل شيء، وتحكيمها في كل شيء، وعدم الحكم عليها من أي شيء، فيدور

مع قول الله ورسوله نفيًا وإثباتًا، ولا يقدم على أمر من الأمور دون التقيد بها، ولا يرضى عن أي نحلة ورائدها أو عقيدة وواضعها، أو مبادئ ومؤسسها، حتى ينظر إلى موافقتها ملة إبراهيم عليه السلام المأمور باتباعها في القرآن، ومطابقتها حكم الإسلام أصلًا وفرعًا، فينبذ ما خالف الملة الإبراهيمية، والشريعة المحمدية، وينابذ من تصدى لمخالفتها من أرباب تلك المبادئ والعقائد العصرية، ويعتبر الداعية إليها والمناصر لها طاغوتًا، لتجاوزه أمر الله وحدوده، لا سيما إذا صد عن سبيل الله بإلقاء الشبهات والأضاليل، أو أخرس الدعوة إلى الله بأي وجه من وجوهه، فيكفر به الكفر الذي تستلزمه عبودية رب العالمين، ويتبرأ منه ومن أحبابه ومناصريه، ليكون مهاجرًا إلى ربه، متمسكًا بالعروة الوثقى، فالهجرة القلبية إلى الله ورسوله بالإخلاص والمتابعة فرض عين على كل شخص وفي كل زمان ومكان، وهي روح الدين وحقيقة الإيمان.

أما الهجرة البدنية: فهي:

الثالث والأربعون: وهذه قد تجب مطلقًا، وقد تجب على شخص دون شخص، وفي وقت دون وقت، وفي مكان دون مكان، بحسب ما يترتب على الانتقال من الفائدة وعلى عدمه من الفتنة، وفي وجوبها على التحميم ثلاث حالات:

أحدها: أن يكون المسلم في مكان يفتن فيه عن دينه، أو لا يتمكن فيه من إقامته، كما يعتقد، فيجب عليه الهجرة إلى البلد الذي يعلم أنه يكون فيه أقوم بحق الله وأدوم على عبادته، ويكون حرًا في تصرفه وإقامة دينه؛ لأن عدم الهجرة يترتب عليها ما لا يحصى من المعاصي، بحيث يكون غير محقق لـ

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

ثانيها: احتياج المسلم إلى معرفة الدين والفقهاء فيه، حيث عدم المرشد في مكانه، فيجب عليه الهجرة ليتلقى ويتعلم ما جهله.

ثالثها: إذا كان هناك جماعة أو دولة للمسلمين ضعيفة يخشى عليها من الانصهار في الكتل والمبادئ المخالفة لما أنزل الله، والانجراف في تيار الفسوق والإلحاد، وجب على عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يساعدها مادياً وأدبياً ومعنوياً، ويشدوا أزرها بكل وسيلة، فإذا توقفت نصرتها على الهجرة وجبت الهجرة إليها حتى على البعيد عنها وجوباً قطعياً لا هوادة فيه، وإلا كان راضياً بضعفها، ومعيناً لأعداء الإسلام على إبطال دعوته، وخفض كلمة الله؛ لأنه يجب على مجموع المسلمين السعي بكل مجهود لتكوين جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة الإسلام، وتقيم أحكامه وحدوده وتحفظ بيضته، وتكون مأوى لأهله ودعاته، يحتمون بها من البغي والظلم. فمناصرتها والتهافت إليها بالهجرة من أوجب واجبات الدين؛ لأنها بصدق عزيمتهم وقوة إيمانهم تكون لهم مركزاً ونقطة انطلاق إلى العز والسؤدد وإعلاء كلمة الله، وبدونها يذوبون وينصهرون في المجتمعات الفاسدة، ويكون أولادهم عوناً لأعدائهم عليهم، لما يتلقونه في المدارس من الثقافة الاستعمارية.

الرابع والأربعون: العابد لله لا يقدم على أي عمل يُنحَى به الإسلام عن واقع الحياة، معتقداً أنه عائق للحضارة والتقدم كما يسميه تلامذة الإفرنج من أولاد المسلمين؛ لأن في ذلك استدراكاً على الله ورسوله واعتقاداً بعدم كفاية النصين، وتنديداً بحكمة الله وانتقاداً لشريعته، ولا يجوز له - أيضاً - إقرار

أحد من الملاحدة العصريين على ذلك، ممن شاقوا الله ورسوله باطراح وحيه وهداه، واتباع أساتذتهم من ملاحدة الشرق والغرب، فكانوا ورثة لمن قال الله فيهم: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] بل يبذل غاية جهده لصددهم وتحطيم آرائهم وتطهير أدمغة الناشئة من سمومهم.

الخامس والأربعون: عبودية الله تحتم على أهلها إسلامية الحكم لا قوميته وفق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فالعابد حقًا تهديه بصيرته المستنيرة بالله إلى أن انتحال القوميات فكرة استعمارية كافرة، ركزها الطواغيت والمخدوعون بهم لفصل الدين عن الدولة وإبعاد الإسلام عن ميادين التشريع والتنفيذ ودفعه إلى الوراثة لينزوي في مسجد يُقَلُّ داخله، ويسمي أهله (ذوو^(١) الأفكار المتخلفة) ويقصر تذكاره قراءة كتابه على المآتم، كما عملوا ذلك وساعدهم المتكلمون باسم الإسلام، وهم عبدة المادة والشيطان وليسوا من عبادة الرحمن في شيء.

إن من يريد أو يعمل على إقصاء الإسلام وعزل القرآن عن الحكم ليس عابداً لله ولا مستعيناً به وفق هذه الآية، بل هو معين على نفسه أعداء الإسلام الذين هم أعداؤه، فيكون خادماً لأغراضهم المضادة للوحي من حيث يشعر أو لا يشعر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] والعجب أن تلاميذ الإفرنج من أولاد المسلمين أصحاب هذه النزعة لا يبصرون نشاطاً

(١) مبني على الحكاية في محل نصب مفعول به ثانٍ ليسمى.

لدول المسيحية التي أغرتهم بإبعاد دينهم عن الحياة في نشر دينها، بل لا يبصرون احتضانها (لإسرائيل) التي هي دين ودولة، ولكنهم لما نسوا الله أنساهم أنفسهم فلا يُعْتَبَرُونَ.

السادس والأربعون: عبودية الله تقضي على العابد ألا يقف بغير معرفة أحاديث المفترين، ولا يخضع لما سطوروا في المذكرات أو في التاريخ فيبني عليه حكماً على فرد أو جماعة أو أسرة من الناس؛ لأن التاريخ في كل الأزمان والعصور يسيطر عليه ذوو السلطان والجاه والنفوذ، فيسخر الأعلام لما يناسبهم، ويشترون الضمائر المقفرة من تقوى الله لصب الشتائم والقذف بكل تهمة على من يعادونه، ولو كان صحابياً، ويسبغون المدح لسيدهم ومحبوبهم مهما كان، فالعابد لله لا يأخذ ما يسمعه أو يجده كقضية مسلّمة، بل يمنعه دينه وعقله من قبول الأخبار عن أي شخص من عدوه، فيسلط عليها الأضواء من كل ناحية، ويكون منها في شك مريب، ولا يضيفي ثوب القدسية على أحد خوفاً أو طمعاً، بل يحقق عبودية الله فلا يخاف في الله لومة لائم.

السابع والأربعون: العابد لله حقاً يكون معظماً لشعائر دينه، مقدساً لنظمه وتعاليمه، لا يصرفه عنها أو ينفره منها عبث العابثين من حكماء وعلماء يتلاعبون بالنصوص أو يتهاونون في تطبيقها، فيحمل الدين آثامهم، والدين موتور بهم كما وترت بهم شعوب الأرض.

الثامن والأربعون: عبودية الله لا تسمح للعابد بموالاته أي عدو لله، ولو كان أقرب قريب، فضلاً عن موالاته المحادين لله ورسوله، من دول الكفر أو معتنقي المبادئ الإلحادية باسم التقدم في الحضارة أو الاقتصاد، فكل من يلقي

إليهم بالموودة أو يتفق معهم في ثقافتهم أو تشريعاتهم فهو خارج من عبودية الله إلى عبودية الطاغوت .

التاسع والأربعون: العابد لله لا يعمل على إذابة شخصية الأمة ومحوها بسبب مشيه في ركاب من أغروه أو غرروا به في دعاياتهم ودجلهم بالشغف بهم وتركيز محبتهم وتحبيب خططهم وأفعالهم دون عرضها على ما جاء من عند الله، فيكون عابداً للمادة وشياطين الإنس الذين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب .

الخمسون: عبودية الله تقضي على أهلها ببغض الذين شرعوا ما لم يأذن به الله في سائر النواحي، ممن يترسم خطط الملاحدة والمستعمرين ولا يتلفت إلى هدي الله ورسوله، وكذلك بغض من يعتقد أو يدعو لحصر الدين في نفوس المؤمنين كأفراد دون تدخله في مشاكل الحياة من حرب وسلم وتححر واستعمار، فبغض هؤلاء من لوازم عبودية رب العالمين، ومنابذتهم وهتك أستارهم وكشف حقيقتهم للناس من الجهاد في سبيل الله، أما موالاتهم وتحبيذ أفعالهم فهي محادة لله ورسوله، صاحبها متجرد من ولاء الله ورسوله، غير محقق للأمر .

الحادي والخمسون: الذي هو أن يجعل العابد غايته لله، وأمره كله لله أولاً وآخراً، كما أنه من الله وإلى الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. فمن لم يكرس جميع أوقاته في عبودية الله بشتى أنواعها فهو معاكس لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وهو إذا لم يقدر الله حق قدره فكيف إذا انضم إلى تفريطه اعتقاد شيء من

المبادئ العصرية السالفة الذكر، أو اعتقاد عدم جدوى الشريعة في حل المشاكل، ونحو ذلك من الكلمات التي يطلقها تلامذة الإفرنج في وصية دين الله - تعالى -، فإنه خارج عن عبودية ربه إلى عبودية من انصاع إليه وتقبل أفكاره؛ لأن أول فرض على عباد الله كفر بالطاغوت الذي يطغيهم عن أي نوع من أنواع العبادة، ومن هنا استلزمت عبادة الله أمورًا كثيرة سبق ذكر بعضها، ونذكر باقيها - إن شاء الله - بإجمال واختصار، فمنها:

الثاني والخمسون: وهو أن عبودية الله لا تسمح لأحد ما بإيمان عقائدي جديد مما ينادي به قوم من أبناء جلدتنا، تربوا في أحضان الاستعمار، وتعلمذوا على طغاته وملاحدته، فانطبعوا بثقافته، وشغفوا بمدنيته، وتنكروا لدينهم وكتاب ربهم، الذي أنزله ذكرًا لهم وشرافًا أيما شرف، فعموا وصموا عن ذكرهم وشرفهم وهداهم، وأخذوا يطالبون الأمة بالحاح أن تسير سير الأوربيين، وتسلك طريقهم في الحضارة، خيرها وشرها، دون استثناء لما يكره منها أو يعاب، وأن تهجر إلى غير رجعة شعائر دينها وإيمانها بالغيب، فلا تؤمن إلا بالمادة والعلم التجريبي الذي فضحه مهرة أهله باعترافهم بعجزه عن كشف كثير من الأسرار المحجوبة، وتفاهم الخلاف بين أهله في الماديات، بحيث اعترف بعض أساطينهم أن بعض ما قرروه أصولاً غداً افتراضاً واتفاقاً أو خيالاً، ونادى منهم عدد غير قليل بإيجاب الإيمان بالغيب، والمضبوكون من أبناءنا لا يزالون في طغيانهم يعمهون، وكل مناداة بإيمان بأي فكرة مادية أو عقائدية مخالفة لوحي الله، فهي غي وضلال وظلم وظلمة، لا يسلكها عباد الله الذين يرجون لقاءه.

الثالث والخمسون: إن عباد الله لا يتبعون ما تتلوه شياطين الإنس

وطواغيتهم من الولوع بالماديات، وقصر النظر عليها وتجنيد القوى في سبيلها وإشباع الرغبات من نيل الملذات الدنيوية كالأنعام، مما يبعد الإنسان عن رسالته الحقيقية في الحياة، ويجعله في أحس حالة، ويعرضه للاضطرابات وويلات الحروب، لانحطاط أخلاقه بالتسفل إلى المادة، وخراب ضميره بإضاعة ما لله من واجب العبادة.

الرابع والخمسون: عبودية الله توجب على أهلها في مشارق الأرض ومغاربها محاربة المكذبين لله، ومقاطعتهم بكل ما أمكن، والتفريق بينهم وبين الصالح من أهلهم والمسلم من أزواجهم، وأعظم أنواع المكذبين ممن يصرح بأن القرآن كتاب بالرجعي لا يتمشى مع حال العصر، أو أن التمسك به مدعاة للتأخر والرجوع إلى الوراء، أو أنه من تلفيق محمد، كما يقوله الموسومون بالألقاب العظيمة في هذا الزمان، وكذلك القائلون بأن الإسلام دين طائفي لا يجوز بناء الحكم عليه، أو سن الدستور والنظم على أساسه، ونحو ذلك مما يعتقده تلاميذ الإفرنج الذين تبوءوا المناصب وهم من أولاد المسلمين، فجرؤا على الإسلام وأهله وبالألم يذوقوه من الاستعمار، ووصمات فاجرة لم يجرؤ طغاة الاستعمار على التفوه بها، فعبودية الله توجب على أهلها بغض هؤلاء ومعاملتهم بما تقدم ذكره، باعتبارهم محادين لله ورسوله، ومن يحبهم وينشرح صدره لما يصدر منهم أو يمشي في ركبهم ويخدم أغراضهم، فهو خارج من عبودية الرحمن إلى عبودية الطاغوت، منسلخ من ولاية الله إلى ولايته؛ لأن الله وصف كتابه ودينه بالهدى والنور والشفاء والحق والرحمة والعصمة من الضلال والشقاء، وأنه يهدي للتي هي أقوم، وأن ليس بعده إلا الضلال، فأى محادة لله ورسوله أعظم من عكس هذه الأوصاف

الجليلة، والانحراف عن دين الله ونبذ كتابه، والتصريح بعدم صلاحيتهما، بل بضررهما في الحكم والسياسة، كما يتبجح به المثقفون بثقافة استعمارية، فالإسلام وأهله منكوبون بهم نكبة لم يشهدا التاريخ من قبل أبدًا، فمن لم يتبرأ منهم ويسع لقمعهم وكشف حقائقهم فليس من عبودية الله في شيء فكيف من يركن إليهم ويتقبل ما يصدر عنهم.

الخامس والخمسون: عبودية الله وفق شرعه لا تسمح لأي فرد أو هيئة أو حكومة ما، أن تعمل عملاً مخالفًا لشريعة الله، يبهرج فيه على الناس باسم وطن أو شعب أو قومية أو كيان، أو محاربة استغلال وما إلى ذلك، سواء في التطوير الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي مما يخرج فيه عن حدود الله التي حدها لعباده، فالمعتدي على الله بشيء من ذلك نابذ لهذه الآية وغيرها، وراء ظهره، متأس باليهود والنصارى، الذين هم رؤساء هذه المذاهب، والتصاقه بالعروبة مع مخالفته ما جاء به النبي العربي جناية على العروبة ونزول بها إلى مكان سحيق.

السادس والخمسون: بتحقيق عبودية الله تتحقق المساواة الصحيحة بين أفراد الإنسانية، فيحصل التمييز بين الخبيث والطيب، والمفسد والمصلح، والأمين والخائن، بحيث لا يرقى هذا إلى درجة هذا، ولا ينزل بهذا إلى ذلك، بل يسوي بين الأمين والأمين، وبين الخائن والخائن وبين المصلح والمصلح وبين المفسد والمفسد، وبين المجرم والمجرم، كلُّ على حسب ما اقترفه وجناه من خير وشر، مساواة لا تمنع أن يكون فيها صغير وكبير أو فاضل ومفضول في سيرته وعمله، وإنما تمنع انقلاب أوضاع الناس بأن يكون هذا سيدًا وهذا عبدًا، أو هذا ربًا وهذا مربوبًا، أو أن تسخر الفوارق المادية لمسخ الطبيعة

والقيم الإنسانية، تلك الفوارق التي نقلت الأوغاد أمجادًا، وتهزأ بذوي السؤدد، وتملأ الأرض فسادًا بارتقاء المفسد إلى درجة المصلح والمجرم إلى درجة المحسن، والخبيث إلى رتبة الطيب، كما هي حال من لم يحققوا عبودية الله في هذا الزمان.

السابع والخمسون: بتحقيق عبودية الله يتيسر تحقيق الضمان الاجتماعي والعدالة الاجتماعية في جميع الأحوال والميادين، ويعين على ذلك جريان الأمور على وفق ما ذكرناه سابقًا من المساواة التي لا تتحقق إلا بتقوى الله وانعدام الأنانية والمحسوبية اللتين تفاقم شرهما في هذا الزمان، بحيث لا تحصر الانتخابات للمشورة في أهل الثراء، ولا يفسح المجال في الوظائف والدواوين لأبنائهم من دون أبناء الفقراء، ولا تقتل معلومات قوم ومواهبهم على حساب قوم آخرين، بل تقدر الواجهات والمناصب بحسب الأعمال والمواهب، ويقمع الجشع وتمحى الأنانية، فتساوى أقدام الأمة في الأعمال والواجبات، وتتهياً جميع الوسائل والمعونات لاحتراف العاطلين في طلب الرزق من الأمة فيما بينهما بدافع ديني ابتغاء وجه الله، دون الارتكان على الولاء الذين لو صلحوا لما استطاعوا على الإحاطة بكل شيء والاضطلاع بكل واجب، فالشعور بالمسئولية أمام الله يجب أن يشمل كل أحد تجاه الآخر؛ ليتحقق الضمان الاجتماعي ويكونوا عباد الله إخوانًا.

الثامن والخمسون: عبودية الله توجب على أهلها ألا يعيشوا بإيمان أعزل أمام إلهاد مسلح، بل يسعون غاية السعي بكل مجهود؛ ليكونوا أقوياء مسلحين بجميع أنواع الأسلحة الأدبية والمادية والمعنوية؛ ذوي خبرة بفنون الحرب الباردة والكاوية؛ ليدفعوا الإلهاد في أي ثوب ظهر، ويقمعوا أهله باللسان

والسنان، ويكسروا أسلحتهم ويفضحوا فريقهم، وإذا برد سلاحهم لسبب من الأسباب وجب ألا تبرد أسلحتهم ولا تجف أرقامهم، وإلا لم يحققوا عبودية الله المنجية لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وسقطوا وانهمزموا أمام كل مبطل.

التاسع والخمسون: عبودية الله توجب على أهلها ألا يتخلفوا عن خوض معركة الدين ضد المنادين بانتهاء عصره، والراغبين في حصره داخل إطار ضيق منعزل عن الحياة، وجعله روحانياً صورياً كما فعله أهل الحل والعقد في بعض الدول التي أغفلت في دستورها التنصيب على دينها الرسمي، والذين تخلفوا عن خوض المعركة معهم وتخاذلوا عن مواجهتهم والاستعداد لقهرهم، لم يحققوا عبودية الله كما أمر، لفساد ضمائرهم بالمادة وركونهم إلى الحياة الدنيا واستحبابهم لها على الآخرة، وتلاشى يقينهم بالله بحيث تركوا الاستعانة به والتوكل عليه المشجعين على العمل، والاستعداد بكل قوة للجهاد في سبيله، ومراغمة أعدائه القائلين ما قالوا، والله - جل وعلا - شرع قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة ليعملوا بمدلولها، فيحققوا ابتهاجهم إليه، ومخاطبتهم له بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولو حققوا ذلك لما نبت هذا الإلحاد، فضلاً عن انتصاره، فجهل العامة بمدلولها، واستكانة علمائهم إلى الدعة ولذة العيش عن نيل وعد الله في الآخرة، هو الذي أنبت في الدنيا كل إلحاد ومكر ورذيلة، فيا ويل من وقف أمام الله كل يوم عشرات الركعات يردد فيها هذه الآية الكريمة دون عمل بمدلولها؛ لأنه بعيد عن الصدق مع الله، ومن لم يصدق مع مولاه فلا خير فيه وكان عرضة للغضب وكل عقوبة. ومن هنا يدرك القارئ السر في سوء حظ المسلمين الذين يقولون ما لا

يفعلون بعدم تنفيذهم لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]،
﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] أليس
تخلفهم وتخاذلهم أمام تلاميذ الإفرنج الذين عزلوا الإسلام عن الحكم دليلاً
على ضعف إيمانهم بالله واليوم الآخر؟ إلا أن المؤمن الذي يرجو لقاء ربه لا
يرضى بإقصاء دينه وتحكيم غيره، بل يثور على كل نحلة فاجرة حتى يمجا
سعيداً ويموت شهيداً، ولا يترك تلاميذ الإفرنج يستوردون قوانين الدخلاء
ويبثون عاداتهم وتقاليدهم، فيرتفع رصيدهم على حساب دين الله، هذا شيء
لا يقبله من أسلم وجهه لله وأخلص دينه لله ولم يخش أحداً إلا الله، وإنما
يقبل ضعيف الإيمان، عديم الإخلاص، من يخشى الناس من دون الله
ويتزلف إلى طواغيتهم الذين شرعوا لهم ما لم يأذن به الله، وهذا غير محقق لـ
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بل هو مناقض لقوله، ومسلم وجهه لمن
تزلف إليه من الحكام، وانشرح صدره لتشريعاته، ولذا خذل الله المنتسبين
للإسلام من ذلك الصنف وجعلهم يوصمون بالرجعية وكل منقصة ممن عبدوه
وأسلموا وجوههم إليه، ولم يشفع لهم خدماتهم لسياسته وإفتاؤهم العوام ببذل
زكاتهم لنصرته تمشياً لرغباته، فها هي الأقلام تجري والإذاعات تعوي من
أولئك النابذين للدين بسبب المنتسبين إليه مع مهادنتهم إياهم والمشى في
ركابهم؛ لأنهم فرطوا في جنب الله فأذلهم، ولو عبدوه حقاً ونصروه لحقق
لهم وعده الذي كتبه على نفسه بقوله: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾
[محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولكنهم ركنوا
إلى الذين ظلموا بتبديلهم قولاً غير الذي قيل لهم، أو جنبوا فانخذلوا أمامهم

خشية لهم من دون الله، فسلطهم الله عليهم فزادوهم رهقًا واتخذوهم سخرية.

أكذوبة (الدين لله والوطن للجميع):

الستون: عبودية الله المرضية لا تتمشى معها أكذوبة (الدين لله والوطن للجميع)، فلا تنطلي هذه الفرية على عباد الله المخلصين ولا يقبلون من أهلها صرفًا ولا عدلاً، إذ هي خطة ركزها طغاة الاستعمار، وملاحدته لاطراح دين الله الإسلام، وعبادة الأرض والجنس، والرجوع بالأمة إلى أفقع من الجاهلية الأولى بهذه الفكرة التي ألهبوا بها حماس الناس باسم الوطن، واستوردوا من أجله كل مبدأ غريب، واستطابوا كل عمل وتشريع خبيث؛ لأنهم لم يقيموا للدين وزنًا، فالعابد لله حقًا يرى أصحاب هذه النحلة من زعماء القوميين ومخدوعيههم يبنون الوطن على أوضاع طغاة الشيوعية مخالفين هدي الله ولا يعمرونه بتقوى الله، فيصرف مكرهم وخداعهم ونفاقهم الذي طلبوه بقولهم (الدين لله والوطن للجميع)؛ لأنهم لم يلتفتوا إلى دين الله فيما يفعلونه وما يذرونه ولم يعملوا على تأييده، بل ناصبوه العداة ورموا أتباعه ودعاته بكل نقيصة، ولو قدروا الله حق قدره حملوا دين الله على رءوسهم وطهروا العالم بنوره، فالمحقق لعبودية الله يتساءل معهم هذه الأسئلة:

- ١- كيف لم تعملوا بالدين الذي اعترفتم أنه لله وتقيموه كما أمر الله لتحققوا عروبتكم التي عرفها الله به؟
- ٢- هل جعلتم دين الله هو الأصل والدستور والحكم، فبنيتم الوطن على ضوئه، وأجريتكم الأحكام من ينبوعه؟
- ٣- لأي شيء تستوردون الظلم والقوانين من أعداء الله وتعرضون عن

كتابه الذي هو ذكر لكم؟ أعتقدون أنهم أهدى سبيلاً وأنهم أصدق من الله
قيلاً؟

٤- هل الوطن أحب إليكم من الله ورسوله حتى تتعلقوا بمذاهب الكفر
من أجله؟ اصدقوا اصدق الأبطال ولا تراوغوا مراوغة الثعالب.

٥- لأي شيء تكذبون الله وتناقضون قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] بتبنيكم هذه الفكرة وجعل شعاركم هذه الكلمات
المفتريات على الله (المسلم والمسيحي، كل دينه مليح، كل المذاهب لله أما
الوطن للجميع) فتنسبون إلى الله ما تبرأ منه، وقد أخبركم عن المسيح أنه جاء
للنصاري مبشراً برسالة نبيكم محمد ﷺ.

٦- هل الواجب عليكم السعي لتحقيق وحدة دين الله وإعلاء كلمته أو
إعلان تفريق دين الله بحجة الوطن؟

٧- إذا كنتم صادقين بقولكم (الدين لله) فما لكم تبتغون غير الله حكماً
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿كِتَابًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] فكيف تنبذونه وراء ظهوركم وتقبلون على كتب أعدائه
وأعدائكم.

٨- هل تعتقدون أن دين الله دين واحد أو أديان متفرقة؟ فإن كنتم تعتقدون
أنه أديان شتى، وأن لكل إنسان الحق في سلوك ما شاء منها - كما يصرح به
فلاسفة قوميتكم ورؤساؤكم ومديرو جامعاتكم - فهذا قول مصادم لمقصود
الله من إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى أقوام لا يقصدون بعبادتهم إلا التقرب
إليه زلفى، كما حكى ذلك عنهم في القرآن، وأوجب على المسلمين جهادهم

مع اعتقادهم لذلك، بل قولكم هذا مناقض لرسالة نبيكم محمد ﷺ إلى الناس كافة وحصرها بأنها رحمة للعالمين، فبئس ما خلفتموه في رسالته، وإن زعمتم أنكم تعتقدون بأن الدين دين واحد طالبناكم بإقامته وإرشاد الناس إليه وبناء الحكم والوطن على ضوئه وأساسه، وإن لم تفعلوا كتتم ممن قال الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٨، ٩]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤].

لماذا تعيبون الدعوة إلى الدين، وتقذفونه بالنعوت الشائنة، لتنفير النشء الجديد عنه، فتقعدون بكل صراط من المؤسسات والنوادي توعدون وتصدون عن سبيل الله، هل لأن (الدين لله) تعاملونه بذلك؟

٩- هلا أخضعتكم المبتكرات العصرية لدين الله واستعملتموها في طاعته، وغرستم في الناس الفضيلة والإيمان بالغيب بدلاً من المادية والتفسخ، أم أنتم في قولكم: (الدين لله والوطن للجميع) كالمشركين الذين أخبرنا عنهم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

١٠- كيف تجعلون الأولوية والغاية لمحبة الجنس وتقديس الأرض باسم الوطن، والله أوجب عليكم تقديم محبته والجهاد لإعلاء كلمته على أقرب قريب وأحب حبيب من ولد ومال ووطن، فتضربون بنص كتابكم عرض الحائط، أهذا ثمرة قولكم: (الدين لله والوطن للجميع) ﴿قُلْ بِسْمَا

يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة: ٩٣﴾.

١١، ١٢، ١٣ - ما موقفكم من سورة (العصر) وما موقفكم من قول ربكم - تعالى - : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ما دتم ترون ترك الناس يسلكون ما شاءوا من خلق ودين؟ وما موقفكم من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] كيف تكونون شهداء على الناس وأنتم لم تبلغوهم الرسالة التي أورثكم الله إياها وجعلكم خلفاً لنبه في حملها؟ ثم بماذا يشهد عليكم الرسول؟ أيشهد عليكم بنبذها واتباع ما رسمه طغاة الشيوعية والملاحدة تقديمًا له على الله ورسوله؟ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٤ - كيف تعتزون بعروبة فصلتموها عن روحها وهي الدين، وعزلتموها عن رسالتها السماوية، إذ بدلتكم قولاً غير الذي قيل لكم، فهل يكون اعتزازكم صحيحاً أو ممسوخاً؟

١٥ - لو فرضنا صحة اعتزازكم بعروبة مجردة عن دينها ورسالتها السماوية فإن العروبة الأصيلة مجبولة على سجايا شريفة وأخلاق كريمة مشتهرة بالغيرة والحفاظ على الأعراض والصدق والوفاء والنفرة من التقاليد الأجنبية النابية عنها، وعروبتم التي تبجحون بها راکسة في حضارة أعداء الله وأعدائها، بل مكتوبة بناها قد سقطت فيها الأخلاق إلى الحضيض، وماتت منها العاطفة الإنسانية الصحيحة، وأهدرت الكرامة، ورخصت في عينها قيمة الأعراض، وفشت الجنايات والسفالات فشواً مريعاً حيث صار المنكر المذموم هو المعروف

المحبوب، والمعروف المحمود عند الله وعباده الصالحين هو المنكر الرجعي الوحشي، فكيف تدعون العروبة الأصيلة وأنتم لم تسلكوا طريقة نبيكم العربي حتى في التربية والتعليم، بل سلكتم طريقة (فرويد) وغيره من ملاحدة علم النفس، وكيف يصح اعتزازكم بعروبة من هذا النوع قد أضاعت المشيتين؟ فلا حملت رسالة نبيها ولا تعلقت بأخلاق أجدادها، بل تعلقت بالكفر ومفاسد الغرب وخبائث الشيوعية؟

هذه أسئلة وأمور يستدرکها العابد لله حقًا فيوجهها بكل حرارة وإنكار إلى المبتدعين أكذوبة (الدين لله والوطن للجميع) يستظهر بها باطلهم ويكشفهم على حقيقتهم للأغرار والمضبووعين الذين لعبوا على عواطفهم بهذه الأكذوبة، ولا يسمح لهم بالاسترسال في غش الناس وتضليلهم وتكليف أبنائهم بصبغة وثنية لا تعرف إلا المادة وتقديس الأرض والأشخاص، فالعابد لله لا يسمح لهم بذلك، فضلًا عن أن يسلكهم عليه أو يكون لهم صنعة يجذب ما أرادوا، بل يصرخ في وجوههم صاعدًا بملة إبراهيم عليه السلام ناصحًا لله ورسوله وعباده من الانزلاق في إفك هؤلاء الصادين عن سبيل الله، الفاتنين الأمة عن دينها وعبادة ربها ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ومن لم يقم بواجبه في دحض فرية هؤلاء وتفنيذ مزاعمهم وقمعهم بالمستطاع فليس محققًا لـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن جميع خططهم تهدف إلى هدم الدين الإسلامي والقضاء على مقوماته وأخلاقه، وإسقاط حقوق رب العالمين في جميع الميادين مع ما فيه من الطعنة النجلاء إلى صميم العروبة الأصيلة بإبعادها عن رسالتها التي اختارها الله لها وكلفها بحملها، وضمن لها السؤدد الكامل في جميع الأرض إن هي قامت بواجبها، وحصر لها الشقاق والضلال إن هي حادت

عنه، فأعداء الله وأعداؤها رسموا لها هذه الخطة الأثيمة ليقعوا في وعيد الله وغضبه، والعابد لله حقًا لا يرضى بذلك أبدًا يبذل النفس والنفس في دفعه ومقاومته، وكيف يرضى بما هو خيانة لله ورسوله من مضادة ملة إبراهيم عليه السلام بهذه النحلة وترك التواصي بالحق والأمر بالمعروف وحماية المبلغين رسالة الله بقمع من يقف لصددهم بأي وسيلة، إذ هذه الأكذوبة تناقض أعظم مهمات العبادة وتشجع حزب الشيطان على حزب الرحمن، فلا يحقق المسلم عبودية الله إلا بمقاومة أهلها كما تقدم.

الحادي والستون: العابد لله يتخذ الله هاديًا ونصيرًا وحاكمًا ووليًا، فلا يطلب الهداية من غير وحي الله، بل يعتبر جميع الأوضاع التي لم تركز على وحيه بدعة وفرية وأملًا وتشكيكًا من وحي شياطين الإنس والجن وطواغيتهم، فلا يطلب النصر إلا من الله، ويجتهد في الاستعداد وتسخير القوى معتمدًا على الله، ولا يبتغي غيره حكمًا، ولا يرجو من سواه نصرًا ولا يسمح بفراغ، أو يضيع لحظة بدون عمل لنصرة رب العالمين.

الثاني والستون: عبودية الله تقضي على الضعف النفسي، فلا يكون معها مكان للهلع والخور؛ لأنها ناشئة عن قوة عقيدة وإيمان وكمال ثقة وإيقان فيما عند رب العالمين، فتجد العابد الحقيقي يثق بما عند الله أكثر من ثقته فيما بين يديه، ويعرف أن الأمر كله لله، وأن تصريف الكائنات كلها بيديه، فيزداد نشاطه على الأخذ بالأسباب التي رتب الله عليها مسيبتها بمقتضى حكمته، والإقدام في سبيل الله لتطهير الأرض من الظلم والفساد، موقنًا أن النصر حليفه إذا مشى في ذات الله وفي نصرته دينه، نصحاء له وصدقًا معه وإخلاصًا.

الثالث والستون: بعبودية الله يتمايز قلب المؤمن بالثبات على الحق حيثما كان، والدأب في نصرته بهمة عالية وعزم قوي، لا يثنيه عنه كثرة خصومه مهما تكالبت عليه قوى الشر، إذ لا يعتبرها في جنب الله إلا كالفرأش، مقتدياً بعباد الله الصالحين، كموسى مع فرعون وملئه، وإبراهيم مع النمرود وأشراره، ومحمد ﷺ مع صنديد قريش.

الرابع والستون: عبودية الله بعزيمة صادقة تحقق لأهلها التوكل على الله الذي هو لب الإيمان وجوهر العقيدة، وبتحقيقه قويت الصحابة الكرام على غزو فارس والروم دون الانتصار بأحدهما على الآخر، الذي هو شأن الساسة المكررة من خلف السوء إلى اليوم؛ لأن حقيقة التوكل هو الاعتماد على الله باعتقاد جازم أنه هو الحسيب على عباده، الكافي لهم شر أعدائهم، وكلما قوي التوكل قويت العزيمة على الإقدام والأخذ بالأسباب في غاية المستطاع، فهو خير حافظ على القوة بخلاف التواكل الذي هو مجرد عجز وجبن يثول إلى زعزعة العقيدة وضعف النفس، فشتان ما بينه وبين التوكل الصحيح، ومن أراد الاعتبار بالفرق العظيم بين التوكل والتواكل، فلينظر إلى موقف قوم موسى لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، وموقف أصحاب محمد ﷺ يوم بدر، ويكفيه عبرة.

الخامس والستون: عباد الله لا يستحبون الدنيا على الآخرة، فذلك من صفات الكافرين، بل يعتبرونها مزرعة للآخرة، فيبدلون أقصى مجهودهم بجلائل الأعمال والمسابقة إلى الخيرات وإصلاح الدنيا على وفق شرع الله، فسيرهم فيها وسط بلا إفراط ولا تفريط لم يجعلوها أكبر همهم ولم يتعلقوا بالمادة هذا التعلق المشين ولم يسلكوا الزهد الهندي الذي لم يشرعه الله فيعيشوا في

بؤس وذلة ويضيعوا حق الله مما تقدم ذكره وما سيأتي له مزيد، فإنه بسبب هذا الزهد المذموم وما قذف به على الشرق من خرافات حصل تفريط كبير في نواحي الحياة فأطاحت بحرية أهله؛ حيث ماتت فكرة الجهاد وما يستلزمه من إعداد القوة، فمسخوا دين العزة والفتح والكرامة إلى دروشة وخنوع لكل مستعبد، وتفريط في جنب الله ضاعت معه جميع المقومات.

السادس والستون: عباد الله لا يتجردون من ولاء الله ورسوله وموالاة أوليائهما السالكين هديهما، بل يتجردون من ولاء من سلك غير هديهما في نواحي الحكم والحياة، واتبع غير سبيل المؤمنين مما تمليه المذاهب والمبادئ العصرية التي ركزها أعداء الله ورسوله من أئمة الكفر وطواغيت البشر؛ لأن الموالي لهؤلاء والمحبذ لأفكارهم ليس من الله في شيء، فموالاة الله تستلزم التجرد من ولاء المتبعين غير سبيله، كما أن موالاتهم والسير في ركابهم يستلزم التجرد من ولاء الله ورسوله وأوليائه، والخروج من عبوديته الشرعية.

السابع والستون: العابد لله لا يضعف ولا يهن ولا يحزن، ولا يعتبر النكوص عن الجهاد في الصبر على البأساء والضراء تطوعاً؛ لأنه انهماك سياسي يؤاخذ الله به المسلمين ويعاقبهم عليه في الدنيا والآخرة؛ لأن الصبر الممدوح في (آية البر) ليس معناه الاستسلام والخنوع، بل معناه المصابرة على جهاد أعداء الله والمرابطة في الثغور لإعلاء كلمته، خلاف ما فهمه المتأخرون من أصحاب الطرق والتصوف الذين يرجون الثواب بالصبر على عسف الكفار؛ استخفافاً منهم بعيثة الذل في الدنيا السريعة الزوال، وطمعاً في الانتقام منهم في الدار الآخرة، ناسين أن تفريطهم في الجهاد في ذات الله ورضاهم باستضعاف أعدائه لهم خطيئة يصلحهم بها جهنم وساءت مصيراً، إلا من

استثنى في سورة (النساء) ممن ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] فالمحقق لعبودية الله الشرعية لا يرضى بذلك أبدًا.

الثامن والستون: بتحقيق عبودية الله تنجو الأمة جماعة ووحيدانًا من الجهل المركب المؤدي بصاحبه إلى كل شر وضلال وهوان، ومن أنواعه ما قدمنا في الوجه السابق، وأنواعه كثيرة كلها تستند إلى الاعتقاد الفاسد الذي هو تصور الشيء على غير هيئته وخلاف حقيقته، فلذا سمي جهلاً مركباً؛ لأنه مركب من عدم العلم بالحكم الحقيقي، وتصور الحكم الفاسد بدله مع التعصب، وعبودية الله تعصم صاحبها من ذلك لاستنارة قلبه بوحى الله وهداه، وعدم التعصب لما يتخيله أو يقذفه الناس عليه.

التاسع والستون: تحقيق عبودية الله وفق شرعه هو القيم على الروحانية في العالم، وبدونها تنبعث الأزمات النفسية، ويستحكم طغيان المادية، فتسخر الناس لأغراضها بأي نحلة يتحلها طغاتها، وتنتشر الفوضى الجنسية بسبب انحلال الأخلاق لضياح الإيمان بالله والحرمان من عصمة عبوديته، حتى تصبح العفة النفسية شذوذاً جنسياً، كما هي الآن في بعض الأقطار، ويكون الربا الماحق روحاً للمعاملات وشرابين لحياة أولئك الذين فقدوا عبودية الله حتى ينزلقوا إلى الجحيم الحمراء، فالمادية القائمة على نوازع الأثرة وقوانين المنفعة وانتهاز اللذائذ واشترائها بأي ثمن، لا ينقذ الناس من جحيمها المستعرة بكل لون إلا تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأنها تعمر القلوب وتشغلها عن أن يغزوها شيء من الثقافات والمبادئ المادية، وتطهرها بالعقيدة الصحيحة التي توجب عليها العدل والرحمة والإحسان، من إطعام المحروم وتشغيل العاطل وتسخير جميع القوى والإمكانات، وعدم الاعتراف بمال

حرام أو كسب من سحت، ولا تجيز معاوضة الجهد الشاق بأجر بخس، ولا مكافأة العمل التافه بأجر كبير، ولا تبيح التعطل والتسول والفوضى والاتكال على الغير في القوى والإنتاج، وتعد الدولة مسئولة عن جميع ذلك، ولا تبيح لأحد ممالأة الظالم، فضلاً عن موالاته وحبه، وامتداحه وإسباغ صيغة حسنة على ظلمه، شأن أهل هذا الزمان الذين أضاعوا عبودية الله، فكانوا عبيداً لشياطين الجن وطواغيت الإنس، ومولعين بكل نقيصة ورذيلة.

السبعون: بعدم تحقيق عبودية الله المطلوبة يتكون بين ظهراي المسلمين، بل من أولادهم أقوام يندون القرآن ويستهترون به، ويضيقون بحكم الله - تعالى - ويحتكمون إلى الطاغوت، فينبعث منهم طواغيت يجلبون على الناس كل طامة وبلية من إحد الشرق والغرب، وكافة مبادئهما وتقاليدهما الساحقة الماحقة للمال والحرية والشرف، وها نحن نرى أكثر الناس اليوم قد أثبتوا بذلك ووقعوا فيما وقع فيه المشركون الأوائل من ائتمارهم بأوامر متبوعيههم ومحبوبيهم وانتهائهم عما نهوهم عنه، وتحريمهم ما حرموه واستحلالهم ما حللوه كيفما كان، وقد سمى النبي ﷺ هذا شركاً، والقوم في غفلة أو إعراض عن العقيدة الموجبة عليهم والمحررة لنفوسهم من استرقاق الطواغيت؛ لأن تحقيق عبودية الله يضمن إشراق العقيدة، وعمق الإخلاص لله في النفوس يعصم صاحبه من اجتيال شياطين الإنس له، وصدق الجهاد في سبيله ابتغاء مرضاته يحول دون ظهورهم لفتنة الناس، فإذا لم تتحقق العبودية بذلك حصل نقيضها من تلك الظلمات الوثنية التي ذكرناها والتي قاسيناها وافتتن بها أولادنا اغتراراً بالأسماء الكاذبة المحببة لها إليهم، وهي سراب، أو علقم وخراب، بجميع ما فيهما من معنى.

الحادي والسبعون: عبودية الله الحققة أساس النهضات الصالحة؛ لأن حياة أصحابها تكون إشعاعًا من القرآن يتحقق منها جميع أساليب الحرية والعدالة والقوة المادية والمعنوية ونفوذ البصيرة وانطلاق التفكير والاستعانة بالشورى وإيجاد التعاون الذي يثبت عرى الروابط الأخوية ويزيل الفوارق الطبيعية: فوارق اللون والبلد والعصبية، التي تفاقم شرها في هذا الزمان، ولها الأثر السيئ في كل زمان ومكان، الذي لا يزيله إلا تحقيق عبودية الرحمن على ما أسلفنا.

الثاني والسبعون: العابد لله يجند نفسه لمقاومة كل ثورة على الإسلام وتعاليمه، وحملته المخلصين، مهما اتسمت هذه الثورة بأي اسم قومي أو وطني أو اشتراكي وما إلى ذلك، ويعاهد ربه بتكريس جميع قواه لدحض المفترين عليه، المفتتين على شريعته، حتى يقمعهم ويفضح باطلهم، ويكون جريئًا مقدامًا، لا يخرسه خوف بأسهم ولا رجاء مودتهم ولا حب الحياة بمكان يهان فيه شرع الله وتهتك حرماته؛ لأنه إن لم يتصف بذلك ونكص عن مجابهة أولئك؛ كان جرمه أشد من جرم المتولي يوم الزحف، فكان غير محقق لعبودية الرحمن؛ لأن الغزو الثقافي والصراع الفكري أشد خطرًا من الغزو العسكري، وأسوأ غلبة في التأثير، إذ فيه تسميم العقول وإذابة الأرواح، وإذا كان قاتل الجسم يقتل قصاصًا وتتخذ وسائل الدفاع لاتقاء شره، فقاتل الأرواح ينبغي الاستعداد له والعمل على قمعه أزود من ذلك بكثير.

الثالث والسبعون: وهو أن عبودية الله توجب على أهلها معاونة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بجميع الوسائل والأساليب، والعمل الدائب على حفظ عقائد أولادهم بتجديد طبع الكتب الإسلامية وترجمتها، وبث النشرات

التي فيها تفهيم فلسفة الإسلام الصحيحة في سائر تشريعاته، وصياغة الألفاظ حسب الأساليب الرائقة المفهومة في هذا العصر، وإرسال البعوث تلو البعوث لتقوية عقيدتهم وإمدادهم بما يلائم تقوية معنوياتهم أو العمل على ترحيلهم إن لم يتسن ذلك، لئلا تقطع أوصال المسلمين إربًا إربًا في كل ناحية، فتزول هيبتهم وتهدر كرامتهم، فإن الله سائلهم جميعًا عن ذلك، ولو حققوا التساند الواجب عليهم بكل معانيه لما انتقصوا من أطرافهم وغزوا في عقر دارهم، وإذا حققوا مدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تحققت لهم العزة بإذن الله.

الرابع والسبعون: عبودية الله توجب على صاحبها ألا يضع شيئًا من أوقاته سدى، بل يشغل جميع أوقاته وثواني ساعاته بكل عمل يعود نفعه على الإسلام وأهله في شتى المرافق والميادين، بحيث لا يؤخر عمل اليوم لغد أبدًا، بل لا يؤخر عمل الصباح إلى المساء، ويغتتم كل فرصة سانحة، ولا يفوتها ويتحسر لو فاتت أعظم مما يتحسر لخطب فادح اختص فيه بحيث لو علم أنه سيموت غدًا ما استطاع أن يعمل أكثر مما عمل، فبذلك تتحقق عبودية الله ويكون من حزبه المفلحين العاملين لإعلاء كلمته في الأرض.

الخامس والسبعون: عبودية الله تفرض على أهلها المواساة والإيثار والجود بالمال في جميع نوائب المسلمين، وتشطيره حسب حاجات الثغور من تأمين حاجة الدعاة وأرامل المجاهدين وعوائلهم، ورفد كل من يستحق الرفد من عباد الله، والعمل على جعلهم في بحبوحة من العيش.

السادس والسبعون: عبودية الله تقضي على عباده باستعمال الإحسان في كل شيء وعدم الخروج عنه مهما اشتدت العداوة، ما لم يخرج عن الحدود،

فلا تجد في تاريخهم التعذيب والتنكيل وسوء القتلة والذبححة من رضخ الرأس،
والتمثيل، والسحل، والإحراق، ودفن الأحياء كما يفعله أصحاب المبادئ
الأرضية المادية والإلحادية. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان
على كل شيء ..»^(١).

الحديث.

السابع والسبعون: بعبودية الله يحقق العابد شخصيته الأصلية وإنسانيته
الكاملة التي يتميز بها بين أقرانه بالاستقامة في سيرته، وسلامة عقله وضميره
من المؤثرات التي تظهره بمظهر عدم التوازن أو بمظهر الازدواجية.

الثامن والسبعون: عبودية الله تصحح ضمير العابد وتطهر قلبه وتجعله
سليماً مستقيماً؛ ليس في قلبه سوى محبة الله ورسوله ومحبة من يحبهما وبغض
من يبغضهما كائناً من كان، فلا تميل به العاطفة عن تلك القاعدة الحنيفية أبداً.
أما من لم يحقق عبودية الله فلا بد أن يصاب بأزمة الضمير، وتذهب نفسه
حسرات على من تعلق به من أشخاص ومبادئ كما هي الحال المشاهدة في
أهل هذا الزمان.

التاسع والسبعون: عبودية الله توجب على أهلها أن يصلوا ما أمر الله به أن
يوصل، فمع قيامهم بحق الله فإنهم يقومون ويؤدون حقوق الوالدين
والأقربين، واليتامى والمساكين.

الثمانون: وهو صلة ما أمر الله به أن يوصل من قرابة الدين في سائر بقاع
الأرض، إذ إن أخوة الدين وأواصره أعلى وأغلى من كل شيء، فبالدين يقرب
البعيد، وبالنكوص عنه يبعد القريب، كما عزل الله الكافر من أولاد نوح

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٤٨) رقم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

ﷺ عن أهله وأبعده عنهم، وجعل أبعد المسلمين أقرب منه، وجعل الموالي من الأعاجم والأحباش أقرب إلى نبينا محمد ﷺ من عمه أبي لهب وأحزابه.

الحادي والثمانون: عبودية الله توجب على أهلها الوفاء بالميثاق الإسلامي، الذي يربط المشرقي بالمغربي، والعربي بالأعجمي، والمغربي بالمشرقي، برباط العبودية ضمن الشهادتين، كما شرع الحج لأجل ذلك، فخارق هذا الميثاق بالرجوع إلى العصبية وتبني القوميات المبعدة لبعضهم عن بعض والمقربة لأعداء الإسلام تحت اسمها، مخلٌ بعبودية رب العالمين ومناقض لمدلول سورة (الفاتحة)، وقد ظهر التأثير السيئ لذلك في هذا الزمان الذي رجع غالب أهله إلى الجاهلية الأولى، وركسوا في الوثنية من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

العبودية لله واسطة بين الدنيا والآخرة:

الثاني والثمانون: بتحقيق عبودية الله يبيع المؤمن نفسه وماله لله رب العالمين، موقناً بالثمن الغالي النفيس لهما، فيتكرم الله بشراء ذلك منه ويعد الفصل بين كلمتين: يعد له في جنات عدن ما أعده لأوليائه الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، خلود وأمن في غرف من فوقها غرف، من دخلها ينعم لا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦]، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] فالمؤمن بتحقيق عبوديته يصدق ببيعة مع الله؛ فيعتبر نفسه وماله وديعة لربه يسارع بدفعها إليه، ومعنى ذلك ألا يرى أنه مالك لشيء من المال، بل يرى أنه وكيل مؤتمن عليه، يضعه حيث أمره الله ولا ينفق منه شيئاً في غير مرضاته أبداً، وباعتبار روحه وديعة لربه يرى نفسه جندياً مطيعاً لله

يضعها في أي ميدان يأمره؛ فيقف موقف الموت لإعلاء كلمة الله، لا يخاف بأسًا ولا رهقًا، ولذا نجد الصحابة الكرام الذين صدقوا البيعة مع الله وقفوا موقف الموت أمام أعدائه، غير مباليين بكثرة عددهم أو قوة شوكتهم، فعجل الله لهم أول التجارة في الدنيا بنصر عزيز وفتح مبين، علاوة على الثمن الحقيقي الآخر الذي يتنافس فيه المتنافسون في الدار الآخرة، وسيحقق الله نصره ويصدق وعده مع كل من خلف أولئك، فقام بتحقيق عبوديته وصدق بيعته.

الثالث والثمانون: عبودية الله توجب على أهلها مع ذلك ألا يفرطوا بنصيبهم من مقومات الحياة الدنيا كشأن أهل التصوف والدروشة، بل لا بد له من خوض معركة الحياة وتسخير جميع الماديات واكتساب ما أمكن منها بالطرق المباحة، ليتمكن من أداء رسالته في الحياة بالإنفاق في سبيل الله من كافة الوجوه، ويتماسك كيانه مع إخوته المؤمنين، فتكون لهم اليد الطولى التي يقدرون بها على الإصلاح والإصلاح في الأرض؛ لأن ما في الدنيا من المقومات المادية الهائلة سلاح خطير إذا سبق إليه أهل الضلال وظفروا به؛ كان وسيلة فعالة للتحكم في الناس وإفساد دينهم ودنياهم، كما جرى على المسلمين بسبب الأفكار الدخيلة التي أقعدتنا عن الأخذ بأسباب القوة والهيمنة على الدنيا والتفوق على أهلها، وأفسحت المجال لأهل الضلال، وجعلت المخدوعين المنزلقين في غيهم يتهمون الدين بأنه مخدر ومبld، يصرف الناس عن التفوق في شؤون الحياة، ولو كانت أفكار أكثر الصوفية ومن على شاكلتهم حقًا لما كان لمشروعية الإرث فائدة، ولا لفرضية الزكاة والإنفاق في سبيل الله فائدة، بل ولا كان للهجرة والجهاد فائدة، لأن الدراويش من أين لهم:

يورثون أو ينفقون وبأي سبب يجاهدون؟! وقد فقدوا الأسلحة المادية التي هي مقومات الحياة ووسيلة للعزة فيها بإذن الله، وإنما الحق الصحيح الواجب هو ألا يفرط المسلمون بنصيبهم من مقومات الحياة الدنيا.

الرابع والثمانون: وذلك أن عبودية الله توجب على صاحبها ألا يجعل الدنيا غاية الغايات، ولكن يخوض معاركها، ويكدر فيها؛ ليتخذها وسيلة للغايات الكريمة التي جعلها الله من شعب الإيمان، وأوجب عليه أن يعمر بها أرضه، ويطهر أهلها من الظلم والفساد، وينجيهم من كل فتنة، ويرفع مستواهم عن الفقر والمسكنة، ويغذيهم بالعلم النافع المصلح لأخلاقهم وعقائدهم، المقوي لعزائمهم، وألا يبخل في الدفاع عن معتقداته ومقدساته بنفس ولا مال؛ ليحقق الرجولة والمروءة والدين والإخلاص، أما من استمسك بالحياة وحرص على المادة لغير ذلك فهو نذل طبعًا كافر شرعًا، ومن ثم أكثر الله في كتابه الكريم وصف الدنيا بأنها متاع ليجعل قيمة المال تنزل من مقام السيطرة والتسلط على النفوس والاستحواذ على الأفئدة إلى مقام آخر، وهو مقام الوسيلة التي يجتهد الإنسان في الحصول عليها لتكون ذريعة إلى المقصد الأسمى من إعزاز الحق، وتقوية المجتمع المؤمن، واصطناع المعروف، والإعانة على نواب الحق.

إن موكب الإيمان يجب أن يكون حافلًا بألوان القوة المادية جميعها وبألوان القوة الروحية والأخلاقية، ولكن يجب عليه ألا يُسخر الثانية للأولى، بل يُسخر الأولى للثانية، ولا يكون الحق عنده للقوة أبدًا، بل يجعل جميع القوى أداة لنصرة الحق، إذ في الوقت الذي تغلب فيه المادة على الروح يكون الأمن في الدنيا مهددًا بالخطر، إذ يتعذر الاتفاق على المطامع، وتكثر أسباب التخاذل

التي تتطرق إلى النفوس بما تحمله من الأنانية التي حذرنا الله منها، وأكثر من الترغيب في الآخرة لتجعل الدنيا مزرعة لها، ولهذا تعين على عباد الله الأمر.

الخامس والثمانون: وهو أن عبودية الله تجعل المرء دائماً يتذكر الآخرة ولا يذهل عنها لحظة؛ ليعدلها عدتها كيلا يقسو قلبه ويرضى بالحياة الدنيا ويطمئن إليها، فلا يقوم بحقوق الخالق والمخلوق التي تتطلبها العبودية الشرعية، وليس معنى ذلك الانعزال عن خوض معركة الحياة والقنوع بالفقر والذلة مع التقاعس عن جلائل الأعمال، بل لتحفزه قوة شعور بأهوال الآخرة للقيام بما أوجب الله عليه وربط به مصيره، فيكون في هذه الدنيا من خيرة العاملين لإعلاء كلمة الله والإصلاح في أرضه ومنفعة خلقه ورفعته شرعه على كل تشريع، ألا ترى إلى المعرضين عن الآخرة كيف كانت قوة بعضهم على بعض، بحيث لا يعامل أحدهم أخاه بعشر معشار معاملته لقلبه، تالله إن العالم دفع ثمناً غالياً جداً لإعراضه عن عبودية الله وإضاعته رسالته.

السادس والثمانون: بتحقيق عبودية الله تكون الدنيا سجناً لكل رجل شريف من جهة، ومركز انطلاق عظيم للأعمال النافعة والكفاح من جهة أخرى، إذ هي بلا ريب سجن للمؤمن حيث يضع عليه إيمانه قيوداً من حديد تكبل غرائزه وشهواته الطائشة، فهو حبس التقوى عن الانطلاق في إشباع غرائزه وشهواته وركوب رأسه بالتسلط والتكبر على الناس، وليس معنى كونها سجن المؤمن أنه يعيش فيها صعلوكاً ذليلاً هين الشأن، منقطعاً عن العلوم والفنون، مقطوع الصلة عن معترك الحياة، بل على العكس يجب عليه أن يسعى ليعيش عيشة الأقوياء الأحرار، فيكون مثرياً وجيهاً واسع الأفق، نشيطاً جوالاً في الأرض، لا يرضى بالدنية لدينه وكيانه، بل ينطلق نحو العزة

والكرامة ويكون يدًا عليا وفق أمر الله، ولكنه يكون في سجن عن الشهوات الذميمة والدنايا وابتغاء العلو والفساد في الأرض، فلا ينطلق في الدنيا انطلاقة الحيوان، فاقد العقل والضمير، شأن أغلب الذين انطلقوا في هذه الأزمنة؛ فكانوا وبالاً على الناس في دينهم ودنياهم.

السابع والثمانون: العابد لله يعتبر المال فتنة يختبر الله به قوة إيمانه ومتاع أخلاقه وشرف نفسه بوفائه مع ربه فيما أوجبه عليه من الحقوق وما يلتزمه مقتضى الشهادتين وما تستوجبه مبايعة الله عليه، ويحرص على القيام بشكره والإحسان إلى خلقه كما أحسن الله إليه، ولا يعتبر المال دليلاً على امتيازه الذاتي، كقول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. فإن هذا من الإعجاب وتزكية النفس الذي هو من أنواع افتراء الكذب على الله.

الثامن والثمانون: العابد لله لا يسلك في اكتساب المال طرقاً غير مشروعة من الاحتكار المحرم أو أكل الربا أضعافاً مضاعفة، وبخس الناس أشياءهم بأي نوع من أنواع البخس، التي أعظمها ظلم الأجير واستغلال الكادحين في الحقول بنقص أسعارهم وغمط حقهم باسم الحرية الكاذبة أو الاشتراكية الظالمة وغيرها، مما يكون مغرياً للناس على الانزلاق في جحيم المبادئ الهدامة الكافرة، ناقمين من الدين بما فعله أذعيأؤه المضللون.

التاسع والثمانون: العابد لله يعتبر ما لديه من المال وديعة وعارية معارة لرب العالمين، وهو وكيل ومؤتمن عليه، فيسلك طرق القصد والتوفير، متجنباً الإسراف والتبذير؛ لأنه مسئول عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فلا يسارع في إنفاقه إلا في سبيل الله وابتغاء مرضاته من نصرة دينه ونشر الدعوة إليه بشتى الوسائل، وجهاد الصادق عن سبيله والمفتري عليه، ممن شرع له من

الدين ما لم يأذن به الله، أو أعاد العصبية الجاهلية أو غيرها من طرق الكفر المخالفة لهدي محمد ﷺ بأي اسم ظهرت، وبأي قومية اتسمت من أي رسالة شيطانية مخالفة لرسالات الله، وأن يُسخر ماله فيما يسعده في الدارين، من إصلاح أحوال المسلمين وإعزاز دين رب العالمين.

التسعون: عبودية الله في الوقت الذي نطلب من العابد أن ينظر إلى من دونه في الأشياء المادية، ولا ينظر إلى من فوقه لئلا يزدري نعمة الله عليه، فإنها لا تحب لأهلها الفقر والفاقة، ولا تحذرهم ولا تبلدهم فيرضون بالدون أو يقتنعون بالهون من الحياة، ولكن توجب عليهم العمل وبذل أقصى الجهود لابتغاء المزيد من فضل الله؛ ليتسنى لهم السؤدد والتقدم على أعداء الله وأعدائهم، وكل دعوة تخالف هذا فهي مجافية للدين. ومن هنا يعلم أن الطرائق الصوفية ليست مطابقة لعبودية الله الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح.

الحادي والتسعون: عبودية الله تحقق التكافؤ الاجتماعي الصحيح، ليس بالمعنى الذي يريده الملاحدة والمنصبغون بآراء الشيوعية ونحوها في هذا الزمان من الأفكار التي غايتها أن تنتهي بالظلم إلى ظلم من لون آخر، ليأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل، أو تضيق عليهم المسالك وتسد فيما بينهم أبواب المنافسة.

ولكن الذي تمليه عبودية الله هو التكافؤ الناشئ عن شعور الإنسان بواجبه نحو أخيه من: حفظ كرامته، والتواضع معه، والعطف عليه، والإحسان إليه ومساندته ومؤازرته حتى بالإيثار على النفس.

الثاني والتسعون: عبودية الله ترتفع بصاحبها عن الضعف النفسي المؤدي

إلى سقوط الضمائر والتفاف الطباع حول المراتع الخصبة، والتدلل والملق للجبابرة والطواغيت؛ لأن هذا من الشرك الذي نصه الله بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وبقدر ما تنقص عبودية الله أو تتضاءل يتفشى الضعف النفسي ويبدو سقوط الضمائر بأبشع صورة.
عبودية الله تنمي الأخلاق:

الثالث والتسعون: عبودية الله توجب رعاية الأمانة وحفظها، بجميع أنواعها، فیرعاها فيما كلفه الله من العبادات والشرائع بأدائها على الوجه الأكمل بدون نقص ولا استهانة، وإقامة وجهه لله فيها حنيفاً مخلصاً، وفي المعاملات يؤدي ما وجب عليه من حقيقة الوفاء بالعقود بدون بخس ولا محاطة، وفي رعايته لأهله وأولاده يقوم بواجب الأمانة نحو الله بحسن تربيتهم على دينه وتوجيههم إليه، وإعدادهم للجهاد في سبيله، ثم رعاية الأمانات الواجب أداؤها إلى أهلها على كل قادر من المسلمين، أئمتهم وعامتهم، وذلك بإناطة كل شيء إلى أهله، فلا تسند وظيفة إلى غير كفئها، ولا يوكل عمل إلى غير أهله، فإن المحاباة في الأعمال والمناصب خيانة للأمانة، وفتح أبواب الفساد والفوضى، وتعريض لكيان الأمة للخطر، وأي خيانة أعظم من غمط الحق بإبعاد أصحاب الكفايات ونسيانهم، واحتضان كل شرير ماجن أو حاقد أو خائن، أو تقريب بليد أو أرعن بسبب الرشوة أو الوساطة، وقد كشفت الأيام صدق التمثيل النبوي: «إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة». قيل: يا رسول الله، وكيف تضيع الأمانة؟ فقال ﷺ: «إذا

وسد الأمر إلى غير أهله»^(١). ولا شك أن هذا الإخبار منه معجزة له ومن دلائل نبوته ﷺ. وقد جنى الناس أسوأ الثمرات؛ لتضييعهم الأمانة بهذا المعنى.

الرابع والتسعون: العابد للرحمن إذا خوفه خصمه بالله وذكره بآياته، وجل قلبه فأذعن للحق، ولم يجرؤ على التمادي في الباطل ليكون ممن قال الله فيه: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان: ٧] بل يطهر عقله من كل سلطان سوى سلطان الحق - تبارك وتعالى -، كي تستقيم فطرته على ما خلقها الله طاهرة نقية لا تكدرها الضغائن ولا يستفزها طعن، فيلتزم كلمة الحق في الغضب والرضا، كما أرشده نبيه ﷺ ويكون ممن وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

الخامس والتسعون: العابد لله لا يجعل الدنيا أكبر همه والمال غاية مقصودة يستذل به العباد، ويجعله أداة للحسد والبغضاء والضعة، ينهش به كرامة المستضعفين. ويحط من أقدارهم، أو يجعله وسيلة للتسلط وكسب الجاه والترشيات للحكم والمناصب، شأن المفتونين بعبادة الهوى، الساعين للعلو في الأرض، إذ الواجب الذي تقضي به العبودية المرضية هو ما ذكرناه في الوجه الرابع والثمانين وما بعده، فارجع البصر بتلك الوجوه بقوة الإمعان.

السادس والتسعون: عبودية الله توجب على أهلها تربية أولادهم تربية دينية ينشئون بها على طاعة الله ومعرفة حدوده فيما أنزل، وإعدادهم للجهاد في سبيله، بتربية خشنة بعيدة كل البعد عن أزياء الأعاجم والتخنث والميوعة، فلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يسمحون لهم أن يعيشوا بين أحضان الإغراء والفتنة التي تبثها أمواج الأثير والصحف الخليعة، وما إلى ذلك مما لا يجوز للمسلمين السكوت عليه، بل يجب عليهم الأخذ بيد ولاية الأمور، لإصلاح هذه البرامج؛ ليتسنى لهم تربية أولادهم وذراريهم تربية يعلنون بها واجبهم أمام الله ورسوله وكتابه، ويعتبرون أنفسهم حملة رسالة، لا يجوز لهم التقاعس في نشرها وتركيزها، مهما أقيم أمامهم من العقبات والمتاعب، ليكون بذلك ممن عمل على وقاية نفسه وأهله من نار وقودها الناس والحجارة، كما تستلزم عبودية الله.

السابع والتسعون: وهو عدم السماح لعباد الله بوجود أي فراغ في جميع الأزمنة والأمكنة بين شبهم وشبابهم؛ لأنهم بكمال إحساسهم نحو واجب ربهم ورسالته، يستغلون جميع أوقاتهم، ولا يفرطون في لحظة منها، بل يستغلون كل فراغ في العالم فيستبقون إلى إشغاله في ذات الله خشية أن يسبقهم المبطلون فيملئوه بالغي والضلال، ويكونوا مفرطين في جنب الله على فسح المجال لأعدائه بذلك، إذ واجبهم يقضي باغتنام كل فرصة واستغلال كل فراغ استغلالاً صالحاً مرضياً لرب العالمين، بدلاً من أن يقتلوا الفراغ باللغو واللعب، والفسق والفجور، والمجون وقراءة الأساطير الحديثة التي تصد عن ذكر الله، وتشغلهم عن واجبهم نحو كتابهم، شأن المفرطين الذين يحسبون أنهم يقتلون الوقت والوقت يقتلهم، بل هم بخلاف هؤلاء المفرطين، يستغلون جميع طاقاتهم ولا يضيعون شيئاً من أوقاتهم، عالين أن كل لحظة تمر بهم ليس لها عوض ولا قيمة سوى العمل المثمر بها، فيتحسرون عليها لو ضاعت سدى بلا منفعة تقر بهم من ربهم، وبهذا الإحساس واصل السلف الصالح أعمالهم؛ ففازوا فوزاً عظيماً.

الثامن والتسعون: عبودية الله لا تستقيم مع خيانة الله ورسوله في الإخلال بأوامره وعدم الانتهاء عن زواجه وتضييع حدوده، وضرب سنة نبيه ﷺ بعرض الحائط، ذلك أن الله حمل عباده الأمانة فيما كلفهم به من إقامة شرائع دينه وإيجاب نصرته وحمل رايته، فمن لم يقم بذلك خير قيام، ولم يجعله غاية اهتمامه، بحيث لا يشغله عنه مال ولا ولد، فقد خان الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] فعبادة الله لا يحققها من اشتغل بأمواله وأولاده وامتعه وشهوته عن واجب الله ورسوله أبداً.

التاسع والتسعون: عباد الله لا يزكون أنفسهم عن إعجاب بما فعلوه، فيتردون في الهاوية، بل يؤتون ما آتوا من صالح الأعمال وقلوبهم وجلة يخافون ألا تقبل منهم فيسارعون في الخيرات خشية ورجاء، أما الذين يزكون أنفسهم فقد افتروا على الله الكذب بدعوى ما لم يعلموا قبوله، تجرهم هذه النحلة إلى الإعجاب، الذي يجعلهم يتكلمون على ما عملوه ويفرحون بما آتوا، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا، والذنوب يجر بعضها بعضاً، فلذا حق عليهم الوعيد لعدم استقامتهم على عبودية الله وشكره، والاستعانة به على ذلك.

المائة: عباد الله هم الذين يمشون على الأرض هوناً، بتواضع وإشفاق من خشية الله، عارفين قدرهم ومهمتهم الثقيلة على وجه الأرض، ناظرين إلى

الناس بعيني الحكمة والرحمة، ولا شك أن مشية الإنسان تنبئ عن صفاته أو بعضها، فالنفس الوقورة المطمئنة الجادة في الإحسان، القاصدة للخير، الراجية للثواب، المشفقة من العقاب، تؤثر صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية مطمئنة معتدلة، فيها وقار وسكينة ممتزجان بجد وقوة، لا بتكبر وخيلاء وتبخر، وليس معنى ذلك أنهم يمشون مشية الذلة والمسكنة التي ابتدئها بعض الصوفية والزهاد، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صلب لسرعته وقوته، ولكنهم يمشون مشية تتلاءم مع صفاتهم الطيبة المنبثقة من تقوى الله، فلا يشوبها شيء من مشية الجبارين المتغترسين، تلك المشية الموسومة في الحديث النبوي بأنها مشية: المطيطاء.

وفي تلك السمة التي مدح الله بها عباده إعلام بحسن سيرتهم ومعاملتهم لأهل الأرض بما رسمه من قوام الإنسانية، التي زخر بها القرآن من الآداب الاجتماعية التي بها يتكون الإنسان الاجتماعي، لا الصور الإنسانية الممتلئة بالغش والافتراء والأنانية، تلك الصورة المشاهدة التي قرر فلاسفة بني جنسها أنهم مهما أبدعوا في المخترعات ومخروا المحيطات وطاروا إلى السموات فإنهم لا يعرفون كيف يمشون على الأرض، بل الإنسانية المثلى تلك التي هي القدوة الوحيدة بالتقى والصلاح لما التزمت من آداب القرآن وأوامره التي يحصل بها ضبط الصلة بين عالم العقل وعالم المادة على وجه بَيِّن، لولاه ما كانت زمنية تحيا روح الزمن كله. تلك الآداب والشرائع التي لا يراد بها إلا حرية المنفعة للنوع الإنساني كله، ثم الموازنة بين مقدارها وبين مقدار الحرية التي تنال بها؛ ليكون كل شيء في نصابه الاجتماعي دون طغيان، لأن إطلاق الحرية عبث وإفساد وإطلاق المنفعة ضرر أو ضرار كما هو المشاهد المحسوس اليوم من أعمال

الذين ابتغوا غير الله حكماً، وأعرضوا عن هديه، وستكون مشيتهم وبالاً على قومهم.

الحادي بعد المائة: عبودية الله على هدى وبصيرة تقي أهلها من ضلالة الاحتجاج بالقدر على ما يحدث في المجتمع من نزوات الأنانية وفساد الأوضاع وتفاقم الجشع وغلبة الشح؛ لأن الاحتجاج بالقدر وإقحامه في هذه النواحي لا يجوز، إذ هو تخرص على القدر كإقحامه في شئون الطاعة والمعاصي والإيمان والكفر، قال الله تعالى - ردّاً على من يحتج بالقدر - : ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب، وما قُدر من المصائب يجب الاستسلام له؛ لأنه من الرضا بالله، وأما الذنب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب وجب عليه الاستغفار والتوبة من المعائب التي ارتكبها، أو قصر في إنكارها ودفعها، والصبر على المصائب هو من باب الرضا بقضاء الله وقدره، بخلاف المقضي الذي هو صنعة الإنسان، فلا يجوز تحمل شيء منه أو الرضا به إلا حسب موافقة الشرع من العدل والحكمة، وما جرى على خلاف ذلك يجب مقاومته ودفعه حسب الاستطاعة، فعبودية الله تهدي أهلها إلى المسارعة في الخيرات، والتنافس على إقامة العدل بجميع صنوفه بالمبادرة إلى إصلاح المعائب، وتقويم الاعوجاج في أي ناحية، محتسبين ذلك من التواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، وليعلموا أن الله سُبْحَانَهُ قدر الأشياء بأسبابها، فياخذوا بالأسباب متبعين كل سبب سبباً، مستعينين بالله جادين في العمل والإبداع وتسخير كل شيء واستثماره، طامحين إلى العزة والقوة والكرامة، لا

يستكينون إلى الذلة والفاقة احتجاجاً بالقدر وتأسياً بالضالين من خلقه الذين أنكر عليهم القرآن ذلك .

فبسلوكهم هذا مع استعانتهم بالله وتوكلهم عليه وعدم خشيتهم الأصنام البشرية أو تقديسها؛ تصلح أحوالهم ويرتفع مستواهم ويعيشون عيشة الأحرار الأكرمين، لا عيشة الجبناء الأذلاء المحتقرين .

الثاني بعد المائة: عباد الله يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، فلا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا ينتهبون الأموال أو يأكلونها بتسويل الحاكم أو إغرائه، ولا ينتهكون الأعراض بمقاربة الزنا أو القذف؛ لأن هذه الأشياء مجانبة للعبودية، خارقة لحدود الله، مخرجة من طواعية الله ورسوله، كما أن إقرارها وعدم الغضب لله امتعاضاً منها مجلبة للخسران وخروج من الإيمان، فكيف بترويجها والإغراء على فعلها شأن أهل المدنية العصرية الناتجة من التلمذة على الإفرنج، الذي جرّ إلى استحباب العمى على الهدى، والغواية على الرشد، والخبث على الحب، وإحلال الرذيلة محل الفضيلة، فأولئك من عباد الهوى والشيطان، لا من عباد الرحمن .

الثالث بعد المائة: عبودية الله تحقق لأهلها الأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ لأن جميع حركاتهم وسكناتهم منوطة بمراقبة رب العالمين، والوقوف عند حدوده بإعطاء كل ذي حق حقه دون غش ولا بخس ولا مماطلة، وذلك باتباع ما رسمه الله ورسوله من العدل والإحسان والصدق والوفاء والاحترام المتبادل حيث قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقال: ﴿وَلَا تَقْتَدُوا بِكُمْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُقْتَدِينَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣].

وقال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال ﷺ: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به تكن مسلماً، وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمناً»^(١).

وقال - أيضاً - : «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

فالقائمون بعبودية الله هم أهل المدنية الصحيحة والحضارة النافعة، إذ هم الساعون للخير والصلاح والإصلاح.

الرابع بعد المائة: عبودية الله توجب على أهلها رقابة الرأي العام والسلوك العام فيما بينهم، وهذا له قوة التأثير في المحافظة على الأخلاق، واختلاج الحياء لكل نفس (والحياء شعبة من الإيمان)^(٣) ووصفه النبي ﷺ بأنه خير كله.

وكلما ازدادت هذه الرقابة ازداد الحياء في النفوس، وتغلغلت الفضيلة إلى كل بيت، وتضاءلت الجنايات والجنح أو انعدمت، ولهذا وصف الله عباده الصادقين بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الآية [التوبة: ٧١].

الخامس بعد المائة: عبودية الله تقتضي التآسي برسول الله ﷺ في كل شيء وفي كل ناحية من نواحي الحياة، وأن يتبع المسلم سننه، ولا يتعلل بقصر العمل والحجة على القرآن وحده، فإن هذا عمل الزنادقة الذين يريدون

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم رقم (٤٥). كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٩) كلاهما من حديث أبي هريرة

مسوخ الإسلام، والإحاطة بشطره الثاني (السنة).

والسنة كالقرآن تمامًا من حيث التشريع والعمل بها وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»^(١).

السادس بعد المائة: يتضح في حصر الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تحقيق لتوحيد الألوهية بجميع معانيه، والقيام بواجب العبودية من جميع صنوف العبادات التي تنتزع النفس من التعلق بماديات الحياة، وتوجهها إلى خالقها وفاطرها، لتستمد منه النور، وتستعين به على تسخير الماديات من أجل نصره دينه، وعلى الوجه الذي يرضيه.

السابع بعد المائة: يتضح في حصر الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قوة الإيمان بالغيب بحيث يكون كالمشاهدة، وذلك لأن المسلم المصدق بوحى الله يستعمل عقله أولاً بالاستبصار في نفسه وبني جنسه، كيف خلق؟ هل خلق من غير شيء؟ أو خلق نفسه؟ أو لا بد له من خالق؟

فيتيقن أنه مخلوق من رب قادر مبدع لطيف حكيم أمده بالحياة، ورعاه رعاية تامة شاملة من البداية حتى النهاية.

وهو إن فكر في أرجاء السموات والأرض قاده تفكيره إلى هذه النتيجة أيضًا، وبهذا يقوى إيمانه بالخالق المبدع الذي يحس وجود وحدانيته ينطق بها كل مخلوق من مخلوقاته، فيراه بعين بصيرته لا بعين بصره.

الثامن بعد المائة: من حصر الاستعانة بالله - تعالى - ينبعث التجرد عن السطحية ويتولد الفهم العميق لدور المسلم في هذه الحياة على أنه خليفة الله

(١) أخرجه أحمد (٤/١٣٠) من حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه.

في أرضه، وأن الله سبحانه هيأه لهذه الخلافة والقيام بها، فعليه أن يخلف كما أمره الله، وأن يقوم بهذه المهمة دون تقصير أو تخاذل.

التاسع بعد المائة: عبودية الله - سبحانه - تستلزم العلم النافع الذي يستيقن به العبد صحة ما أنزل إليه من ربه.

ذلك العلم الروحي الذي يعرف به أنه عبد مربوب تجب عليه طاعة ربه، وأنه مقيد بحدود وأحكام يحرم عليه تجاوزها، وأنه خاضع لهذه السلطة الربانية في كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته، وأنه لا يجوز أن يخضع لغير هذه السلطة أبدًا، ولا يسمح لأي فكرة مناهضة للإسلام بالظهور على وجه هذه الأرض.

وهذا العلم ضروري لصحة الأقوال والأفعال، وهو مقدم عليها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] وهذا الذي يورث خشية الله والقيام بواجبه.

العاشر بعد المائة: في حصر الاستعانة بالله قوة معنوية تكسب العابد لله رباطة جأش وعظيم صراحة وجرأة، فلا يداهن ولا يتصنع للناس في أي حال من الأحوال، بل يصدع بعقيدته ويجهر بدينه بحدود ما فرض الله دون الخروج إلى حد التهور، أو يخرج من المقابلة بالحكمة إلى نقمة الهجوم ومرارة التحدي الذي يحل به الفساد بدل الإصلاح.

وليس معنى ذلك أن يكون كضعفاء الأنفس والإيمان ممن يسمون الجبن عن إظهار الحق حكمة، في حين هو خور وقلة إيمان.

الحادي عشر بعد المائة: العابد لله والمحقق للاستعانة به والتوكل عليه لا يتصنع للناس بما يغضب الله، بل ولا يتصنع خلقًا ليس من سجيته.

فالمتصنع بما ليس من خلقه ولا دينه لا يدع فرصة لإظهار سخيمة نفسه إلا اغتمها، وهذه عقوبة من الله يكشف بها سريرة كل مخادع.

فمتصنع المحبة والإنفاق سرعان ما يظهر حقه وبخله، وكذا متصنع الرفق والتواضع سرعان ما تظهر عظمته وغطرسته إذا سنحت له الفرصة.

في حين أن العابد لله تحصل له الاستقامة على مكارم الأخلاق، وكلما ازداد توكله على الله واستعانته به قويت شهامته وعزة نفسه فلا تزلزلها الأحداث، ولا تصرفها كثرة المال عما تدرعت به من الحق.

الثاني عشر بعد المائة: كما أن الضراعة إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مؤذنة بحب الله، والتعلق به، والرغبة إليه، وحسن الظن به. ومنها: إخلاص الاعتقاد، وبراءة من الشرك بجميع أنواعه، والابتداع بشتى أصنافه، والالتزام الكامل بوحي الله قرآنا وسنة، فهذا هو الحق وغيره هو الضلال، وهل بعد الحق إلا الضلال!!

الثالث عشر بعد المائة: الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يجب أن يكون صادرا عن محبة صادقة لله، الذي يجب أن يكون أعلى وأغلى محبوب، وذلك بداعي الفطرة والشرع والعقل الصحيح، فإذا صدر ذلك عن محبة صادقة حصل مفعوله الذي لا يقاومه شيء في الدنيا مهما كان ذلك.

إن كمال العبودية تابع لكمال المحبة، وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب، والله - جل وعلا - له الكمال المطلق من كل وجه.

الرابع عشر بعد المائة: بحصر العبودية والاستعانة بالله براءة مما سوى الله، مهما كان هذا الشيء ومهما كانت هذه القوة.

كما أن فيها إعلان العزيمة الصادقة بالإقبال على الله وجعل أوقاته كلها في طاعته، وتكريسها في العمل المثمر الجاد الذي يعود على العبد ومجتمعه بالنفع العميم.

الخامس عشر بعد المائة: في حصر العبودية والاستعانة بالله نجاة من اليأس والقنوط وتحصيل أضرارها التي هي خير وهداية والتي هي قوة الثقة واليقين بالله، فتحصل للمسلم صفات الفتوة المحمدية المطلوبة منه شرعاً وعقلاً.

السادس عشر بعد المائة: في حصر استعانة العبد بربه تأكيده الإقدام على كل عمل مُرضٍ لله بنشاط، وأن يقاوم المصاعب والمتاعب في سبيل ذلك، فلا تضعف همته، ولا تلين عريكته؛ لأنه يشعر أن الله معه ينور بصيرته ويسدد خطاه ويصوب رميته.

السابع عشر بعد المائة: الضراعة الصادقة من المؤمن الصادق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منبثقة من أصلين ينبني عليهما جميع ما قدمناه وما سنذكره أيضاً:

أحدهما: أن الإيمان بالله وتحقيق عبوديته بصدق وإخلاص هو غذاء الإنسان الروحي وقوته وصلاحه وقوامه وفلاحه، وهذا يخالف قول المبطلين: إن العبادة تكليف ومشقة تخالف مقصود القلب ولذته، وما هي إلا مجرد ابتلاء.

ثانيهما: أن تعلق العبد بما سوى الله مضره عليه إذا زاد على قدر حاجته المعينة له، فإن من نال من الطعام والشراب فوق حاجته ضرره أو أهلكه، وكذلك من النكاح وغيره حتى الدواء والغسل، ومن أحب شيئاً وتتم به، فلا

بد أن يسأمه أو يفارقه، فالضرر حاصل إن وجد وإن فقد، بل قد يحصل له من الضرر بالفراق أكثر مما حصل له من اللذة قبل ذلك، وكل من أحب شيئاً دون الله لغير الله، فإن مضرتة أعظم من نفعه، وعذابه أعظم من نعيمه، بل في الغالب يعاقبه الله به، فالعبد لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذن الله ودفعه وتسخيره، فالأمر كله لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦].

الثامن عشر بعد المائة: بتحقيق عبودية الله تتوافر الشجاعة بصفة كاملة شاملة، وذلك بمخالطة الإيمان بشاشة القلوب، وإشراقها حب الجليل الجميل المنعم المتفضل، واطمئنانها لوعده، وتلذذها بالمسارعة لما يرضيه والشوق للقاءه، وكون عبد الله يعلم ويجزم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

التاسع عشر بعد المائة: بتحقيق عبودية الله يحصل للعابد الاعتدال في جميع أحواله وسلوكه، فلا يطغى بالثراء والمنصب؛ لأن عباد الله وسط بين الإفراط والتفريط.

العشرون بعد المائة: العابد لله لا يتخذ من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أعين دخيلة، أو بطانة من غير المؤمنين يُسرون إليهم بالمودة، ويطلعونهم على عورات المسلمين، ويتخذون منهم وسيلة للصد عن سبيل الله بما ينشرونه أو يذيعونه ضد المؤمنين، وضد الإسلام وأحكامه، واللمز بالدعاة والإغراء بتعذيبهم وقتلهم.

فالعابد لله حقاً لا يتخذ أحداً من هؤلاء وليجة يلج بها إلى مصالحه وشهواته النفسية بأي حجة وأي علاقة، ولا يدور من خلف جماعة المسلمين ويتصل

بخصوصهم، كما هو شأن كثير من المنتسبين للإسلام في زماننا، فهذا يخرج المسلم من عبودية الله إلى عبودية من يهواه.

الحادي والعشرون بعد المائة: تحقيق العبودية يتطلب احتمال الأذى في سبيل الله والجرأة في الحق، وقوله كلمة الحق دون خوف من ظلم أو رهبة من سلطان، ولذا قال ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(١).

الثاني والعشرون بعد المائة: تحقيق العبودية الصادقة يستلزم محاسبة النفس بشكل دائم ومستمر، محاسبتها على الأقوال والأفعال والنيات، ليبقى العبد في ذلك كله متفقاً مع وحي الله - سبحانه -، ومحاسبة النفس دليل على الشعور بالرقابة الإلهية، وبلوغ العبد مرتبة الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢).

(١) هذه الفقرة رويت من حديث أبي أمامة، وطارق بن شهاب، وأبي سعيد الخدري

رضي الله عنه

فأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن ماجه (٤٠١٢) وأحمد (٢٥١/٥) وغيرهما، ومداره على أبي غالب عن أبي أمامة وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي غالب، ضعفه البوصيري في الزوائد وابن عدي في الكامل (٣٦٩/٦).

وأما حديث طارق بن شهاب، فأخرجه النسائي (١٦١/٧)، وأحمد (٣١٤/٤) ومداره على سفيان الثوري عن علقمة عن طارق به.

وطارق بن شهاب له رؤية فقد رأى النبي ﷺ وليست له رواية، وعلى هذا فقد قال العلائي وأبو حاتم وغيرهما: أن هذا الحديث مرسل. انظر جامع التحصيل (١/٢٠٠)، والمراسيل لابن أبي حاتم (٩٨/١).

وأما حديث أبي سعيد فأخرجه أحمد (١٩/٣)، وأبو يعلى (٣٥٣/٢) رقم (١١٠١) من طريق علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري به، وفي إسناده علي بن زيد وهو ضعيف.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الثالث والعشرون بعد المائة: في حصر الضراعة الصادقة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تخلص للنفس من عبادة آلهة شتى، وتحرير لها من رق الهوى والشهوات، وارتفاع بها من الأنانية والانتهازية إلى شرف الصدق والإخلاص، المكون للإنسانية الحقة، وإذا حصر العبد اتجاهه إلى الله في سائر نواحي حياته وجميع أموره فقد خلص نفسه من كل رق وأسر، وكان قلبه خاليًا مما سوى الله ومنشغلًا بحب الله ورسوله وتعظيمهما، فلا يكون لشياطين الجن والإنس عليه سبيل، فيتحرك حيث أمره الله مستجيبًا، لله لا يحركه أحد من شياطين الإنس، ولا يستجيب لأحد من طواغيت البشر المضللين، الذين يلعبون على العواطف بشتى أنواع الدجل والتليس، ويوجهون الناس إلى ضروب من الجاهلية الجديدة، باسم القومية الفلانية تارة، والمذهب المادي الفلاني تارة، والحركة الثورية تارة، والمبدأ الفلاني تارة، وغيرها مما زادت به فتنتهم، وفي كل مجتمع لا يحقق أهله القيام بمدلول هذه الآية التي هي محض معنى (لا إله إلا الله). وقد أخبر الله بأن الفتنة عن الدين أشد جريمة من القتل وأكبر، كما أخبر في الآية [٣٦، ٣٧] من سورة (الزخرف) أنه يقبض للمنحرف عن عبادته شيطانًا يكون قرينًا له، يصدده عن سبيل الحق ويصرفه إلى كل باطل، ومن هنا يأتي:

الرابع والعشرون بعد المائة: وهو أن عبادة الله ضرورة اجتماعية كما هي فطرة أساسية في الإنسان ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] لأنه لا بد للإنسان منها، فإن سلك منهجها الصحيح كملت إنسانيته، وقويت شخصيته، وتحرر التحرر الصحيح الذي يرتفع به عن مستوى البهائم، وإن لم يسلك ما رسمه الله لعبادته في سائر نواحي حياته؛ فإن أمره سينعكس مهما

حاول خلافه، فإنه إذا لم يحقق عبادة الله ويحصر اتجاهه إليه في كل شيء؛ استعبده الهوى والمادة، واستحوذ عليه شياطين الإنس بشتى أنواع المبادئ والمذاهب المادية والعصبية والنفعية، فتستعبده طواغيت الهوى وشياطين الإنس من اليهود وأذنانهم، كما حصل فعلاً لمن ينقاد لـ (كارل ماركس، وتزوتسكي) اليهوديين اللذين نبشا مذهب (مزدك) اليهودي القديم، أو من يقدس (نيتشه، وداروين، وفرويد) وغيرهم من طغاة اليهود وملاحدة النصارى، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير دين يدين به، وشيء يتأله، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه أو ينتزع نفسه من الحياة الكونية، ولن يستطيع ذلك كما سنفصله في سورة الأنعام آية (٧١) ويونس (٦٦) والرحمن (٣٣) - إن شاء الله - .

والإنسان إذا لم يتجه إلى الله ولم يخضع لسلطانه فقد كفر به وآمن بما سواه من طواغيت المادة والشهوات، فإما أن يؤله نفسه أو يؤله إنساناً مثله من رواد المذاهب والمبادئ كما أسلفنا، وماذا وفر الناس على أنفسهم حين كفروا بربهم؟ آمنوا بأنفسهم وكانوا عبيداً لأهوائهم فكلفهم أعظم مما يكلفهم دين الله به أضعافاً مضاعفة، وتسلطت عليهم الأنانية المسعورة، التي زادت بؤسهم وشقاءهم، وجعلتهم يتقلبون من حرب إلى حرب أفظع، ومن ظلمة إلى ظلمة، مهما غالطوا أنفسهم وزعموا أنهم في عصر العلم والنور، فهم في عصر الجهل المركب، والمفاهيم المعكوسة التي جلبت عليهم الصراع والحروب الباردة والكاوية بين آلهة تلك المبادئ والمذاهب، التي آمن بها من رفض الإيمان بالله، واستجاب لأربابها من أعرض عن حكم الله، فالفرد الذي يعيش لنفسه، إنما يؤله ذاته في سلوك ما يريد، فإنه يزن الأمور وفق مصلحته

الشخصية وآرائه السطحية، وقد يتسع أفقه فيهتم بأسرته أو يزداد اهتمامه إلى شعبه، بل إلى محسوبيه من شعبه، ومن هنا حصلت البلايا والفتن والمحن، وازداد الشقاق الذي لا نجاة منه أبدًا إلا بالرجوع إلى الله، في كل ورد وصادر.

والناس الآن على هذا النحو لم يتحرروا من الانقياد لإله ومن التقيد بدين كما يزعمون، بل وقعوا في عبادة آلهة شتى، ودانوا بباطل الهوى المتنوع الذي يطالبهم به الله أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، والأنايون يقيدون أنفسهم بوجوب إرضاء مطالبها وتنفيذ رغباتها فورًا على أي حساب كانا دون اعتراف بحواجز أو اعتراف بأي حق لغيرهم؛ لأنهم أمام إلحاح من ضغوط مزاجهم السقيم، لا يستطيعون تأجيله، أو إلغاء بعضه، ولا يبالون بما يكلفهم من أثمان، ولا بما يجرون على البشرية من المجازر وإهدار الكرامة.

ذلك أن النظرة المادية للحياة نظرة من شأنها أن تباعد بين الإنسان وبين ما فيه من خصال الخير المفطور عليها، وتسلخه من كل طيب حتى تمسخه شيطانًا أثمًا، وتجعله عدوًا لبني جنسه، بل عدوًا لنفسه من حيث لا يشعر - والعياذ بالله - فيكون من شر البرية، بل من شر الدواب، كما وصفه الله في عدة سور من القرآن، وكل هذا نتيجة الانفلات من عبادة الحق رب الخلق إلى عبادة الباطل من الهوى والشياطين المختلفة.

فالعالم المعرض عن الله في هذا الزمان والمتخلف عن تحقيق عبادته يسيره

في كل موقع أناس مسعورون تؤرقهم رغباتهم وشهواتهم، ويفرضون على الناس حبهم وتعظيمهم بشتى أنواع الدجل والتضليل، بحيث أصبح أغلب العالم أو كله ما بين إله مشرع متسلط، وبين عبيد منفذين يساقون كالأنعام، فالله - جل وعلا - عاقب من لم يخضع لألوهيته بآلهة لا تقبل معذرة ولا ترضى بتسويق، وسلط على الملاحدة أهواءهم الضخمة ومحبوبيهم من دونه، فحملوهم ما لم يحملهم الله الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها، وجعلهم يتحملون كثيراً من الأهواء والمخاطر في سبيل عبادة هواهم، ويتنازلون عن كثير من حقوقهم، وينحدرون بأنفسهم إلى ما يترفع عنه أولو الألباب الذين وصفهم الله، ويعيشون في جحيم من الاضطراب والتخليط في سبيل عبادة الهوى، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

إنهم صم عن الحق فلا ينفذ إلى مسامعهم، وبكم لا ينطقون به، وقلوبهم في عمى عن نور الله، إنهم هربوا من العبادة الصحيحة والدين القيم إلى أديان باطلة بأسماء مزخرفة يسيرها أرباب متفرقون مشيطون بالدجل والتسلط، وتملكوا على مشاعر أتباعهم، وصادروا منهم كل عقل وتفكير ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١١﴾.

وإنما قلنا: إن عبادة الله ضرورة اجتماعية، وفطرة أساسية؛ لأن الإنسان في هذه الحياة محتاج إلى عقيدة ونظرية يسعى على ضوءها، كما أنه لا بد له من الخضوع لشيء ما والتعلق به، وإن الإنسان ساع كادح، فإما أن يسعى فيما يسعده ويكده إلى ما ينفعه أو يسعى فيما يشقيه ويخزيه، ويكده لمن يستغله ويضنيه.

وقد أثبت التاريخ أن لكل جماعة من البشر نظريات في تعليل هذا الكون،

وفلسفات يتمذهبون بها، وقوة تهيمن عليهم في سلوكهم، فإما أن يكون ذلك مرتكزاً على الحدس والتخمين، وتكون القوة ظاهرة عليهم وقاهرة لهم، من تسلط بعضهم على بعض، فهؤلاء يدورون من نظرياتهم في حلقة مفرغة، ينتابهم فيها التغيير والتحريف، ويشقون تحت سلطة من خضعوا له من الدجاجلة والطواغيت، ومثل هؤلاء، تتجارى بهم الأهواء وينتقلون من سيئ إلى أسوأ لما تجرهم نظرياتهم ودجاجلتهم إلى عبادة الهوى والمادة، فيكونون على الحال التي وصفناها، والتي تفاقم شرها في هذا الزمان.

وإما أن تكون نظرياتهم منبثقة من مشكاة النبوة ووحى رب العالمين، وخضوعهم للقوة القاهرة العليا الناشئة من الإيمان بالغيب، فهؤلاء هم الموفقون لعبادة الله والذين يحييهم الله حياة طيبة، كما وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن هنا كانت عبادة الله ضرورة اجتماعية حتمية وفطرة أساسية، من تنكب عنها فقد ضل سعيه في الحياة الدنيا، وشقي بنفسه وشقي معه من يدور في فلكه، إذ لا صلاح لأهل الأرض إلا بتحقيق عبودية الله على الوجه الصحيح؛ لينالوا الخير في الدارين.

الوجود الحسي والروحي للمؤمن:

الخامس والعشرون بعد المائة: أهل عبادة الله وجودهم غير محدود ولا يعرف الحدود؛ لأن وجودهم الحسي ممتزج بالوجود الروحي الضارب المحلق في أجواء الزمان والمكان جميعاً، والهادف لنيل الدنيا والآخرة، فهم على مستوى رفيع، مناقض لمستوى الماديين في الفهم والشعور والسلوك أجمعه؛ لأنهم يؤمنون بوجود لا ينحصر في العمر المحدود، وموقنون بتحصيل وعد غير مكذوب ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿الرُّومُ: ٦، ٧﴾ فوطنهم العاجل كل الأرض بحذافيرها، يسعون بكل جهودهم لاسترجاعها من الغاصبين المتمردين على حكم الله فيها، وينتشلونها من الظلّمة المتحكّمين؛ لينفسح لهم المجال لحمل رسالة الله وتوزيع أنوار هدايته والقيام بإصلاح ما أفسده المبطلون؛ لينقذوا أهلها من ظلمات شرك الدجاجلة وعبث العابثين، ووطنهم الآجل الأكبر ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] قد علمهم مولاهم - تبارك وتعالى - أن يقولوا لأعدائهم وأذئاب أعدائهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوتُ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

فهم لا يحزنون ولا يحقدون ولا يهنون ولا تلين لهم قناة، ثقة بوعد ربهم القائل: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَلَوْ قَتَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يَوْمَئِذٍ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

وهدفهم - دائماً - الانتصار لله وحمل رسالته وتنفيذ وصاياه في كتابه، ليس لهم هدف شخصي أو غاية نفعية، فينتابهم ما ينتاب غيرهم من الماديين، فأما الماديون فوجودهم قصير محدود، ونظرهم كليل، وأبصارهم محجوبة عن رؤية الحق، واعتمادهم على أنفسهم القاصرة، لم يقدرُوا الله حق قدره ولم

يلتفتوا إليه، ولم يعتمدوا عليه، قد رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وأعرضوا عن آيات الله، وكذبوا بوعده ووعيده وأخلدوا إلى الأرض والطين وأعرضوا عن الدين، فباسم خدمة الوطن كانوا عبيداً للأوطان بوحى الشيطان، لا عبيداً للرحمن وفق أمره في القرآن، بل عبيداً للمبادئ والمذاهب التي ابتكرتها اليهودية العالمية، فكانوا باتباعها خدماً للصهيونية وقررة لعيونهم، ولو ادعوا خلاف ذلك أو أظهروا المعادة لها، صادقين أو غير صادقين.

فإن انتهاج خططهم هو خدمة لهم في الأمر نفسه وباطنه، ولكن الذي يعرض عن وحي الله تستهويه الشياطين، فيسلك سبل الغواية من حيث يطلب السؤدد والهداية ويخدم أعداءه ويضيع طاقاته لمصلحتهم، وهو يريد حربهم وقهرهم؛ لأن الله أنساه نفسه كما نسيه وأعماه عن مصلحته ورشده، كما تنكب عن هديه ورغب في سواه.

فهم قد انهزموا هزيمة عقلية انصاعوا بها إلى تقليد الماسونية اليهودية العالمية في كل شيء، وكانوا عولاً عليها في التثيف وسلوك كل منهج تخطه في أي ميدان، فكأنهم انخرطوا في سلكها، بل بعضهم منخرط في سلكها باسم الإنسانية، لأنه لا يعرف منشأها ولا من يغذيها، فلذا كان هدفهم محدوداً وأملهم محدوداً وعمرهم محدوداً، يرجع عليهم بالخيبة والنكال، حسبما قضاه الله في سنته؛ لأن الشيطان يعدهم ويمنيهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وقد قدمنا توضيح معنى (الشيطان) في باب الاستعاذة أول التفسير، فليرجع إليه.

وعلى الحقيقة فهم كلاب الدنيا يتجاذبون جيفها، ويتحاربون عليها، ويتناحرون في سبيلها، لهذا فهم يلهثون دائماً، كما وصف الله المنسلخ عن

آياته، المقدّس للأرض، المتبع لشهواته بأنه (كالكلب) في سورة الأعراف، هدفهم الطمع والبغي والاستعلاء والإفساد في الأرض ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١] فعالمهم الذي فيه لذتهم ونكدهم وسعادتهم وشقاؤهم ودوافعهم وفق أهدافهم الرخيصة، متحدد بتحدد حواسهم البهيمية وحاجاتهم المادية وأغراضهم النفعية، فإذا ضاعت عليهم أو انتكست مقاصدهم بما يجري الله من سنته الكونية ضاع عليهم وجودهم كله؛ لضيقه وسرعة اضمحلاله.

ذلك أن فريقاً منهم يقول: (أعمل لوطني)، والآخر يقول: (أعمل لشعبي)، والآخر يقول: (أعمل لأمتي)، والآخر يقول: (أعمل لمبدئي أو لمذهبي)، والصادق منهم يقول: (أعمل لمعيشتي وتأمين مستقبل عيالي). وليس لهم تفكير فيما وراء ذلك من حمل رسالة الله ونصرة دينه، فضلاً عن العمل، ولذا قامت الفوارق العظيمة بينهم وبين عباد الله الروحانيين الربانيين الذين همهم تنفيذ وصايا الله فيما استخلفهم في الأرض، ومن تطهير الضمائر وإخراج أهل الأرض عامة من الظلمات إلى النور، من ظلمات المادية والأنانية التي يتمثل بها كل نوع من أنواع الشرك بالله إلى نور وحي الله الهادي إلى الصدق معه والإخلاص له بحمل رسالته، والجهاد في سبيله لنصرة دينه وإعلاء كلمته، وقمع المفتري عليه.

فحياة هؤلاء غير محدودة؛ لأن عملهم خالد صحيح، وعمرهم موصول بالخلد الدائم والعقبى الحسنة في دار القرار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٥﴾ يَسْتَبْشِرُونَ

بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: ١٦٩-
١٧١].

اتزان العبد وضبط طاقاته:

السادس والعشرون بعد المائة: عبودية الله الحققة تضبط اتزان العبد الصادق، فيكون متزنًا في سائر شئونه، لا يطغيه مال ولا عز ولا منصب؛ لأنه يعتبر المال نعمة من الله، وعارية معارة منه إليه، سيسترجعها منه وينقلها إلى غيره في وقت مجهول لا يعلمه، فهو إذا ينتهز الفرصة في حسن التصرف به واستغلاله استغلالاً صحيحًا، يكسبه المحمودة والخير في الدنيا والدرجات العالية في الآخرة، ولا يطغى فيتجاوز حدود الله فيه، فيتطاول به على الناس، أو يصرفه في شهواته ويتشقى بسببه من هذا في سبيل هذا أو ذاك. أو يبغى فيه الفساد بأي نوع، شأن الماديين الذين لهم أسوة بسلفهم الخبيث (قارون) بل عباد الله المخلصون الصادقون يستخدمون النعمة استخدامًا طيبًا في جميع وسائل الخير، مبتدئين منها بنصرة دين الله والإنفاق في سبيله ومساندة أهل طاعته - مهما كانوا -، محاذرين وعيد الله بقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

وكذلك لا يطغيهم العز والنصر أو المنصب، أو تزيغهم أبهة الملك والسيطرة عما أمروا به وخلقوا من أجله، لاعتقادهم الجازم بأن الله مالك الملك يُؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعز من يشاء ويُذل من يشاء، وأن الله يبتليهم ويختبرهم بالخير والشر فتنة لهم؛ ليميز سليم القلب من سقيمهم، فيراقبون الله ويستعملون ما أولاهم من نعمه في تنفيذ أحكامه، حافظين لحدوده، لا يتعدونها قيد أنملة بل يكونون أمناء على ما ولاهم الله إياه

وأوصاهم به .

والتاريخ يشهد لعباد الله الصادقين بضبط الاتزان وحسن التصرف في نعم الله من مال وملك ووظيفة، بحيث أصبح تاريخهم مشرفاً بين الأمم، لم يتلوث بما تلوث به الماديون الزاعمون للحضارة والرقي والمدنية والمتبجحون بخدمة الشعوب، وهم جلادون للشعوب ومضللون لها، فهم شر البرية كما وصفهم الله، أما الأخيار فهم عباد الرحمن حقاً.

الوجه السابع والعشرون بعد المائة: وهو أن من صدق الله فيما عاهده ويعاهده عليه من تكرار الضراعة إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهذا ينضبط توازنه في أخلاقه وسلوكه في جميع نواحي الحياة ويكون إنساناً صالحاً لا ينتفع بحياته هو فقط، بل ينتفع به غيره كما أمره الله، وبذلك يحيا حياة طيبة كما وعده الله إذا حقق العمل الصالح المنبعث عن خشية الله ومراقبة حكمه، ولا يحصل التوازن وينضبط إلا بالجمع بين العلم والعمل والغاية والوسيلة، والمادة والروح، والمحبة والوجدان، والحكمة والعاطفة، فيحصل حينئذ الإنصاف مع الانتصاف، والإحسان مع الموجدة، والصلة في مقابلة القطيعة، والإعطاء في مقابلة الحرمان، والعفو عند المقدرة، والجلم في مقابلة الغضب، والجمع بين العبادة والعمل، بحيث لا تتعطل أي موهبة من المواهب عن استخراج أي مادة وتسخيرها في أي ناحية، ليحصل الجمع بين العبادة والجهاد بجميع وسائل الكفاح، والاستعداد بجميع أنواع القوة، على اختلاف نواحيها.

فإذا توازنت هذه الطاقات وانضبطت في اتجاهاتها مع صلاح العمل المستقيم، وإخلاص القصد لله في هذا كله، حصلت الحياة الطيبة والنصر

المبين، والسعادة في الدارين، وحصل الأمن الصحيح الكامل الشامل في الحياة وما بعدها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فوعد الله بالأمن والهداية العامة في جميع النواحي والشئون لمن لم يخلط إيمانه بشيء من الظلم، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، كما هو مقرر، فقوله (بظلم) يشمل جميع أنواع الظلم في كل شأن وناحية، سواء كان في معاملة الخالق أو المخلوق، وقد دل العقل والنقل على أن الشرك ظلم، وإن الظلم في معاملة الله شرك، إذ الظلم في اللغة هو: النقص، قال تعالى: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَانِ ءَأَنْتَ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣] والانتقاص من الحق ظلم لأنه انتقاص لصاحبه، وقد دل العقل على أن الإنسان لا ينتقص حق أحد إلا وهو مستهين به، مستخف بشأنه، لا يخشاه ولا يرجوه، ولا يوقره، وإنه لا يترك امثال المأمور إلا حين يستخف بالأمر ولا يبالي به، هذا في حق المخلوق في معاملته مع مخلوق مثله، فكيف بحق الخلاق العليم، مالك الملك؟!!

ومن هنا حكم الرسول ﷺ على أن الظلم في معاملة الخالق شرك، فقد قال: «إن الظلم هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال الله على لسان العبد الصالح لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟»^(١).

وقال البخاري^(٢): حدثنا محمد بن يسار، حدثنا ابن عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه، فنزلت: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٢)، وأخرجه مسلم (١٢٤).

(٢) انظر التخریج السابق.

عَظِيمٌ ﴿١٢٦﴾ .

وينبغي أن نعلم أن معاملة المخلوق لها ارتباط بمعاملة الخالق، والوقوف عند حكمه وحدوده، ومن أمعن النظر في جميع المفاسد والأخطار والجرائم، وجدها ناشئة عن اختلاف التوازن، سواء في السلوك الفردي أو الجماعي، فسورة الطيش والغضب والكبرياء والحقد، والشح والهمز واللمز والخيانة والسب، ومؤامرات السوء بسائر أنواع المكر، والسرقه والكذب والاحتيال والقتل، وسائر الجنايات، والبغي والنفاق بجميع فنونه، والانهمك في الحسد، والانطلاق في إشباع شهوات النفس ورغباتها على حساب الآخرين، كل هذا وأمثاله سببه اختلاف التوازن الناشئ من عدم مراقبة الله، وتحقيق عبادته والاستعانة به - جل وعلا - في كل شيء، وكلها تؤدي إلى فساد المجتمعات وتؤذن بخرابها، لأنها السبب في إثارة العداوات واستفزاز الغضب والوثبات، المؤدية إلى الحروب الفاتكة المخربة المعدمة، كما جرى وسيجري أضعافه؛ لأن العالم المادي اليوم يتسابق في صنع ما يدمر المدنية، ويفتك بالحياة من تأثير ما ذكرناه، ومن تقديس العقل وإيثار المادة والنفعية على ما سواهما من الروحانيات التي بها تقوم السموات والأرض، وينضبط التوازن.

وكل الجريمة تعود في ذلك على اطراح وحي الله فيما أنزله على رسوله ﷺ والكفر بالغيب وقصر الإيمان على المحسوس الملموس، مما ركزه طغاة اليهود في مذهب (دارون وفرويد) وغيرها من المذاهب اليهودية التي حلت وأفهدت مجتمعات أوربا وأمريكا، وأخذت الشيوعية منها بقسط، والرأسمالية بقسط، وكلتاها في الكفر والخبث سواء، وسلوكهما الباطل واختلال توازنهما سيجريان على العالم مختلف الولايات والدمار الرهيب، الذي لا يعلم مداه إلا

الله، وهما وإن كانت تقع عليهما المسئولية مباشرة، لكن السبب في ذلك هو تحلي ورثة محمد ﷺ عن القيادة، وانحطاطهم إلى هذه الحالة المشاهدة التي جعلتهم لا في العير ولا في النفير، ولو صدقوا ما عاهدوا الله عليه من حصر العبادة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنقذوا العالم وطهروه من كل فتنة. فورثة محمد ﷺ يجب عليهم القيام بإصلاح هذا الكون، وأن يفتحوا القلوب قبل البلاد، ويقوموا بتطهير الأرض من كل كفر وظلم وفسق وفجور، وأن يكونوا قوامين بالقسط، كما أمرهم الله، دافعين للباطل بسيوف الحق، التي هي سيوف الموحدين، وما يؤيدها من أنواع الحديد، وهذه المهمة لا تتحقق لهم إلا إذا ضبطوا توازنهم بحيث تتوازن جميع طاقاتهم، فلا يطغي بعضها على بعض، ولا يتعطل بعضها لحساب بعض، أو يتحد بلا حساب، فإن التوازن في داخل النفس البشرية حسبما رسمه الله هو الواقعي من كل انحراف يكون في المجتمع، وهو الوسيلة لتفجير الطاقات، وبتحقيقه يصدق العمل للقول، وبعدمه يكذب العمل للقول؛ ولذا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] والمقت: أشد أنواع الكره والغضب.

وإذا كان مختل التوازن بهذه المنزلة عند الله فلا عجب من حالتنا اليوم؛ لأن الذي يمقته الله لا يوفقه ولا يرحمه الرحمة الصحيحة الخاصة بالمؤمنين، ولا ينصره على أعدائه، بل يسلطهم عليه، ويمده في الغواية مدًّا، بدلاً من أن يرده هداية ورشداً، والله ليس بظلام للعبيد، فمن طغى عليه حب المادة وإيثار زهرة الحياة، هانت عنده حدود الله، وضعفت قوته في أمر الله، فكان باخساً لحق الله، مطففاً في معاملته معه، لم يخص الله منه، ولا بمثل معاملته

للمخلوق، فهذا لم يكن من أنصار الله الذين كتب الله على نفسه نصرتهم، وتحقيق الغلبة لهم في الدارين، ووعدهم أن يحييهم حياة طيبة يهتئوا فيها بالأمن والسعادة، بل انعكست حاله، فكان في أمر مريح وعيشة ضنك، لا يستريح فيها مع وفرة ماله، وطيب مساكنه، وارتفاع رتبته بين البشر، فوجود ما ينغص عيشته من الأخطار والمخاوف والإرهاصات المتنوعة، والحروب التي ينتظرها ويستعد لها، أو التي يتقلب فيها ما بين حروب باردة أو كاوية، فلذاته ممزوجة بالمخاوف والمصائب.

وكذلك من طغى على قلبه حب لهو الحديث المتنوع والمجون، على حب ذكر الله وما نزل من الحق، أو طغى على قلبه حب شهواته ومعشوقاته على حب الله ورسوله، فهذا وهذا لا تندفع جوارحه في طاعة الله وتحقيق عبادته على الوجه المطلوب، من المسارعة في مرضاته وحمل رسالته والجهاد في سبيله لنصرة دينه، وقمع المفتري عليه، بل على العكس من كل هذا، وهذا يندفع اندافعا بهيمياً إلى إشباع شهواته ونيل ملذاته، والتذوق من كل صوت حرام ومأكل ومشرب، ويكون على حد قوله تعالى: ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وهناك نوع آخر طغى ويطغى عليه التنسك إلى حد يقطع صلته بالواقع، أو يجعله يقتصر من دينه على صلوات ونحوها دون أن يهتم بشئون الحياة ويسعى لتسييرها على وفق شرع الله، فإنه يكون مفرطاً في جنب الله، ومتجاهلاً نفسه، غير محترم لها في الوقت الذي يظن أنه قد احترمها وصرفها إلى عبادة الله، ويكون مخرجاً نفسه من الخيرية العظيمة التي هيأ الله أمة محمد لها، وأساء إلى دين الله بفسحه المجال لأهل الباطل، وإحداثه فراغاً هائلاً ينفذون

منه في كل ميدان إلى ما يريدونه؛ لأنه بجموده قد ترك ثغور الإسلام الأخرى في جميع ميادين الحياة مفتوحة لغزو كل مبطل.

والتصوف - وإن قل - فقد خلف أهله رجالاً هم الأكثرون من محسوبي الإسلام يصلون صلاة هي مجرد حركات، لا يلهب بها شعورهم وحماسهم، ويصومون كصيام البهائم المحبوسة عن الطعام، ويحجون ويعتصرون دون أن يشهدوا منافع لهم، بل يشهدوا الزحام واللكام، ويتبادل بعضهم الشتائم، ويرجعون دون أن ينتفع دينهم من نسكهم بشيء، وهكذا مما تنكبت به الأمة عن حال سلفها، فضاعت كرامتهم، وتبددت طاقتهم، وكانوا مدداً لأعدائهم من حيث لا يشعرون.

ومن هنا نفذ علينا اليهود وأفراخهم النصارى وتلاميذهم من أبنائنا الذين انصبغوا برجسهم وثقافتهم، فانصبغت أكثر المناهج في سائر ميادين الحياة بصبغة مادية وثنية إلحادية، بعيدة عن حكم الله فيما أنزل، والسبب الأكبر في ذلك يعود إلى اختلال التوازن في المسلمين - سوقتهم وسراتهم - وقصرهم الدين على جهة دون جهة، مما جعلهم عرضة للغزو المتنوع، وجعل المسلمين في عقر دارهم، فيهم شبه من مسلمي (أوروبا) ومسلمي (روسيا) اليوم، ويقىمون بعض الشعائر ويصلون في المساجد، لكن أولادهم في معزل عنهم ويتولى تربيتهم من لا يرضي في دينه وأمانته، وكل هذا من اختلال توازنهم وانعزالهم عن أزمة الأمور، في جميع ميادين الحياة، وتصميمهم على سلب دون إيجاب، فصارت عبودية الله كأنها في شيء دون شيء، والله أوجب على عباده العمل على إقامة حكمه وتسيير دفة الأمور وفق شرعه في كل ناحية وألا يندفعوا مع أي تيار أو يسايروا أحداً حيث سار، بل يدفعوا تيار الباطل،

ويدفعوه بوحى ربهم، ويُسيِّروا العالم على ضوء هدايته ببذل غاية مجهودهم وتفجير أقصى طاقاتهم، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] لا بعض جهاده، بل بالمبالغة في ذلك، وهذا إذا حصل توازنهم بتحقيق عبودية الله، ولم يحصل فيهم الاختلال.

الثامن والعشرون بعد المائة: الضارع إلى الله صدقاً بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يتجرد من جميع مؤثرات الجاهلية بكافة أنواعها، سواء المألوفة عنده في بيئته أو المستوردة عليه، فينخلع عنها وتبدأ منها عن بغض وعداء، مكتفياً بتلقي الهداية في جميع شئونه من كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، والجاهلية ليست رسماً خاصاً أو صبغة خاصة مقصورة على قرن أو قرون مضت. إنما الجاهلية: كل سلوك مخالف لملة إبراهيم وشريعة سيد المرسلين في أي ناحية من نواحي الحياة، والجاهلية التي ينتهجها أكثر الناس اليوم أفضع من كل جاهلية سبقتها؛ لأنها باسم العلم والفن تجعل الناس بمعزل عن منهج الله في الحياة، بل فيها الاعتداء الكامل على سلطان الله في الأرض، والسيطرة على عبيده بكل ظلم ومهانة، والجنانية على عقولهم بالدجل والتضليل، وقتل أرواحهم بالأفكار السامة والعقائد المنحرفة التي تضيع دينهم ودنياهم، وفيها من الإغراء على كفر النعمة وإنكار الخالق، أو التنكر لدينه وشريعته والتنديد بها، مما هو تهجم على حكمته واستهانة بعزته، وفيها من التحسين للخلاعة والرذيلة والعمل على إذهاب الحياء ما لا تقبله جاهلية أبي لهب وأبي جهل، فأكبر مهمة للعابد لله تغيير واقعه مما حل به من أنواع الجاهلية بأي وصف ولقب وأي خطة، بل من ضروريات الصدق للضارع إلى ربه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن ينخلع من كل عمل أو قول أو اعتقاد جاهلي، وأن

يتخلص من ضغط أهل مجتمعه، فلا يصطالح معهم أو يتفق أو يلتقي معهم في أي ناحية، فلا يتعامل في سوقه معاملة جاهلية مبتعدة عن شريعة الله، ولا يلتقي مع أي مصرف في عمولته على خلاف شرع الله، ولا يدخل أولاده في أي مدرسة يكون التعليم فيها على خلاف ملة إبراهيم وشريعة سيد المرسلين، ولا تجره المصلحة العائلية المزعومة إلى الهزيمة بإدخالهم في أي مدرسة كانت فيها خطر على العقيدة بما يخالف التصور الإسلامي الصحيح، ولا يسمح في بيته بدخول أي لون من ألوان الجاهلية من التبرج وإظهار المفاتن أو تضيق الثياب، أو الحفلات الحديثة النابية عن أخلاق الإسلام، فضلاً عن الاختلاط والعياذ بالله، بل تكون مهمته السامية أن يستعلي على هذا المجتمع ويرفع عن جميع عاداته ونظمه، وأن يعمل على تغييره بكل وسيلة من وسائل الحكمة، والتوجيه بسائر وسائل النشر والإعلام المختلفة، لا تخالطه الأنانية والميوعة، فلا يحاول الركون إليه أبداً؛ لأنه يجرمه أن يعيش كما يطلبه الله على وفق شريعته إما بالدجل والتضليل أو بالقهر والضغط المتنوع؛ لأن المجتمع الجاهلي - مهما اختلف اسمه ولقبه - يدعي بعض أهله أن لهم الحق في وضع التصورات والقيم وسن القوانين والنظم التي يجب خضوع الباقين لها؛ مما يجعل بعضهم أرباباً يشرعون وبعضهم عبيداً ينفذون، وقد يدعي الجميع منهم أن له الحق في سلوك ما يهواه، فكيف يلتقي معهم العابد لله حقاً؟ طبعاً لا يلتقي معهم إلا المطفف مع الله أو الجاهل بحكم الله.

الناسع والعشرون بعد المائة: العابد لله حقاً والضارع إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعلم أنه لا يصلح نفسه ولا مجتمعه، بل ولا يصلح جميع أوضاع العالم، إلا بتحقيق عبادة الله وإقامة دينه حسبما شرعه، وليس حسب

نظريات قلقه من فلسفات اليهود والملاحدة باسم الحرية أو الديمقراطية أو الاشتراكية . . إلى آخر المصطلحات الجوفاء .

فإن العدالة المطلوبة المنشودة في كل هذه المصطلحات السابقة إنما ينبثق فيه المجتمع من التصور الإسلامي الصحيح المرتكز على عقيدة توحيد الألوهية، التي يرد الأمر فيها كله لله ويقبله عباده الصادقون عن رضا وطواعية وتسليم لأمر الله ورسوله .

فلا يطمع أحد بغير ما آتاه الله أو يحقد على غيره من أجل ذلك، كما لا يحاول أحد أن يوجه الناس ضد قضاء الله وقدره، كما يجري ممن ينازع سلطان الله بحكم الأرض أو بعضها على خلاف وحيه الذي بعث به نبيه وعمل به هو وصحابته .

فقد بعث الله محمدًا ﷺ والمجتمع العربي فيه أنواع من البؤس والنزعات الطائفية، والاستعمار المحيط به، فلم يأمره بالدعوة إلى قومية يتكتل فيها العرب، ولا بالدعوة إلى اشتراكية يغرهم فيها بالمساواة الكاذبة .

ولو دعا محمد ﷺ إلى ذلك لاستجاب له أكثر العرب أو كلهم بلا عنت ولا عناء، ولكن الله يعلم أن هذا ليس طريقًا مجديًا لحمل الرسالات، ولا لتطهير الضمائر أو إصلاح الجوارح، كما أنه ليس الطريق الصحيح لتخليص الناس وتحريرهم من عبودية بعضهم لبعض واستعداد بعضهم على بعض .

فالعبودية الحقة الواجبة لله على الخلق هي سيطرة سلطان الله على الضمائر والجوارح وسائر الأحاسيس .

الثلاثون بعد المائة: بتحقيق عبادة الله يعرف الإنسان نفسه فيغالي بقيمتها، ذلك أنه لا يعرف قيمة نفسه إلا الذي يعرف الله حق معرفته،

ويقدره حق قدره، فينزهه عن العبث، ويتيقن أنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً؛ لأن ذلك ظن الذين كفروا، واللّه لم يخلقهما إلا بالحق وأجل مسمى، لنهاية لم يطلع عليها أحد من خلقه، ثم يعرف وظيفته في الأرض وأن اللّه أقامه فيها خليفة له، فيتصور وظيفة الخليفة وواجب الخليفة، وذلك التصور ناشئ من اعتقاد أنه لم يخلقه اللّه عبثاً، تعالى اللّه وتقدس عن ذلك.

وعلى أساس ذلك يشمخ برأسه، متشرفاً بوظيفته العالية الجليلة، مراعيًا خدمة مولاه العلي العظيم في تحقيق أوامره، وتنفيذ وصاياه وتشريعاته، مترفعًا عن الخيانة في ترك شيء منها، أو التقصير في تنفيذه، وهنالك يتمسك بوحى ربه الذي أورثه إياه من نبيه، وأمدّه به قبساً ونوراً يهتدي به ويهدي سواه، كما أمره وأوجب عليه، فيعرف قيمته وشرفه بين المخلوقات من ناحيتين:

إحداهما: أنه خليفة للملك العظيم، مالك الملك، إله السموات والأرض، فكما يعتز من هو نائب الحاكم من حكام الدنيا باستخلاف الحاكم له، فإن اعتزاز المؤمن العارف بوظيفته لله، والراجي مقامه عند اللّه، أعظم من اعتزاز ذلك أضعافاً مضاعفة، وهذا الاعتزاز يكسبه الاستمسك بوحيه، والقوة في تنفيذ أوامره، والغلظة على مخالفه، ومحبة أحبابه وأهل طاعته وموالاتهم، وبغض أعدائه المنابذين لوحيه ومعاداتهم ولو كانوا أقرب قريب.

ويعلم حق العلم أن اللّه أقامه مقام القيادة والتوجيه، فلا يقصر في استلام القيادة، ولا يتراخى في مسكها، ولا يقصر في توجيه عموم البشرية إلى اللّه بما أوحاه إليه، ولا يجمد في قصره على أسلوب واحد أو تصريف واحد، بل ينوع أساليب هدايته ويصرفها إلى كل مثل، ويشبع بها كل مادة، ويكيف بها

كل برنامج من برامج التعليم، ومواد النشر والإعلام المختلفة، مستغنياً بوحى ربه، المتضمن لكل هداية، والمتكفل بالرد على كل ناحية من نواحي الإلحاد والنظريات المختلفة، والوافي بجميع الحلول لكل المشاكل، معتقداً كفايته عما سواه.

ثانيتها: إنه وارث لنبىه المصطفى ﷺ في حمل رسالته وتبليغ دعوته وتوزيع أنوار هدايته، وأن يسلك مع الناس نفس المسلك الذي سلكه رسول الله ﷺ ليحصر التلقي من هذا الرسول، كما كان هو حاضرًا للتلقي من عند ربه، لا يطيع آثمًا ولا كفورًا، متحذرًا من كل واحد أن يفتنه عن بعض ما أنزل الله إليه، غير متبع أهواءهم في أي شأن من الشؤون، فكذلك المسلم الوارث لنبىه يحصر تلقي الهداية على سنته قولاً وفعلاً، وإقراراً، مما هو تبين لكلام ربه، ولا يتعداه مثقال ذرة، ولا ينخدع بزخارف القول من غير المسلمين المؤمنين، ولا يسلم لشيء من نظرياتهم المخالفة لمدلول وحي الله، أو ينهزم هزيمة فكرية أمام ما يزعمونه من اكتشافات يظهر بها مؤقتًا مما يخالف الوحي؛ لأن اكتشافاتهم مهما اطردت وتطورت فهي قاصرة جدًا، والجديد منها ينقض القديم، ولا يزال الله يريهم من آياته وعجائب صنعه وقدرته ما يتبين لهم به أنه الحق، كما وعد بذلك في الآية (٥٣) من سورة فصلت.

فالمؤمن بالله العابد لله المغالي بقيمته بين العالم، لا ينهزم فكرياً أمام ما يذيعونه من نتائج اكتشافاتهم، جازماً أن ما خالف الحق منها سيكذبه اكتشاف جديد موافق لوحي الله، سواء كان قريباً أو بعيداً؛ لأن الله ﷻ لا معقب لحكمه ولا مبدل لكلماته، وكل ما أخبر به على لسان رسوله ﷺ لا بد أن يتحقق وأن ينكشف كذب غيره، وأن تنعكس حالة كل من خالفه وابتغى الخير

في سواه، وبهذا اليقين يصمد ثابتاً لا يتغير بشيء من ججاجع الناس وفراقعهم، ولا يستخفونه بتقليدهم أو إصدار فتاوى موافقة لأهوائهم ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]؛ لأنه إذا استخفوه وفتنوه فغيروا مجرى سيره، تدنى برأسه وسقط إلى مستواهم المادي البهيمي ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠] وحينئذ تذهب ميزته المحمدية بين سائر الأمم.

الثاني والثلاثون بعد المائة: هو أن المستعين بالله يملك نفسه ويملك وقته، ويحتفظ بحرية الحركة تلقاء ما يواجهه من أمور الحياة طيبها ومكروها، دون أن يخيفه شيء أو يعوقه أي مؤثر، فيعتمد على الله ثم يثق بنفسه، فيمده الله بقوة معنوية يقدر بها على فعل الكثير، دون استمداد من أحد أو انتظار عون، وإنما بالاستعانة الصادقة بالله، يحرك قواه الكامنة ويفجر طاقاته وملكاته المدفونة فيه، ويستغل كل فرصة متاحة له دون أي تفريط أو تسويف، فلا يؤجل عمل اليوم لغد، أو يترث عنه متعلقاً بالأمانى؛ لأن ذلك مخالف للاستعانة، ومؤخر أو حارم من حصول الخير.

فالاستعانة الصحيحة بالله أعظم دعامة لتحقيق المستقبل وتخفيف عبئه، وتحمل المشاق لتنفيذ كل منهاج في الحياة، والمستعين بالله حقاً ينجح بين العدة الروحية والمادية فلا يخيب مسعاه بإذن ربه، وضده إما أن يغفل أو يكسل، فتطول فترة عنائه التي يبتغي الخلاص منها، وإما أن يقتصر على الماديات مغفلاً جانب الله فيكله الله إلى نفسه من جهة، ويسيره حسب سنته الكونية بما يشقيه - وإن نجح مؤقتاً - لحكمة قضاها الله لاستدراجه وعقوبة غيره به، فإنه لا بد من انعكاس أمره كما جرى لكل أمة منحرفة في القديم، وللأمم الشيوعية في

الحديث، كذلك من نحا منحأها أو قابل باطلها بباطل معاكس له، ولم يقابله بما نزل من عند الله من الحق، فإن هذا النوع من الناس تتول به جهوده إلى الانحدار والهزيمة حسياً أو معنوياً، مهما عالج أو غالط، فالله غالب على أمره.

الثالث والثلاثون بعد المائة: العابد لله يطهر قلبه من أدران الذنوب وينقيه من الوسوس، ويصقله بذكر الله والتوبة، نادماً متحسراً على كل لحظة فاتت، متلهفاً على ما فرط منها في غير عمل صالح، ومتحسراً على ما أمضاه منها في باطل، ومنتهماً على المزيد مما صلح منها، وقد أورد الأصبهاني حديثاً عن النبي ﷺ: «النادم ينتظر من الله الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله، وسوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان، فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف، فإن الموت يأتي بغتة، ولا يغتر أحدكم بحلم الله ﷻ، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله»^(١).

ففي هذا الأثر حض على اغتنام فرص العمر وترك التسويف في الطاعة والتوبة والاستزادة من الأعمال، وعدم الاغترار بإمهال الله وحلمه، ويا عجباً ممن ينظف منزله ومتجره ومكتبه كل يوم، ويجدد لذلك الأثاث والبضائع، بل

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٣١٤/١) رقم (٥٢٠)، والبيهقي في الشعب (٥/٤٥٣) رقم (٧٢٥٤) وغيرهم من طرق عن مطرف بن مازن عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً به. وقال ابن عدي في الكامل (٤٣٠/٦) وهو بهذا الإسناد منكر. اهـ.

ومطرف بن مازن كذبه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بثقة. انظر ميزان الاعتدال (٤٤٣/٦).

يجدد ثيابه وينظف ما تدنس منها دائماً، ولا ينظف قلبه، ولا يجدد لكل خطيئة أو تقصير توبة، ولا يصفى قلبه لله من كل شيء، كل هذا من الغفلة والغرور ولا يرضى لثيابه بالدنس، ويعمل على دنس قلبه، بل على المزيد منه بترك تطهيره، وفي الحديث : «إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقلت وإلا علت قلبه، فذلك الران الذي قال الله فيه : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١).

فالعابد لله يراقب الله بمحاسبة نفسه على كل خطرة أو نظرة، وعلى كل حركة وسكون ليصقل قلبه من سواد المعصية فعلاً والتقصير في الطاعة فلا يلقي الله بقلب أسود، فإذا تدنس ثوبه ذكر دنس قلبه فسعى لتنقيته وتطهيره قبل ثوبه؛ لقوة معرفته أنه محل نظر الله.

وإنما كان العابد لله منقياً لقلبه منزهاً لأحاسيسه ليسلم تفكيره مما سوى الله، فتنضبط جوارحه وحركاته وفق حدود الله، فتكسب نفسه الاعتدال والتوازن، وكلما اعترأها شيء من نزعات الشياطين أصلحه بمراقبة الله والتوبة النصوح؛ ليرجع إليها توازنها واعتدالها، فلا تفقد مدد الله، فإن الإنسان في أشد الحاجة إلى تعهد حياته المعنوية والتنقيب في أرجاء نفسه، ليعمل ما يصونها من التفكك، والعلل الناشئة من الشرك الذي هو اتباع الهوى، أو المعصية التي لا تكون إلا من غفلة أو غيبوبة منهزم عقل.

فإن الكيان العاطفي والعقلي للإنسان قلما يتماسك مع حدة الاحتكاك بأنواع الشهوات والمغريات، وتأثير وساوس شياطين الجن، وقرناء السوء من

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٥/١)، وابن حبان في صحيحه (٢١٠/٣) رقم (٩٣٠) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

شياطين الإنس، وهذه عوامل الهدم في الكيان البشري، تهدم الضمير وتسلب العقل وتقضي على الفطرة، ولا ينجي منها إلا مواصلة الجهاد في تنقية القلب وتطهيره مما سوى الله، ولذا كان المؤمن دائماً في جهاد أكبر، لحماية مملكته الغالية التي بين جنبيه من استعباد الهوى والشهوات، واستعمار شياطين الجن والإنس لها.

الرابع والثلاثون بعد المائة: عبودية الله تستلزم الإخبات له، فالعابد لله يكون محبباً له، والإخبات: الاطمئنان، فهو النزول بالنفس عن الكبرياء والغطرسة، بأن تستذل لله وحده، وترى فقرها وحاجتها إليه ملازمين لها، ويسمى المكان المطمئن في اللغة: (حبتاً) والإخبات لله هو: الذل والاطمئنان عند ذكره خوفاً ووجلاً، والرضا بقضائه بالصبر على المصائب، وهو عدم الجزع والأهلع لا الاستسلام بالكلية، بل يعالج قضاء الله بما قضاه من الأشياء التي تدفعه أو تخفف وطأته وأن يكون العابد مقيماً للصلاة، مصطبراً عليها، كما أمره الله، ليستعين بها على طاعته وتنفيذ وصاياه، وأن يجود بماله بالإنفاق فيما يرضي الله.

وقد أوضح معنى الإخبات في قوله **وَعَلَىٰ**: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥] فالإخبات من لوازم العبودية؛ لأنها مبنية على الذل والخضوع، ومنه يسمى الطريق الممهّد المذلّ بالآلات معبداً، لكن هذا الذل لا ينبغي إلا لله وحده، أما لسواه فلا يكون محموداً، بل هو جبن وخنث وميوعة، وقد يكون شركاً والعياذ بالله.

وبعكس المخبت (المغرض الانتهازي) الذي يعبد الله على حرف، فإن نال

خيرًا ونجاحًا عاجلاً رضي واطمأن به ومن أجله، وإن أصابه شر أو انتكس مقصوده بحدوث فتنة أو محنة سخط على الله، وانقلب عن طاعته أو شك فيه - والعياذ بالله - فهذا ليس من العابدين لله، بل هو انتهازي ليس عنده إيمان ولا عقيدة، وعاقبته الخسران المحتم من الله في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

الخامس والثلاثون بعد المائة: العابد لله يلتفت إلى حكمة في مصلحة الأمور، فيدفع الشر والإساءة بالتي هي أحسن، ويكون حكيماً في المعاملة، يستجلب الود والإخاء، ويعفو عن الزلات، ويقابل المسيء بالإحسان ليستبقي مودته، ويكسب صداقته بدلاً من أن يشاوره، فيستعجل الخلاف، ويتفاقم الشر، ويعظم الخطر، ويتسع الصدع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] وهذا إذا كانت الإساءة ليس لها مساس بالدين أولاً، ولم تصدر من خبيث الطبع ثانياً، ولم تتكرر ثالثاً، فإن كان لها مساس بالدين وجب الغضب لله، غيرة له وحمية لدينه، فيعالجها بمقتضى الشرع من إزالة المنكر، وتأديب فاعله حسب حاله، وحال خطيئته، ناوياً بذلك رحمته بتطهيره مما قال أو فعل مع نصرته للحق، فإن الرحمة الصحيحة لا تتحقق إلا بذلك، فرحمته بنصحه وزجره وتأديبه ليرتدع فتطهر جوارحه وأحاسيسه من رجس الخطيئة وشؤمها، وتركه غش له وإيذاء لجوارحه، وتنجيس لروحه، وخيانة لرب العالمين وإخلال بعبوديته.

وأما خبيث الطبع فلا ينفع معه التسامح، ولا يجدي فيه المعروف

والإحسان، بل يزيد في تمرده وغروره واستعلائه على الأخيار، فعلاجه ودفع ضرره بقمعه بالعقوبة الرادعة الملائمة، نصحا لله ولكتابه ولرسوله وعباده المؤمنين، وما أحسن قول الشاعر:

واخش الأذى عند إكرام اللئيم كما تخشى الأذى إن أهنت الحر ذا النبل

إن الصنعة للأندال تفسدهم كما تضر رياح الورد بالجعل

وكذلك من تكرر بإهدار الكرامة والنيل من المؤمن، وإن لم يكن خبيث الطبع فإنه يردع حتى لا يكون ذلك سجية له، فيكون ردعه تهديبا له ورحمة. فالعابد لله يجمع بين الصبر والانتفاضة، وبين الحلم والغلظة حسب الحدود الشرعية، بحيث لا يطغى كل منهما على الآخر، وقيل:

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج

ولست أود الجهل خدنا وصاحباً ولكنني أرضى به حين أخرج

السادس والثلاثون بعد المائة: عبودية الله توجب على العابد اعتزال المخالفين صراط الله، المنابذين لوحيه، فلا يجالسهم أو يقترب منهم، إلا لمصلحة دين الله، وما يستوجب خدمة عباده الصادقين، ولا يخالطهم على باطل أو مجلس معهم وهم يخوضون في آيات الله؛ لأن العامل لشيء من ذلك مخل بعبودية الله، بل قد انطفأت جمة الغيرة لله من قلبه، لنقص حب الله فيه أو انعدامه منه والعياذ بالله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

السابع والثلاثون بعد المائة: عبودية الله توجب على العابد ألا يوالي من

خالف أوامر الله أو تجاوز حدوده، أو عمل على إيذاء المؤمنين أو التنكيل بهم، ولا يتعاون مع فاعل ذلك، ولا يعينه، ولا يدفع عنه عقوبة، ولا يحسن إليه؛ لأنه بذلك يكون مسيئًا إلى الحق وأهله، مشجعًا للباطل وفاعليه، ومؤذيًا أولياء الله، وناصرًا أعداءه، وبذلك تكون المباراة لله بالمحاربة كما ورد في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة»^(١). . . الحديث. بل عمله منافٍ لأصل التوحيد من الحب في الله والموالاتة لأجله، والبغض في الله، والمعاداة من أجله.

فالعابد لله لا بد أن يعلن البراءة ممن انتهج غير شريعة الله وحكمه، واتبع غير سبيل المؤمنين، حاله في ذلك حال أبينا إبراهيم إذ تبرأ من قومه المشركين. الثامن والثلاثون بعد المائة: فالعابد لله حقًا يكون صادق الوعد، لا يلويه عن الصدق أي مصلحة أو شهوة، وقد مدح الله نبيه إسماعيل عليه السلام بأنه كان صادق الوعد، وذم المنافقين بإخلافهم الوعد وترك الصدق في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿[التوبة: ٧٥-٧٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

وقيل له ﷺ: أيكون المؤمن جبائناً؟ قال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا»^(٢).

التاسع والثلاثون بعد المائة: والعايد لله يأمر أهله بالصلاة والزكاة مصطبراً على ذلك، ممثلاً أمر الله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

والأهل يشمل الأولاد ذكورا وإناثا، والزوجات، والإخوان، والأخوات، وسائر الأقارب أصولاً وفروعاً.

ويتسع معنى الأهل باتساع القدرة ونفوذ الكلمة، فالحاكم يدخل في عموم أهله جميع رعاياه مهما كثر عددهم واتسعت بلادهم، فهو مسئول عنهم جميعاً. والصلاة عمود الدين، وهي الفارق بيننا وبين المشركين، والمسلم المؤمن مطالب من الله بقتال الناس حتى يشهدوا الشهادتين، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وإذا كان مطالباً بقتالهم فكيف يغفل عنهم تحت يده، أو يهملهم في إقامة هذه الشعائر!!

الأربعون بعد المائة: عبودية الله تقتضي تحقيق ألوهيته في الأرض كألوهيته في السماء، فتخضع القلوب لسلطانه، وتنقاد الجوارح لطاعته،

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨١٢)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١/٥٤)، ومالك في الموطأ (٢/٩٩٠) رقم (١٧٩٥) من حديث صفوان بن سليم مرسلًا.

وتمتلئ القلوب من محبته وتعظيمه، وتندفع جميع القوى والطاقات في نصرته دينه، وقمع المفتري عليه، وجعل الحاكمة له وحده، وتكريس كل الجهود لانتزاعها من كل ظالم وطاقوت يريد الاستبداد بها وفق أهوائه.

فالعابد لله لا يقر أحدًا على ذلك، فضلًا عن أن يخضع له؛ لأن من أقره وخضع له طوعًا يكون عابدًا له قد اتخذته ندًا لله ﷻ.

أما الخاضع له والمنفذ لحكمه استحسانًا فهذا مشرك، بخلاف المرغم عليه وهو ساخط، فإن حكمه حكم من أكرهه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. فإن عبادة الله تحصر السلطان له وحده في سائر ميادين الحياة، ولا تعتبر لعباد الله جنسية سوى العقيدة التي يتساوى فيها جميع الناس، والخارج عن ذلك ليس عبدًا لله؛ لأن عمله مناقض لمدلول الشهادتين.

الحادي والأربعون بعد المائة: العابد لله حقًا عن حب ومعرفة، هو الذي يَجْرُ لتلاوة آيات الله خاشعًا مسبحًا، وإجلالًا لعظمة الله، وتقديرًا له حق قدره، واعترافًا بجميله، وقيامًا بشكره، فيتدبر ما يتلوه أو يتلى عليه من وحي ربه، ويعمل بمدلوله بعد تفهمه الناتج من ذلك الخشوع والتدبر والتعظيم، فيكون هاديًا مهديًا، صالحًا مصلحًا، مهتديًا بنفسه، داعيًا إلى ربه، موزعًا لأنوار الوحيين، مصلحًا بها قلبه، مطهرًا بها جوارحه، وساعيًا لإصلاح ما قدر على إصلاحه من أهل الأرض على ضوئها، فيكون خليفة صالحًا لله في أرضه، كما أوجب عليه، وخلقه من أجل ذلك، ويكون مقتديًا بنبيه ﷺ محسنًا التصرف في ميراثه، مستجلبًا بذلك مدد الله ونصرته على أعدائه مهما كانوا، ويحقق إنسانيته الكاملة بانتفاعه بكتاب الله علمًا وعملاً.

أما من كان على خلاف ذلك فقد دسى نفسه، ونزل بها عن مستوى الإنسان

الرفيع إلى مستوى الحيوان الوضيع؛ لأن من لم ينتفع بوحى الله من كتاب وسنة وقد حمله الله إياه فهو كالحیوان، بل شبهه الله بأبلد البهائم وأخسها، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] وهذا المثل لمن لم ينتفع بوحى الله لعدم تقبله والانطباع به؛ لأنه ببلاذته كالحمار الذي يحمل الكتب، فإنه لو حملها على ظهره طول عمره لم ينتفع بها لعدم فهمه، فالإنسان الذي شرفه الله وأمده بقبس من نوره فيما أوحاه إلى رسله، إذا زهد فيه وأعرض عن هدايته، وتخلي عن واجبه لله فيه، شابه ذلك الحمار في بلاذته، وهو الجاني على نفسه بطرحه لما شرفه الله به، فاستحق ذلك المثل السيئ من الله الذي هو أحكم الحاكمين.

ولكن كثيرًا ممن رضي بالحياة الدنيا وقصر عمله عليها، وصار غاية همه ومنتهى قصده تأمين معيشته البهيمية، وتربية عياله، وجمع المال أو اكتسابه لهذه الغاية، دون تفكير بحمل رسالته وحماية عقيدته وتركيزها والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، لتنفيذ هذا المخطط، وتوسيع رقعة الإسلام - فهذا النوع الكثير من الناس اليوم - لو قيل لواحد منهم: (أنت كالحمار) غضب وزجر، ووقع في عرضك، وقال عن نفسه: (أنا الرجل وأنا وأنا) وهو غافل سادر لا يدري أنه مستحق لهذا الوصف السيئ من رب العرش العظيم.

وبسبب هذا الشعور الخاطيء وقلة الاهتمام بما أوجب الله من حمل الرسالة لتوزيع الهداية وحماية العقيدة تغلب على المسلمين الجامدين والمحسوبين على الإسلام طغام، ممن تسيرهم الأرتال الخمسة الماسونية اليهودية، وتحركهم المبادئ المادية التي غرسها اليهود على أيدي المستعمرين؛ لأن هؤلاء الطغام

انشغلت قلوبهم - التي تركها المسلمون المفرطون فارغة - بتلك المبادئ، واستعلت تحمسا لها، فتصلبوا للدفاع في سبيلها ونجحوا - مؤقتا - نجاحا جروا به الخراب والدمار في كل ناحية، وسببه تبلد المسلمين لانطفاء جمره الغيرة لله في قلوبهم.

والله الذي ضرب هذا المثل لمن لم ينتفع بوحيه بحسن حمله ورعاية الأمانة فيه، قد ضرب مثلاً أسوأ منه لمن انحرف عن وحيه وانسلخ منه مبتغياً سواه، مما تهواه نفسه من المذاهب والأذواق، فشبهه بالكلب الذي من طبيعته أنه ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾ كما نص على ذلك في الآيات [١٧٥-١٧٦] من سورة الأعراف، وقد ذكرت في عدة مواضع أن هذا المثل هو من معجزات القرآن الخالدة، فإننا نرى المنحرف عن وحي الله إلى شهواته وأطماعه يلهث كالكلب، بل نجد هذا الصنف من الناس يتهارطون في صحفهم وإذاعاتهم، تهارط الكلاب، وإذا سكت بعضهم لم يسكت الآخر عنه فيعود إليه.

وهذه من بعض عقوبات الله على الكفرة ومن شابههم من أذعياء الإسلام، الذين إذا ذكروا بآيات الله خروا عليها صمًا وعميانًا، لا تعيها آذانهم، ولا ترعاها قلوبهم، فلا تنطلق بها جوارحهم، فإنهم بذلك يحدثون فراغًا هائلًا تفتح به جميع ثغورهم أمام غزو أعدائهم المتنوع كما حصل، ولا ينجو المسلمون منه حتى يحققوا عبادة الله بأخذ وحيه بقوة، وأن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، مبتعدين عن مشابهة أهل الكتاب في أي شيء كما سنوضحه.

في العبادة والسلوك:

الثاني والأربعون بعد المائة: يجب أن تسيطر عبودية الله على العابد الصادق في سائر أنحاء سلوكه في تصرفه بماله، وفي تربيته لعياله، وفي معاملته مع الناس في الشارع، والمتجر، والمصنع، والمؤسسة والدائرة، وفي جميع واقعيات الحياة، من شئونه الاجتماعية، ونظراته السياسية، ومعاملاته الاقتصادية، وسلوكه في الحكم، إن كان حاكمًا، أو منتظمًا في دواوين الحكم، فيراقب الله ويخشاه ويتقيه في كل من ذلك، ففي المسلك الاقتصادي يعتبر المال مال الله، لا يصرفه في التبذير ولا في شهواته ورغباته، بل لا يصرف منه أقل قليل في معصية، ولو كانت صغيرة؛ لأن المعصية الصغيرة إذا اقترن بها صرف حقير المال كانت كبيرة.

فالعابد لله كما يكتسب المال من حقه لا ينفقه إلا في حقه من طاعة الله، وما يستعين به على حمل رسالته، والقيام بإعلاء كلمة الله، بأي وجه من الوجوه، ومن الإنفاق الواجب عليه، ناويًا الاستعانة به على ذلك، مجتنبًا الأشر والبطر ومجاراة السفهاء، أما في ميدان التربية، فيربي عياله وخدمه ومن يمونه من المسلمين تربية دينية صحيحة لا مادية صرفة، بل يجمع فيها بين الروح والمادة، مغلبًا جانب الروح لا جانب المادة، ملاحظًا مسؤوليته أمام الله في كل من هم تحت مسؤوليته وإشرافه، فلا يذهب للصلاة ويترك من تحت يده، بل لا يدع لهم مجالاً للتمرد على حكم الله والإعراض عنه، والانشغال بغيره، كيلا يكون خائنًا لله في ميدان التربية والتعليم، ولا ينام ويغفل عنهم، ولا يتركهم لقرناء السوء، أو يعتمد في تربيتهم على المدارس المادية، ولا يجلب إليهم ممن يسير على مخطط مخالف لوحي الله، بل لا يعتمد ولا يثق بأي معلم

حتى يراه صالحًا مطيعًا لله، عالمًا بحكمه، وقافًا عند حدوده، معظمًا لحرماته، ويبعد أولاده عن التعلم ممن خالف هذه الصفات، إذ لا خير في العلوم المادية إذا خلت عن الدين، فكيف إذا انحرفت بصاحبها عنه، فالفضل لها ليس عابدًا لله، بل هو من عبيد المادة.

والعابد لله حقًا من يجعل المستقبل الديني غاية همه، ومنتهى قصده، معتمدًا على الله في تحصيل المادة، ساعيًا لها سعيًا لا يضر بدينه، ويفضل أن يكون ابنه عابدًا لله، حاملًا لرسالته، ولو في أبسط حرفة، على أن يكون رئيسًا ملحدًا؛ لأن ولده من كسبه، ولا ينتفع إلا بصلاحه وسلامة دينه وسعيه في مرضاة الله، وبعكسها يحرم النفع ويجني الأوزار، إذا كان ضلاله بسبب تفريطه في تعليمه العلم النافع، فعبودية الله تهديه لذلك وتجعله يؤثر الناحية الدينية.

أما معاملته مع الناس في السوق والشارع، والمتجر والمصنع، والمؤسسة ونحوها، فإنه يقيم حكم الله في نصحهم وتوجيههم إلى الله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وحضهم على الفضيلة، والتعاون معهم على البر والتقوى، وعدم مجاراتهم، أو السكوت على ما يراه من إثم وعدوان، وأن يكون طبيبًا لقلوبهم، رحيمًا بهم في النصح والتعليم، لا يستهزئ بهم ولا يدعهم بدون توجيه وإنكار، ومن أعياه أمره منهم ابتعد عنه وهجره وقاطعه حتى يفيئ إلى أمر الله، ولا يسمح لأي نوع من الفساد أو دواعي الفتنة أن ينتشر في سوقه أو أي مرفق من مرافق بلده أبدًا.

وفي سلوكه في الحكم يقف عند حدود الله، ولا يتخطى شريعته أبدًا، وفي معاملته مع الحكام ومصاحبه لهم، يذكرهم بأمر الله، وسلطانه الأعلى،

ويسدد خطاهم فيما قصرُوا فيه، ويعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، ولا يداهنهم بالسكوت أو يغريهم بالمدح الباطل، فإن هذا خيانة لله من جهة، وغش لهم من جهة أخرى، وكله مغل بعبودية الله.

الثالث والأربعون بعد المائة: لا تقوم أي دعوة إصلاحية، ولا ينجح أي مجهود لتقويم الأخلاق، وتطهير المجتمع من أنواع الفساد، وتزكية النفوس من الغش والأحقاد، والنفاق والشهوات والأنانية، إلا بتحقيق عبودية الله على أساس تصحيح العقيدة والاستقامة على الإخلاص لله والصدق معه، حباً له وطمعاً في ثوابه، وشوقاً إلى لقائه، والأنس بقربه ورضوانه، وخوفاً من غضبه وعقابه، وطرده من رحمته، وحرمانه من رؤيته، فيخضع لسلطانه بتدبر وحيه من كتاب وسنة والقيام بتنفيذهما، وتقرير القيم، ووضع موازين النظم على أساسهما، وجعل سلطته خاضعة لهما، مسيرة في فرضهما وتنفيذهما على المجتمع، إذ بدون ذلك تتأرجح الأخلاق، وتتخبط المفاهيم، وتطيش الأوزان، وتتغلب الأغراض النفسية والشهوات، وهمزات الشياطين على كل حركة لا تقوم على أساس العبودية لله، والخضوع لحكمه والتزام وحيه.

ولذا كانت جميع دعوات الرسل إلى عبادة الله وتقرير منهج (لا إله إلا الله) لتحرير الناس من سلطان العبيد ومن سلطان الشهوات، ولكي يتوجهوا إلى خالقهم، وينشغلوا بحبه وذكره، والعمل بطاعته، ويستلهموا الهداية في كل شأن من شئونهم، ونائبة تنوبهم من وحي الله فقط لا يلتفتون إلى غيره، ولا يريدون سواه، وبذلك ينجح عملهم ويثمر مجهودهم، وتتوحد صفوفهم؛ لأنه لا يشعر بعضهم بضغط بعض، بل ولا يراه حاصلاً، إنما يرى حكم الله هو المسيطر، وذلك بعدما تتقرر (لا إله إلا الله) في القلوب، وتتكيف بها

الأعمال والنظريات والمقترحات، وسائر الأحوال، فتطهر الأرض من طواغيت الأهواء وأرباب الحكم المبني عليها، وهم الذين عارضوا الرسل وقاوموهم.

ولو دعتهم رسل الله إلى التكتل تحت قومية أو وطنية يقيمون لأجلها حكمًا علمانيًا لما عارضوهم، بل طاروا فرحًا بما اقترحوه؛ لأنه يؤيد أهواءهم ويبعثهم على مللهم ونحلهم، ورغباتهم التي هي افتراء على الله وابتعاد عن سبيله، ولكن يأبى ذلك؛ لأنه ليس فيه تحرير صحيح ولا تطهير، وإنما فيه إقرار للتسلط وعبادة الهوى وتوسيع لرقعة الشقاق والجرائم بدل الوحدة والأمن، فالله لم يرسل (نوحًا) لتقرير سلطان قومه على ما يريدونه من التكتل الوطني والعمل المادي، ولم يرسل (هودًا) ليقرر سلطان (عاد) ويجعل لهم الخيرة في النوع الذي يريدونه من الحكم والشهوات، ولم يرسل (صالحًا) إلى (ثمود) لهذا الغرض الذي يعشقه القوميون من مخططات الماسونية اليهودية، ولم يرسل خليله (إبراهيم) ليقرر سلطان قومه ويبيح لهم ما أرادوا، بل قال لهم: ﴿أَيْفَاكَ ءِالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفافات: ٨٦، ٨٧] وإنما أرسلهم لتقرير عقيدة (لا إله إلا الله) وتوحيد سلطتها، وإعلاء كلمتها على جميع أهوائهم وشهواتهم، فما رضوا برسل الله من أجل انتزاع سلطتهم، وقاوموهم للإبقاء عليها والاحتفاظ بها، مع أنهم لا ينكرون ربوبية الله، ولكن لا يريدون الخضوع لسلطانه، والتقيد بأوامره المزيلة لسلطتهم، والقامعة لأهوائهم.

وكذلك لم يرسل محمدًا ﷺ لإقرار سلطان العرب أو غيرهم على ما يريدون، ولو كان هكذا لقل المخالف، بل قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ

أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿ [المؤمنون: ٧١] إن العرب وقت البعثة المحمدية كانوا أشد شرًا من حالهم في مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري، والعشرين الميلادي، إنهم أسوأ حالة منا في البؤس والشقاء، والفرقة والتناحر والاستعمار المطوق لهم من جميع الجهات، فالجنوب العربي يتقلب بين استعمار الفرس والأحباش، وباقي الجهات تحت نفوذ الرومان والفرس، ولم يسلم من الاحتلال المباشر إلا ما لا يستحق الاحتلال من الأراضي، التي يصور لنا الشاعر العربي معيشة أهلها في فخر واعتزاز، وتنويه وإعجاب:

فما العيش إلا الضب يحرشه الفتى وورد بمستن اليرابيع أكر

فلو قام يدعوهم ويلهب شعورهم إلى قومية يتكتلون تحت لوائها وشعاراتها؛ ليطردوا بها المحتل لبلادهم، وسائر ثغورهم، لاستجابوا له بدون كلفة ولا تعنت، واستراح من عنادهم وإيذائهم، وقد يتوجوه ويملكوه أمرهم لما يعرفون من شرفه وأمانته، ولأنه يدعوهم إلى ما لا يخالف أهواءهم ولا يطمس مللهم ونحلهم، ويكبت مقاصدهم؛ لأن الدعوة القومية فيها إقرار لكل ذي باطل على باطله فيما يتعلق بالله.

وكذلك لو دعاهم إلى مذهب اجتماعي من مخترعات اليهود المفسدين يثير بها الأكثرية الغوغائية على طبقة الأشراف والأثرياء، لاستجاب له الأكثر، ثم كان الأقل مغلوبًا وانتصر في الحال، بدلاً من أن يتعثر بدعوة (لا إله إلا الله) التي لا تدع لأحد من كل الطبقات شيئاً من الخيرة في أمره.

ولكن الله لا يريد شيئاً من ذلك ولا يرضاه ولو في فترة قصيرة؛ لأن الله لا يرضى الشرك لحظة واحدة، ولا يجيز لأحد من أنبيائه وأتباعهم الممالة عليه

أبدأ، وليس من حكمته التدرج في خلقه على ضلال؛ لأنه لا يجدي في النهاية، بل يكون هادماً لمقصود الرسالات، ومعجزاتها، ومبادئها الثابتة، من أول وهلة إلى النهاية.

ولو علم الله في ذلك خيراً لأمر أنبياءه أو بعضهم أو خاتمهم محمداً ﷺ أن يدعو إلى مبدأ قومي، أو مذهب اجتماعي، يسير الناس عليه، حتى إذا تجمعوا وقهر بعضهم بعضاً عليه دعاهم بعده إلى التوحيد الخالص بعدما أركسهم في الشرك المتنوع، ولكن يأبى الله أن يشوب دعوة الرسل، أو يتقدمها شيء من ضروب الوثنية المادية، واتباع الهوى، بل كانت الغاية والحكمة بعث الرسل بالتوحيد الذي ينتزع فيه سلطان الأهواء والشهوات من كل ناحية، فلا يبقى للأهواء والشهوات مرتع في الحكم، أو في سائر أنواع السلوك، وهو العليم الحكيم - جل وعلا - يريد أن يمحو سلطان البشر على البشر من أي نوع كان؛ حتى لا يحكم أحد أحداً إلا بحكم الله المطهر للنفوس والجوارح، والمصلح لجميع الأحوال بتحقيق العبودية له وحده.

الرابع والأربعون بعد المائة: العابد لله يكون مرهف الإحساس، قوي الشعور، صادق العزيمة عظيم الهمة، يطير إلى الله بجناح الشوق، مسارعاً في مرضاته، نشيطاً في طاعته، محباً للقاءه، غير ضجر ولا ملول، فلا يُفقد في مواقف الطاعة ومواقع الجهاد، فضلاً من أن يتفقد أهله الحسبة أو يأطروه؛ لأن من كان كذلك فشعوره بارد، ومحبه ضعيفة، وشوقه مفقود.

فعباد الله حقاً يطرون إليه بأجنحة من الشوق دون زاجر أو مرهب، سوى ما في قلوبهم من معرفة الله الصحيحة ومحبه الصادقة التي انبعث منها الشوق إلى لقاءه، تصديقاً بوعده ورغبة في جنته، فتجدهم رهباناً بالليل وفرساناً

بالنهار، يستهمون على الجهاد نصره لدين الله وطلباً للشهادة المسرعة بهم إلى ما وعدهم ربهم، قد قادهم إلى الله علمهم به، وتقديرهم له حق قدره، وقيامهم العملي بشكر نعمته وبره وإحسانه، ومعرفتهم لوظيفتهم في الأرض من أنهم خلفاؤه فيها، وأمناؤه على وحيه ورسالته، فلذلك لا يبغون عنهما بديلاً.

بخلاف الجهلة الذين لعبت عليهم الماسونية واليهودية، وجعلتهم يعملون للطين لا للدين، ويقاتلون في سبيل الشيطان، شيطان الهوى وشيطان الإنس الذي يحبونه ويعملون له من دون الله، ولذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْنِيْنَ أَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ [يس: ٦٠، ٦١] وقد أوضحت معنى الشيطان في أول التفسير، فليرجع إليه.

الخامس والأربعون بعد المائة: الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يستلزم من صاحبه تجديد حياته كل ساعة بمراقبة الله وخشيته والرجوع إليه بالتوبة والاستغفار، والتزام حكمه في كل شيء، لئلا يتعثر في سيره، أو يستمر على تعثره بدوام ميله مع الشهوات واقترافه للدنيا بسبب إثرته التي لا ينجيه منها إلا تصديق ذلك الابتهاال بالعمل، وحسن المراقبة ودوام الاستغفار الصحيح وصدق الاستعانة بربه، حتى لا يكله إلى نفسه ويدعه حيران يتخبط في ضلال حيرته، ويدور في حلقات مفرغة من التجارب المخففة المضیعة لوقته وطاقاته.

السادس والأربعون بعد المائة: الاستعانة الصادقة بالله تحيي الأمل في الإرادة الضعيفة الباردة أو المخدرة المسلولة، وينهض عزيمة العبد الراقدة أو المتبرة، فتجعله يستأنف سيره إلى الله، ويسترجع قواه حسياً ومعنوياً، وتزِيل

عنه الكنود القديم الذي يعوقه عن ذلك، ويجعله ينال منزلته الحقيقية في الدنيا وفي الآخرة، ذلك أن المستعين بالله محب له، واثق به، معتمد عليه، ناصب وجهه إليه، ملتزم لحكمه، ساعٍ فيما يرضيه، فيكون متسلحًا بالأسلحة الروحية مع الأسلحة المادية فلا يغلبه غالب، وقد جربت الدنيا ذلك على أيدي الصحابة الكرام.

السابع والأربعون بعد المائة: الضراعة الصادقة المتكررة من عبد الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حياة متجددة من المقبل عليه، وعودة ونقله حاسمة من الغافل عنه، تتغير بها معالم النفس المتغذية بوحى الله، كما تتغير الأرض الموات بالمقادير الكافية من الماء والمخصبات، إنه بالتكرار لهذه الضراعة يصقل قلبه بتكرير مناجاة محبوبه الأعظم، وتتحرك جوارحه لتصدق ما في قلبه من الحب والإخلاص لله، فتنفجر طاقاته في حمل رسالة ربه والجهاد في سبيله، ويتوقد ذكاؤه، وتبارك جهوده ومساعيه ببركة قربه من ربه وعمله لوجهه الكريم؛ لأن الضارع الصادق بهذه الآية تنحصر تحركاته من أقوال وأعمال لله وفق شرعه، لا يشوبها شائبة من نزغات الهوى والشيطان، فيحظى بهذه الثمرة باطنًا وظاهرًا.

وبعكسه البعيد من الله يكون محرومًا من النور المعنوي، وعقيمًا من النجاح الصحيح، فمواهب الذكاء والمعرفة والقوة والجمال تتحول إلى نقم ومصائب، وشقاق ومتاعب، عندما يبتعد صاحبها من الله فيحرم من بركته وتوفيقه، هذا إذا قدر له نجاح مادي مؤقت يئول إلى هكذا، وإلا فالغالب هزيمته وإفلاسه، ولذلك يخوف الله عباده سوء العاقبة بقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿[الذاريات: ٥٠، ٥١] وكل ما

يجريه الله من المهلكات والمروعات في الدنيا فهو إشعار لعباده بما يتعرضهم من المعاطب بسبب التفريط في جانبه، فكما تلتمس النجاة من الخطر الداهم الذي تنظره بعينك فاحسب أعظم حساب لما يوعدك الله به، فاهرب منه إليه.

الثامن والأربعون بعد المائة: العابد لله حقًا لا يتجاوز نصوص الوحيين

من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ معتقدًا كفايتهما في كل شيء، مستيقنًا أن ربه - سبحانه - ليس (نسيًا) وأنه لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض، وأن علمه محيط بالسابق واللاحق، وأن أحكامه وتشريعاته كافية مغنية لحل جميع المشاكل في كل عصر، وأن ما يجري مما يسميه أعداء الله تطورًا إنما هو زيغ وضلال وتهتك وانحلال، وأن التطور الصحيح يجب أن يمشي وفق ما شرعه الله، فإذا خالفه فليس تطورًا، بل هو رجوع إلى جاهلية وهمجية جديدة وإن ظهر بألوان وأسماء مخترعة شتى للدجل والتضليل، فإن خبثاء القصد والعمل قد بهرجوا جاهليتهم بطلاء العلم والمعرفة والحضارة والمدنية ليسوغوا تسميته تطورًا، والعلم الصحيح والمعرفة والحق على خلاف ما يريدون؛ لأنهما يدلان إلى الله ويخضعان لصاحبهما لحكمه، فالعابد لله المتصور لمقصوده من إرسال الرسل يعرف أن الجاهلية ليست صورة معينة لفترات تاريخه قد مضت وانتهت بلا رجعة، وليس مقابل ما يسمى بالعلم والمعارف والرقى والحضارة؛ لأنها لو كانت كذلك من هذا النوع أو ذاك لفنדהا القرآن وعاب أهلها بعدم معرفتهم العلوم والفنون المادية والنظم الإدارية أو السياسية، ولأوضحها لهم ليخرجوا بها من جاهليتهم إلى طور جديد، فأعطاهم البديل من الجهل المادي بعلم الكيمياء والفلك والرياضة والطبيعة والجيولوجيا وغيرها، وأعطاهم البديل من الجهل السياسي

بالنظريات السياسية المختلفة في المكر والخديعة، ولكن جاهليتهم ليست من عدم علمهم بهذه الأشياء وممارستهم لها، فإن عندهم علومًا مادية ورياضية على حسب متطلبات بيئتهم وزمانهم، وعندهم من فنون القوة والجمال شيئًا لم يبلغ بعضه من بعدهم، كما قال تعالى في الآية (٩) من سورة الروم، والآية (٦٩) من سورة التوبة، والآية (٢١) من سورة المؤمن، وغيرها، وعندهم من أساليب المكر السياسي ما يلائم أحوالهم مما يماثل المكر المعاصر أو يزيد.

وإنما جاهليتهم مبنية على اتباع الهوى والشهوات، وتقليد الآباء، ومسايرة الناس بغير هدى من الله، بل على أساس رفض وحي الله ومحاربة رسله وأتباعهم، وإعلان بغضهم، والتنفير عنهم، وتمجيد الاعتماد على النفس وانطلاقها في التصورات والأفعال دون وازع سوى حكم الطاغوت أو القوة المادية. هذه حقيقة الجاهلية الأولى المعادية لرسول الله، سواء كانت جاهلية عربية أو رومانية أو يونانية أو فرعونية أو فارسية أو هندية أو صينية، فلا عبرة بالأسماء ولا بالانتساب، إنما العبرة بالحالة النفسية التي تأبى الانقياد لأمر الله والانصياع لحكمه؛ اتباعًا للهوى ورغبة في الأنانية والنفوذ المطلق بأي صورة ظهرت، وبهذا التعريف الظاهر المنضبط الصحيح يتضح لعبد الله أن لكل قوم في كل زمان جاهلية، فيحذرنا ويفر منها إلى الله بالاستمسك بوحيه والاستغناء به والرجوع إليه في كل ورد وصدر، واعتقاد أن جميع المظاهر والتصورات والأعمال المخالفة له جاهلية ورجس من مبتكرات الطواغيت المختلفة، ويدرك الأغوار البعيدة والمقاصد الخبيثة لما يطنطن به الملحدون والمغفلون من كلمات الحرية والحضارة والمدنية، التي هي من شعارات الماسونية البارزة في الثورة الفرنسية وألاعيبها في السلطنة التركية، تلك الأمور

التي كان من ثمراتها الحنظلية تركز اليهودية العالمية وأذناها بكثير من المراكز الحساسة في أغلب الدول المنصبغة بالجاهلية الحديثة، سواء ادعت العروبة أو الإسلام أو النصرانية أو غيرها من الألقاب المبهرجة، كما كان من ثمراتها فصل الدين عن الدولة، بل إقصاؤه عن جميع واقعيات الحياة ومناصبته العداء، واستغلالهم مسمى (الحرية) لجميع أنواع الإلحاد والعهارة التي تهز القيم الدينية والأخلاق النبوية والأعراف المنبثقة عنهما، وتجاهر بتسفيه أهلها وتشكيك الناس فيهما، وإطلاق العنان للشهوات البهيمية تحت رعاية دولهم، مما يجعل هذه الدول على غاية من (الدياثة) لإقرارها السوء في أعراض أهاليها، وتشجيعهم على ذلك، ويعملون بكل جد ونشاط على جعل الإنسان يعبد نفسه بخدمتها والسعي وراء متطلباتها دون الالتفات إلى الله، جعل الإنسان يعبد إنساناً مثله باسم المبدأ أو الفلسفة للمبدأ أو الزعامة فيه، وإعطائه قداسة الألوهية بتعظيم صورته وعرض تماثله على الجماهير والانحناء له حياً وميتاً في قبره، بل يعملون على عبادة الشخص لفئة الخاصة أو وطنه كما هو معروف معمول به في مناهج القوميات التي قلبوا فيها دين الحق، دين تعدد بمختلف الغايات والأصنام الناطقة والاتجاه إليها، مما جعلهم في أحط أنواع الجاهلية واعتقادها في سوء التأثير والإصرار بسبب عمق التضليل وقوة الدجل واللعب بالعواطف واستغلال العلم المادي وسائر الفنون في هذا السبيل،

بحيث قال شاعرهم:

لا رب إلا الشعب جل جلاله فله العبادة لا شريك له ينوب

وقال الشاعر الوثني الآخر:

انطلق في ضحاها ومساها يا أخي قد أصبح الشعب إلها

مع أن الشعب الذي يتغنى المغرضون باسمه ويأخذون كل شيء باسمه ويحاكمون ويقتلون ما شاءوا باسمه ليس له من أمره ولا مثقال ذرة بل يسوقه الحكم العسكري الغاشم إلى ما يريد، ويحركه تحريك الآلة بحيث تكون الأنعام أحسن منه حالة، وقد قدمنا فيما مضى أن ذلك عقوبة من الله يجريها على من تنكب عن عبادته فيبتليه بعبادة من لا يرحمه ولا يقبل منه معذرة ولا تسويفاً، ومنشأ هذه الأحوال التي يتردى فيها الإنسان هو الانتقاص من كفاية وحي الله وعدم الاستغناء به والانشغال بتدبره؛ فتحصل الرغبة في غيره أو طلب المزيد من غيره لحل المشاكل، فتتلطخ الأدمغة وتفسد التصورات، وبفساد التصور يحصل الانحراف وينقلب الاتجاه بانقلاب المفاهيم، حتى أن الذين ابتلوا بالنظريات العصرية والمذاهب الثورية يرفضون الأخلاق والفضيلة، ويزدرون ما يسمى (الحق) فلا يوجد عندهم ميزان صحيح للحق والفضيلة، كأن الحق والقيم الخلقية ليست إلا أشياء نسبية، اقتضت شرعيتها وفائدتها على زمان أو مكان خاص أو بيئة مخصوصة، وقد لقبوا المجتمعات المؤسسة على الدين والأخلاق النبوية بالجمود والتزمت والتأخر، وعملوا على القضاء عليها باسم العلم والفنون والتصنيع والتجميل، كأن ذلك لا يتم إلا على حسابها، وصدق معنى الحديث المروي عن علي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنها ستكون فتنة» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق

على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(١) فكل ما حدث وما يحدث من النظريات والفتن والفساد وأنواع المحن سببه الانحراف عن تحقيق العبودية لله، والانصراف عن وحيه زهدًا فيه أو انتقاصًا له إلى غيره من العلوم المادية والنظريات الماسونية اليهودية المتنوعة، وهداية الله النافعة في كل ميدان والدالة على عبوديته وطريق مرضاته والمحققة للوحدة والأمن الصحيح والعيشة الراضية في الدارين لا تحصل إلا من طريق الوحيين: كتابه وسنة رسوله ﷺ فالمنحرف عنها والمنصرف إلى غيرها مبتعد عن عبودية الله وهدايته ونيل وعده الصادق.

وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) [الأنعام: ١٥٣].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٥/٦) رقم (٣٠٠٠٧) طبعه مكتبة الرشد، والبزار في مسنده (٧٢/٣) رقم (٨٣٦) من طريق ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب به.
وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن علي ولا نعلم رواه عن علي إلا الحارث. اهـ.

قلت: ابن أخي الحارث الأعور مجهول. انظر ميزان الاعتدال (٤٥٩/٧) والحارث الأعور كذبه شعبة. انظر التقريب (١٠٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٥/١)، والنسائي في الكبرى (٣٤٣/٦) والدارمي (٧٨/١) =

ولا يحصل الاستغناء بالنصين وتحقيق اعتقاد كفايتهما إلا بالإقبال التام عليهما وبذل الجهد في معرفة معانيهما، وحصر التلقي لجميع أنواع الهداية منهما، وحصر معالجة المشاكل كلها فيهما، والتصميم الجازم على دفع كل ما عارضهما مع اعتقاد فساده واعتقاد ظهور ما خفي من فساد، عاجلاً أو آجلاً، فيرفض كل مذهب أو نظرية أو علم يخالفهما من أي مصدر كانت، وبذلك تكمل عبوديته لله ويصدق في ضراوته لله بسؤاله الهداية إلى الصراط المستقيم.

التاسع والأربعون بعد المائة: العابد لله لا يقرأ القرآن لأجل المزيد من المعلومات فقط، ولا لأجل تحصيل الثواب الموعود به على كل حرف، فيشرع في قراءته أو يكررها دون تفهم وخشوع، ودون تصميم على التنفيذ لأوامر الله فيه بكل قوة وتحمس، ولا تكون قراءته بقصد الاستمتاع بفصاحته أو التذوق من بلاغته، شأن المائقين المتحذلقين من ذوي الابتعاد والشكوك في الماضي والحاضر، بل يقرأ القرآن لأجل أن يتلقى كلام رب العالمين، كلام الملك العلام، مالك الملك المختص بالفصل يوم القيامة، اليوم الذي لا ينجو فيه إلا العاملون بالقرآن.

فعبودية الله تستلزم من عبده الصادق أن يقرأ ذلك الكتاب كقراءة الجندي والموظف الذي يقرأ كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه، وينفذ وصاياه متشرفاً به - إن كان مخلصاً - فعبد الله المخلص له، الصادق معه، يتشرف بقراءة كتابه العزيز ووحيه الثاني المفسر له من سنة نبيه ﷺ، ويفرح بهما أعظم فرحة، ويتلقاهما كتلقي الجندي في الميدان لتوصيات رئيسه، معرضاً عما سواهما، لا

يرفع به رأسًا، وبذلك تحصل الطوعية لله ولرسوله، وتنحصر صلة العبد بهما، وينفصل عما عداهما انفصالاً كاملاً، عن شعور إيماني عميق، منبثق من محبة الله ورسوله ﷺ، ومنازمة ما عداهما فراراً من الإثم، والتزاماً بقواعد المحبة وضوابطها.

وإذا قرأ عباد الله كتاب الله على هذا النحو وتلقوه بهذه الصورة، انفتحت لهم كنوز العلم والمعرفة، وتيسر لهم العمل به دون إحساس بأي تكليف، بل يستطيعون العمل لله، ويتلذذون به، ويتنافسون بالتضحية في سبيله، ويتسابقون إلى الفداء؛ لأن ذواتهم تكيفت بوحي الله الذي انخست به قلوبهم، وتغلغل في شرايينهم، وهناك تتفجر طاقاتهم وتصبح ثقافتهم ثقافة محمدية متحركة، زحافة في كل ميدان، وإلى كل صقع وواد، لا تقتصر على ملازم الكتب أو أعمدة الصحف والمجلات، ولا تتحجر في الصناديق والدواليب، وإنما تحرك أهلها ذات اليمين وذات الشمال، حيث أراد الله من الزحف المقدس، الذي قام به أسلافنا عباد الرحمن، والذي لا يزال نسعى في آثاره وبقاياها من الأرض.

هذا نتاج القرآن لمن أقبل عليه بفرح وحب، وتشرف وتشوق، وتعاهده حتى ينغرس في قلبه، وينمو في عروقه، ولقد كان السلف لا يتجاوزون بعض آيات منه حتى يحفظوها ويتدبروها ويقوموا بواجبها من التنفيذ، ولم يكن همهم مقصوراً على الاستكثار من قراءته كحالنا في هذا العصر، لشعورهم بعظم المسؤولية من الواجبات والتكاليف حتى حصلت عندهم الملكة على تحملها بكاملها، ورعايتها حق رعايتها.

فإن هذا القرآن لم يجعله الله كتاب قصة وفن أو أدب وتاريخ، وإنما جعله

اللَّهُ ميثاقه العظيم المتين لعباده في الأرض؛ ليكون منهاجًا لسيرهم في جميع ميادين الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ومرجعًا وحيدًا لهم في سائر ما ينوبهم من ذلك، لا يبقى رمزًا في الخيال مجمدًا في الذهن، أو محجورًا في مكان، أو مقصورًا على شيء دون شيء، والذين يريدون حصره في شيء من ذلك من المثقفين ثقافة عصرية مادية حسب مخطط أعداء الإسلام قد سلكوا أقبح مسالك الشرك في تنقيص الله وبخسهم لحقه وانتزاعهم لسلطانه، وتأليه أنفسهم من دونه، بجعل الحاكمية لغيره من البشر الذين يريدون أن تكون لهم الخيرة من أمرهم.

أقول عن هؤلاء المتلبسين بأقبح أنواع الشرك وأفظعها: إنهم لا يرضون لمواثيقهم وأنظمتهم التي دبروها أن تكون خيالاً في الذهن، لا وجود له في الخارج، أو يكون العمل بها مقصورًا على ناحية دون ناحية، بل يعتبرون هذا ردة وخيانة، كما لا يجوزون لأحد من الشعوب المدينة بها أن يخرج عن طاعة واضعها، أو يختار لنفسه منهاجًا يلائمه سواها، فيعتبرونه متمرّدًا أو عميلًا خائنًا ومتآمرًا على سلامة الوطن أو الدولة، إلى غير ذلك من التهم التي يصبون عليه بسببها أنواع العقوبات، فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من الله، إذ جعلوا لأنفسهم ونظمتهم الوضعية كامل الإيمان والسلطة والنفوذ في كل شيء دون الله ووحيه العزيز، الذي يزعمون أنه في الضمير فقط، بالله عليكم أي شيء في الضمير لا يلهب الحماس، ولا يحرك الجوارح؟! هذا خيال لا وجود له.

وهل يقبلون من أحد دعوى الوطنية في ضميره، وهو لا يعمل لصالح وطنه، ولا ينطق لصالح وطنه؟ أو هل يقبلون من أحد دعوى إيمانه بالقومية

في ضميره، وهو يسلك المسالك المخالفة لها في عرفهم العصبي؟ أو يقبلون دعوى الإيمان بالشيوعية وفروعها من الاشتراكيات في الضمير، دون التقيد بخططها ومواثيقها الماركسية؟ إذا كانوا لا يرضون ذلك - وطبعًا لا يرضونه - فما قيمة دعواهم أن الدين في الضمير؟ أو أن العبادة مختصة في المساجد والمعابد، أو أن القرآن جاء بشريعة ودين لعصور قديمة متخلفة؟ أو نحو ذلك من المفتريات الماسونية.

حقًا، إن ما في الضمير لا بد أن ينطق به اللسان، وتتحرك به الجوارح والأحاسيس، فإن حلَّ حب الله ورسوله حقًا في الضمير؛ كان وحي الله من كتاب وسنة غذاء للقلب، ومنتعة للأحاسيس، فانشغل اللسان بوحي الله وذكره، وتحركت الجوارح إلى طاعته، وتنفيذ أوامره، وابتعدت عن موجبات سخطه بدافع روعي لا مثيل له، بحيث إن الإنسان يقدر على التهرب من النظم الوضعية، فيخالفها بشتى الوسائل، ولكن الوازع الديني من خشية الله ومراقبته، والطمع في ثوابه الجزيل، والخوف من عذابه الأليم المقيم، يجعله لا يستهين بأوامر الله، أو يتهرب من تنفيذها، لما حلَّ في ضميره من الحب والمراقبة، وعلى العكس إذا خلا الضمير من حب الله وتعظيمه، وحل فيه حب غير الله أو تعظيم غير الله والخوف منه، انصرف إليه واستمال إلى ما يقذفه عليه، وتحرك إليما يريده دون مبالاة بالله، كما هو المشاهد من حال أكثر أهل هذا العصر.

ثم إنا نسأل الذين يحصرون الدين في الضمير، نقول لهم: هل تسمحون للمسلم الصحيح أن ينطق بما يمليه ضميره، ويتحرك لما يوجهه إليه ضميره المحب لله حقيقة؟ أو تقيّدونه به من كل ناحية على حسب ما تريدون؟ فأى

قيمة لما في ضميره؟ بل أي حرية تتشققون بها؟

إن المواثيق الماركسية والدساتير الوطنية - بأي صبغة صبغت - لا قيمة لها، إذا كانت خيالاً في الضمير، لا يظهر مفعولها ويبرز وجودها في الخارج، ولكن جندت لها جميع القوى الإعلامية والثقافية والعسكرية حتى انطبعت بها الأدمغة، وفرضت على الناس، وأبرز باسمها طواغيت شتى، فرضوا ألوهيتهم ونفوذهم على البشر، بمختلف أنواع التسلط، من فكري وعسكري، فما بال الدين يبقى أكلوبة مزعومة في الضمير؟ وما بال المسلمين يظنون متسولين عطف غيرهم عليهم؟

إن من أعظم الواجب لتصديق حب الله وتحقيق تعظيمه في قلوبهم: الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق، وتدبر القرآن بكل حب وشغف ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. والتصميم على تنفيذ أوامر الله والزحف برسالاته والسعي لإعلاء كلمته في الأرض أشد مما يسعى غيرهم من أهل المبادئ العصبية، والمذاهب المادية الوثنية، فمن العار أن يغلبهم أولئك، إنهم لا يحققون عبودية الله حتى يرعوا ميثاقه الأعظم بتنفيذ وصاياه في وحيه وإقامة حكمه، وأن يقوموا لله قومة الصادق المخلص، لا يخشون غيره ولا يرقبون سواه، فكل منهم مطالب بتحقيق شعار المسلمين ﴿وَجْهَتْ وَجْهِي لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وكيف يحقق هذا الشعار بدون تدبر القرآن والتزام نصوصه وتحكيمه فقط على نفسه وعلى غيره في كل ورد وصدر؟ لا بد من ذلك، وبتحقيقه يحصل

البعث الإسلامي من جديد، وتحصل الوقفة الصحيحة أمام كل جاهلية، مهما انصبغت بالأسماء والألقاب، ومهما ادعت لنفسها من العلم الذي ادعاه أسلافها من الجاهليات، إذ يقابل عباد الله خطتهم بما يدفعها ويدمغها ويزهقها ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] أما الذي يتبع معهم أو يؤول النصوص على وفق أهوائهم أو اكتشافاتهم، أو يضرب بعضها ببعض طالبًا وراغبًا الراحة في حياة بهيمية يدوب بسببها في بوتقتهم، أو يقتصر من كلام الله على مجرد التلاوة، فهذا فيه شعبة أو شعب من النفاق شعر بها أو لم يشعر، وبعضهم يكون جاهلاً ناقص الإيمان، وبعضهم فيه مشابهة للذين يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظًا مما ذكروا به، أو فيه مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني - أي: مجرد تلاوة - ومنهم من هو سَمَاعٌ للقوم الظالمين، فيه استعداد تام لقبول الكذب.

وجميع أهل هذه الأصناف مذموم عند الله كما هو صريح وحيه، فلا يكون من المحققين لعبادته بالعمل الصحيح لدينه، وقد روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»^(١). وفي الأثر المعروف الذي رواه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني. وقد ذكره الطلمنكي: حدثنا يزيد بن عبد ربه: حدثنا بقية، حدثنا عتبة، عن أبي حكيم: حدثنا عمارة بن راشد الكناني، عن زياد، عن معاذ بن جبل، قال: يقرأ القرآن رجلان، فرجل له فيه هوى ونية يفليه فلي الرأس، يلتبس أن يجد فيه أمرًا يخرج به على الناس، أولئك شرار أمتهم، أولئك يعمي

(١) أخرجه مسلم برقم (٨١٧) من حديث نافع بن عبد الحارث عن عمر رضي الله عنه.

اللَّهِ عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْهُدَى، ورجل يقرأه ليس له فيه هوى ولا نية^(١) يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به، وما اشبهه عليه وكل إلى الله ليتفقهن فيه فقها^(٢) وما فقعه قوم قط، حتى لو أن أحدهم لبث عشرين سنة لبيعثن الله له من بين له الآية التي أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه، قال بقية: أشهدني ابن عيينة حديث عتبة هذا^(٣).

الخمسون بعد المائة: العابد لله الذي يأخذ حمده وتقديسه بشغاف قلبه، ويشكره شكرًا عمليًا على فضله وإحسانه، ومجموع آلائه، مصدقًا بها وقائمًا بحقوقها عن حب وتعظيم، وشوق إلى لقائه، وخوف من سخطه وعقابه، وطمعًا في قربه وثوابه ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب هو الذي يصدق بضراعه إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذه الضراعة لا تكون صادقة إلا إذا كان صاحبها محسنًا معاملته مع الله، أعظم مما يحسن معاملته مع الناس، فإن المعاملة بمعناها العقلي والشرعي تشمل قبل كل شيء: معاملة المرء مع الله، ربه الذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، وأمدّه بالجوارح والقوى والأحاسيس، وسخر له ما في الأرض جميعًا، وأفاض عليه صنوف النعم، وهداه للتفكير في استعمال المواهب والاستثمار والتكسب، وأودع في كل مادة خصائص ومكيفات نافعة للناس في شتى أحوالهم.

هذا الرب الجليل العظيم المتفضل الكريم هو الذي يستحق أحسن المعاملة من طاعة أوامره عن رغبة ومحبة، واجتناب نواهيه عن خوف وحذر، وتنفيذ

(١) يعني بذلك: نية السوء التي لا يرضاها الله.

(٢) كذا في الأصل، ولعل فيه سقطًا.

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

تشريعاته، وإقامة حدوده، عن تشرف وتطيب، معتقداً أحقيتها، ونجاح علاجها للمشاكل دون ما سواها أبداً، مقتصرًا على طلب الهداية وسائر أنواع التثقيف من وحيه الكريم، كتابًا وسنةً، ويكون مراقبًا لله في سائر حركاته وتدبير شئونه، وبذلك يكون عابدًا لله حقًا، ويهديه الله للصدق باستعانتة في كل شيء.

وإذا راقب الله في ذلك كله سهل عليه حسن المعاملة مع سائر الناس، فلا يبغض أحدًا أو يغشه، أو يكذب عليه أو يطمع في عرضه أو ماله، أو يحمل موجدة عليه، لمراقبته لله، وحسن معاملته له أولاً، فهذا معنى الأثر: «الدين المعاملة»^(١). وما أجهل من يقصر معناه على معاملة الناس فقط، بل هذا مع جهله باخس لحق رب العالمين، أو جاحد له.

ثم إن هذا الزعم مغالطة مفضوحة لمن تدبر أحوال أهلها؛ لأنه لا يحصل حسن المعاملة للناس تمامًا، إلا بالتزام حسن المعاملة مع الله بالتزام حكمه وحفظ حدوده وحسن مراقبته في السر والعلن، فإن من يخشى الله بالغيب هو الذي يحسن المعاملة للناس بدون مقابل، أما الذي لا يخشى الله بالغيب ولا يرجو لقاءه ونيل ثوبته، فإنه وإن أحسن المعاملة للناس وقتًا ما فإنما يحسنها طمعًا في استجلاب مودتهم، أو مراغمة لخصومه، أو في مقابلة شيء، أو لمكر خفي، أو غير ذلك، ولا بد أن تنعكس أحواله.

ثم إنه - أيضًا - : إن أحسنها في ميدان أو ميادين صغيرة، فلا بد أن يسيئها في أشياء كبيرة، وميادين أخرى، كما نجده من حال الأوربيين، الذين افتتن بهم بعض من رأى مظاهر سلوكهم، وصدق مواعيدهم، وأمانتهم

(١) لم أقف عليه.

المؤقتة، ولكنه ينسى ما يفعلونه مع الشعوب التي يستعمرونها، وينسى تكالبهم على ذلك، وتعاونهم على الإثم والعدوان، ومبلغ ضراوتهم بالدم الإنساني، لأدنى طمع وأرخص غاية، كما ينسى قسوة قوانينهم في الماديات، وعبادتهم لها من دون الله، كل هذا ينساه أطفال العقول من المتجولين في بلادهم للسياحة أو الدراسة من أبنائنا، فتبهرهم مظاهر القشور دون أن تنفذ بصيرتهم إلى اللباب، فيلتفتوا إلى ما يعمله هؤلاء من الظلم الجماعي المتنوع.

بل إن صعاليكنا هؤلاء ينسون أن من خان أمانة الله في نبد كتابه، ورفض حكمه وشريعته، فهو لخلقه أخون، وإن من لم يحسن المعاملة لله في السر والعلن، فمعاملته للمخلوق لا تتجاوز النفعية والانتهازية، مهما زعم وادعى، وكم رأينا فيما مر علينا من التجارب من متناقضات الأقوال والأفعال للماديين، وتقلباتهم في مسالكهم السياسية والاقتصادية وغيرها، ما يبرهن على أنهم لا يحسون في قرارة نفوسهم بأي وخز في ضمائرهم، لعدم الوازع الديني من خوف الله وحسن معاملته؛ لأنهم في مكان بعيد من عبادة ربهم. فالصادق في ضراوته لله بـ ﴿إياك نعبد﴾ هو الذي يحسن معاملته لله حقًا كما فصلناه، وبحسن معاملته لله تحسن معاملته لخلقه، والعكس بالعكس، والعياذ بالله.

الحادي والخمسون بعد المائة: لما كان تطور الأحاسيس، وتجدد الحركات في الإنسان نابعا من داخل نفسه، وكان الحافز عليهما في بعض الأحيان رغبة بموعد، أو تجددًا لحالة، أو رفعة منزلة، أو ورود شيء من الذكريات يمد ضعفه بقوة، أو يأسه برجاء، أو كسله بنشاط، أو خموله بحزم، ولكن هذا الحافز المحرك في النفس لا بد أن يجبو لما يعترضه، أو يسنح في النفس مما

ينسخه، كان لا بد للإنسان من قوة روحية معنوية، لها روافدها الكافية في قرارة نفسه، ألا وهو الإيمان بالمحجوب الأكبر للمسلمين الحنفاء الحقيقيين. فهو الإيمان الذي لا تنضب روافده، بل تتزايد في نفوس المؤمنين صادقي المحبة الذين يذكرونه في كل حال من أحوالهم، ويقدمونه ويكبرونه في نفوسهم تكبيراً معنوياً، نطقوا به فتحركت كوامن نفوسهم بما تنفجر به الطاقات بكل ما أرادوه وصمموا عليه، من تنفيذ أوامره ونصرة دينه، ولم يكن في نفوسهم مجال للخوف من سواه أبداً، ولا مجال للكسل عن طاعته، أو الخمول في تنفيذ حكمه، أو اليأس من مدده ورحمته، فهؤلاء هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا يعترى نفوسهم ما يعترى نفوس غيرهم من الماديين، الذين تدفعهم حوافز وقتية إلى شيء ما، ثم تخبو أو تتلون بهم حسب اختلافها وتلونها.

بل هم بذكر محبوبهم الله العظيم الكريم، وشوقهم ورغبتهم إليه، ورجاء ما عنده مما هم موقنون به، تتجدد في نفوسهم تلك المزايا السالفة (كالات الأوتوماتيكية) فيملكون أنفسهم ويضبطون وقتهم، ويستغلون مشاعرهم نحو ربهم، ويحتفظون بحرية حركتهم لله وحده، لا يصرفونها لسواه، أو يملكونها غيره.

ومن هنا يدرك السر في إيجاد إقامة الصلاة المكررة وهداية الله لهم فيها إلى الضراعة له بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنهم بصدق الاتجاه في العبادة والاستعانة يتمكنون من مجابهة الأهوال، ومقارعة الأعداء، دون انتظار أمداد خارجية أو استعمال المكر بين الشعوب، كما يفعله غيرهم. فالتاريخ يشهد أن المصطفى ﷺ كاتب جميع الملوك مهدداً لهم في وقت واحد، قائلاً لكل ملك:

«أسلم تسلم»^(١) ثم أصحابه من بعده حاربوا أكبر دول العالم فارس والروم . دون أن يهادنوا أحدهما أو يستعينوا به على قتال الآخر، بل حصرُوا استعانتهم بالله وتوكلهم عليه، فزادهم قوة معنوية وأمدهم بنصره .

فإن جميع ما أودعه الله في بني آدم يصلحه الإيمان به على الحقيقة، ويحركه محبته الصادقة ويستنهضه، رجاء ما عنده من النعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض، ويفجر طاقاته التكبير المعنوي الصحيح، الذي يجعل صاحبه لا يقر له قرار على الضيم أو الانزواء في عقيدته، بل ينطلق بها كالليث الصائل، لا يدع فرصة لعدوه أبدًا، ولذا لما رأى اليهود عظمة هذا الدين المفجر للقوى الكامنة، والملكات المدفونة، والمهيئ لأهله كل فرصة، عملوا على إشغال أهله بشتى الدسائس والمؤامرات، وصرّفهم عن حقيقته بأنواع البدع والخرافات، ليحرموهم بركته ومدده، فيلعبوا بهم على الحبلين . لعنهم الله .، فليعتبر المسلمون وليرجعوا إلى الأصل المعين .

الثاني والخمسون بعد المائة: الضراعة إلى الله - جل وعلا - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مشعرة بهروب صاحبها من الشياطين والمغرضين، شياطين الجن أو شياطين الإنس، الدجالين الذين يبثون في وسائل الإعلام المختلفة زخرف القول غرورًا، لعبيد المادة والشهوات والمبادئ والأغراض، هذه الضراعة بتلك الآية الشريفة هروب صادق من هؤلاء إلى الله الحبيب لكل مؤمن، والمتلطف إلى خلقه بنعمه وفضله المتواصل، ذلك الحبيب الذي يجب على العقلاء أن يطيروا إليه بأجنحة معنوية من الشوق، يحدوها الطمع في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس

رضوانه والهرب من سخطه وعقوبته .

فإن بصدق الضراعة إلى الله بهذه الآية قولاً وعملاً وقصدًا، ينال الإنسان أهليته من كرامة الله في الدنيا والآخرة، فإن الله خلقه ليكرمه ويسوده في الأرض، فإذا عصى الله وطاوع الشيطان - أي شيطان مبتعد عن وحي الله وأمره - فقد سعى في إهانة نفسه بدل كرامتها، وفي رقتها لكل شيطان بدلاً من تحريرها لله وحده، وفي تأخير منزلتها وجعلها ذنباً للغير، بدلاً من رفعها وسؤدها، وكونها راساً مُسَيِّراً لا ذنباً مُسَيِّراً .

فهذه الضراعة الجليلة القدر بهذه الآية الكريمة لا يتقدم بها الجهلة بالله وبدينه، من ذوي الشعور النافر عنه إلى غيره، كما لا يتقدم بها تقدمًا صحيحًا من هو مسلم بالانتساب من ذوي الشعور البارد، وإنما يتقدم بها أهل التوحيد، العارفون بالله الذين يشعرون بواجبهم لله في حياتهم، فيجددون العهد معه والضراعة إليه بها؛ ليعينهم على مهمتهم التي بها بر من يستحق البر، وقمع من يستحق القمع، من كل ظالم لحق الله، مستهين بأمره، رافض لرسالته، وهو - جل وعلا - يعين الصادق بضارعتة إليه فيها، ويسهل عليه طريق عبادته، ويؤهله لتحمل مشاق الدعوة إليه، والصبر في ذاته، ويوفقه للتوبة مما يلزم به من الذنوب، التي تغلبه شهوته على ارتكابها، ويفرح بتوبته منها أشد من فرح المضيع لراحلته وقوته في أرض فلاة إذا وجدها، كما ورد في الحديث^(١) فدينه محض الرحمة والخير والبركة واليسر، وفيه عصمة من زيغ الأهواء، وتسلط طواغيتها ودجاجلتها .

الثالث والخمسون بعد المائة: هذا التوجيه العظيم من الله لعباده،

(١) الحديث المشار إليه أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٤).

المؤمنين بصدق الضراعة إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مع كونه فيه حسم تام للتعلق بغير الله، فإن فيه حسمًا صحيحًا لمواد التشاؤم التي تعتري الماديين، عبيد الدرهم والدينار والمتاع، عبيد الأهواء والشهوات، عبيد المطامع والأغراض المختلفة، ممن تتجسد أوهامهم بحسب تجسم أنانيتهم وانتهازيتهم، فيعيشون في الأزمات المتلاحقة، والأنانيات المسعورة، وكثيرًا ما يجيب تفاؤلهم وتنعكس آمالهم، فيجرهم تشاؤمهم إلى الانتحار الحسي أو المعنوي، بخلاف المؤمن المخبت لله المتوكل عليه، المطمئن إلى إنجاز وعده في العاجل والآجل، فإنه في حبور وسرور، وترفع عما ينحط إليه غيره.

الرابع والخمسون بعد المائة: العابد لله حقًا يغتنم جميع الفرص بدون إضاعة فيهتبل فرصة صحته خوفًا من المرض، فيستعمل نشاطه في طاعة الله، بسائر أنواع الجهاد والكفاح، جهاد النفس وجهاد شياطين الجن، وجهاد شياطين الإنس، المحاولين فتنة الناس عن الدين، مستعملًا شكر الله على الصحة والعافية في هذا السبيل، ويغتنم فرصة غناه وثروته فيجود ببذلها في سبيل الله، تقوية لعقيدته، وزحفًا برسالته، وصيانة لدينه، مهتبلًا فرصتها قبل زوالها بصروف الدهر، التي يقبلها الله كيف يشاء، وعاملًا على تقييدها بشكر الله باستعمالها الصحيح، عكس عباد الهوى الذين يصرفون ثروتهم ومكاسبهم في الأشر والبطر، أو في الصد عن سبيل الله؛ شأن الكفرة والملاحدة، فإن من سلك مسلكهم فقد تنكب عن عبادة الله.

كما أن المسرف المبذر للمال، مخالف لأمر الله ومخل بعبوديته، إذا بدد المال في الشهوات والأغراض، والكماليات والبذخ بأنواعه، أو صرفه لرياء الناس وهو مذموم من الله، ومعاقب على ذلك.

والعجيب أن هذا النوع من المبذرين يبخل على الله، فلا يصرف المال في الجهات الدينية، بل ويأمر الناس بالبخل في هذا السبيل، كما وصفهم الله في الآية (٣٧) من سورة النساء، والآية (٢٤) من سورة الحديد، فهذا المال من أقوى الطاقات الحيوية للمسلم الحامل رسالة ربه، فإذا أساء التصرف فيه صار مددًا للشيطان وأعوانه، لا مددًا لدين المسلم وعقيدته، ومن هنا تظهر حكمة تحريم الإسراف والتبذير، وحكمة حكم الله على المبذرين بأنهم إخوان الشياطين؛ لأن ثروتهم تسيل على أعداء الله وأعدائهم من الأجانب في الخارج أو من المعتنقين لمبادئهم ومذاهبهم في الداخل، ممن اصطبغوا بصبغة الوطنية ونحوها، وانسلخوا من صبغة الله.

فالعابد لله يضبط ثروته بحصر إنفاقها في سبيله، لا يصرفها في غيره، ولا يبخل بها عليه فيعاقبه بحرمانها أو خسرانها حسبما تقتضيه حكمته - جل وعلا - وكما يغتنم العابد لله صحته قبل حلول سقمه، وفرصة غناه قبل فقره، فكذلك يغتنم فراغه قبل شغله، فيهتبل فرصة نعمة الفراغ باستعمالها في طاعة الله، وخدمة دينه بكافة أنواعها، والجهاد في سبيله قبل مشاغل العيلة أو الفتن، ويغتنم فرصة قوة شبابه قبل حلول هرمه وضعفه، فإنه إن فرط في ذلك كان خاطئًا ومحاسبًا من الله عليه، والجامع لهذا الاهتبال الواجب هو أن يغتنم كل فرصة، بل كل ساعة ودقيقة من عمره، باستعمالها في مرضاة الله وطاعته، والعزم الأكيد على الجهاد في سبيله بجميع أنواعه ومتطلباته، لا يخلي لحظة واحدة من عمل أو عزم صحيح أكيد على العمل؛ لأنه لا يدري في أي لحظة يموت، فكيف يفرط في أوقاته ولحظاته الغالية، التي لا يقبل الدنيا لها

ولذا ورد في الحديث: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(١). وفي الحديث الآخر عنه صلى الله عليه وسلم: «بادروا بالأعمال سبعا: هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»^(٢). وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ»^(٣). وقد أشبعت الكلام على هذه الأحاديث في كتاب (من كنوز السنة للحق والحقيقة) والله الموفق.

ومن بديع الحكم في ذلك قول القائل: (أتدري كيف يسرق عمر المرء منه؟ يذهل عن يومه في ارتقاب غده). ولا يزال كذلك حتى ينقضي أجله بغتة فيلقى ربه خاسرا أو نادما، والذين ضيعوا أعمارهم سدى وباعوها على شياطين الهوى والدجاجلة يخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

الخامس والخمسون بعد المائة: تكرار الضراعة الصادقة مع الله بـ ﴿إِيَّاكَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٤١/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) من طريق محرز بن هارون عن الأعرج عن أبي هريرة به. واستنكره ابن عدي في الكامل على محرز بن هارون. انظر الكامل (٦/٤٤٢)، وكذا الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٠/٦). والعقيلي في الضعفاء (٤/٢٣٠).

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ يجعل المؤمن صلب العود، عظيم المراس، لا يميل مع كل ريح، ولا يضعف أو يلين أمام أي قوة، ولا ينحني مع أي خلة ولا يندهش أمام أي مفاجأة، أو يحزن عند أي مصيبة؛ لتوجهه إلى الله بكلية، واعتماده عليه في كل نائبة، واحتسابه العوض منه عن كل شيء، فحبيبه الأوحد هو الله، وهو ذخيرته وملجؤه، وهو هدفه وغايته، وبذلك تكون شجاعته كاملة، وبطولته خالدة، وأخلاقه فاضلة، وصبره معينًا لا ينفد، بخلاف ما عداه من أهل الهوايات المادية، والغوايات النفسية، فإنهم وإن كان في بعضهم شجاعة وصبر واستخفاف بالنوائب، فإنهم لا بد أن تنال منهم الأحداث مآربها ويلويهم خصمهم على ما يريد في أدنى ما يصابون به من كوارث.

أما عباد الله أصحاب تلك الضراعة الصادقة فهم على ما قلناه، كما صور لنا التاريخ عزمهم وثباتهم على ما يلاقون من المواقف الحرجة، والنكسات المريرة، كما في واقعة الجسر، وقبلها وبعدها، مما وهب الله لهم به الحياتين؛ لأنهم حرصوا على الموت، ولم يحرصوا على المادة والشهوات، ولم يوقف الزحف الإسلامي ويعكسه إلا الخصلة الأخيرة من الحرص على المادة والشهوة، والالتفات إليهما، مما جعلهم ينكصون على أدبارهم بعدما استنشقوا النصر في ضواحي (باريس).

الاستعانة بالله وحده:

وما مصيبة المسلمين أخيرًا إلا عدم الصدق الكامل بتحقيق الضراعة مع الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقصر الاعتماد على ولائه ونصرته - جل وعلا -، وهو القائل: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ

النَّصِيرُ ﴿ [الأنفال : ٤٠] لم يقل مولاكم الدولة الفلانية أو الفئة الفلانية، ولا نصرتكم عند هذه أو تلك، وقد قدمت فيما مضى أن هذه الآية كما تحفز أصحابها الصادقين إلى القوة المعنوية، فإنها تحفزهم إلى القوة المادية من تسخير جميع ما وهب الله لهم على وجه الأرض، أو في جوفها أو أجوائها من كل مادة؛ للاستعداد بجميع متطلبات القوة، بحيث يكونون أغنى من غيرهم، كما أشرت سابقاً إلى قوة الإيمان، التي قهر بها أسلافهم كل قوة مادية، وأن التفوق الصحيح لا يحصل إلا بها، بل قد يستحيل التفوق المادي على من هم أكثر عددًا وعدة، وأغزر علمًا بالماديات، ولكن السبق الذي لا يغلبه غالب هو السبق الروحي بتحقيق مدلول هذه الآية.

السادس والخمسون بعد المائة: بصدق الضراعة إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحصل الانتعاش النفسي في هزيمة الأعداء، والتغلب على الأزمات والصعاب، والاستطالة على العوائق، والانتصار في أغلب المعارك للاستهانة بما يلاقه الصادق الضارع بها من الشدائد، والأهوال والمتاعب، لارتفاع قوته المعنوية وصفاء روجه، لما تضمنت من الروافد الروحية العظيمة؛ لأن فيها توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، والتوحيد العلمي الاعتقادي، ولأنَّ المسلم المؤمن يضرع بها إلي الله غالبًا بعد البسملة وبعد قراءة ثلاث آيات عظيمة، تتضمن تقديسه والثناء عليه، والتوسل بذكر عظيم أسمائه وصفاته، والاعتراف بحكمه وعدله، وتنزيهه عما لا يليق به، كما يقتضيه الحمد المطلق والاعتراف له بالنعمة الكاملة والفضل المتواصل، كما يقتضيه مسمى الرب الربى لخلقه على العموم.

والاستعانة به وحده هي تحقيق التوكل عليه والتفويض إليه واعتراف العبد

بأن ناصيته بيده، وانحصار رجائه له - تبارك وتعالى -، وإسلام ناصيته له، والهروب إليه بهذه الضراعة عن رق ما سواه وتسلط ما سواه، والأنس بأنواره المعنوية عن ظلمات غيره بأنواعها، كما أن في هذه الضراعة العظيمة براءة العبد من حوله وقوته، بل من كل حول وقوة لسواه تعالى، وتفويضهما إليه، وجميع ما قلناه من بعض معانيها هو توسل إلى الله بكامل توحيده المرضي له والمحبيب إليه، مما له أعظم التأثير في حصول ما ذكرناه للصادقين، كما حصل ذلك للسلف الصالح، الذين نصرهم الله بالريح وبجنود لم يروها، وأمدهم بالعزة والعلم والحكمة، ودفع عنهم بها آلام الكروب، ونجاهم من الهموم والأحزان، وجعلهم في بهجة روحية منقطعة النظير.

وكل من صدق هذه الضراعة بفعله وحسن قصده، حصل من الله على ما حصلوا، أما من كان نطقه بها وتكريره لها عادة تقليدية موروثية، كحال أكثر الناس اليوم فحظه منها على حسب تظيفه مع الله، بعدم الغيرة لدينه، والغضب لحرماته، وعدم الدفع برسالته، والجهاد والإنفاق في سبيله، وعدم مساندة المسلمين وحبهم، وبغض الكافرين وحرهم، فمن هذه المواقف السلبية تترتب فوائد الآية، وثمره نتائجها، وفي الأثر: (كما تدين تدان). أما بحصول ما ذكرناه من صدق المبتهل بها عملياً فإنه يتحفز للقيام بواجب الله، وحمل رسالته، وتنفيذ وصاياه، والعمل على إعلاء كلمته بالحكم بشريعته؛ فيشمخ إلى تحقيق الأمر وهو:

السابع والخمسون بعد المائة: وهو الجهاد في سبيل الله على ضوء هذه العقيدة التي شرحنا كثيراً من مدلولها فيما مضى، فإن من تمام معرفة الله وقوة توحيده والصدق بالضراعة إليه ألا يترك صولة الباطل، فضلاً عن السماح له

بالانتشار، بل يغضب لله ويصول على الباطل، قبل أن يصول عليه وينصب نفسه مهاجمًا لا مدافعًا؛ لأنه متى ترك صائل الباطل أو استهان بانتشاره استفحل أمره، وعظم شره وخطره، والمدافع في الغالب لا خير فيه، ورجاء انتصاره قليل.

وعزة المؤمن أن يكون كالليث الصائل في نصرة عقيدته، والدفع بها إلى الأمام، لا أن يتميع فيغزى في عقر داره، أو يكون مهددًا فيشتد همه وغمه ويكون عرضة للعدو الخارجي والمنافق الداخلي، ولكن بصولته في الجهاد وإقدامه عليه يندحر العدو ويُقَمَع المنافق، وينكبت، فيتبدل همه وغمه فرحًا ونشاطًا وقوة، ولذا قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ﴾ ولم يقل: دافعوا ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥] فعدوك في العقيدة، كالجمل الحاقد، لا يذهب غيظه ويزيل حقه، إلا التأديب الرادع الذي يخرج ما في صدره، من الاستعلاء والرغبة في الانتقام بما يدمغه ويخيفه.

والجهاد وإن كان مكروهاً للنفوس، فعاقبته خير وعز وبركة، ولا تكرهه نفوس العابدين لله حقًا، الضارعين إليه صدقًا، ومشروعيتها لحفظ العقيدة، وسلامة نفوس أهلها من الفتنة عن الدين، التي هي أشد من القتل وأكبر جرمًا، والعمل على إعلاء كلمة الله؛ ليدين الناس بحكمه ويستسلموا له، ولو لم يسلموا فإنه ليس للإكراه على الدين، فإن العقيدة أمرها باطني، وإنما هو لإخضاع الناس لحكم الله، وردعهم عن فتنة المسلمين بشتى الوسائل وأن يكون دين الله عاليًا وكلمة الكفر سافلة بجميع أنواعها، لأنها افتراء على الله، وهو وإن كان فيه قتل حسي لبعض النفوس، فمصلحته راجحة لاستبقاء

أكثرها وإحيائها، حياة معنوية طيبة كما وصفها الله - تعالى - .
 فالصادق مع الله بتكرار هذه الضراعة بهذه الآية لا يخاف من صولة
 الباطل، ولا يستسلم له أبدًا، بل يواصل كفاحه بشتى أنواع الجهاد ووسائله
 الممكنة، غير هيب ولا وجل، فلا يرهب الموت لسببين يقويان عزمه
 ويضبطان قوته وتفكيره، عن الانحلال والشتات، ويجعلانه يستأسد أمام
 أعدائه وخصومه في العقيدة الإسلامية وهما:

١- إيمانه القوي بأن طلب السلامة لا يؤخر من أجله أو يزيد في أيام عمره
 أو ساعتها، وإنما يكون سببًا لهلاكه الحسي أو المعنوي، كالبهيمة المسخرة
 المذلة بما اكتسبه من سوء مغبة الهزيمة والهوان.

٢- إيمانه بحياة أخرى سعيدة بجوار الله ورضاه، فيكون مشتاقًا إلى لقائه
 والفوز بجنانه.

وهذان السببان كلاهما يضبطان أعصابه، ويمدان روحه وبصيرته بمدد من
 الله، ويحققان له الرجولة والبطولة في المواقف الحرجة، فيكون على حد قول
 الشاعر المخاطب نفسه:

أقول لها وقد طارت شعاعًا من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي

وقول الشاعر الآخر المسلي لنفسه، المقوي لعزيمته، بتصويره الواقع الذي

لا مفر منه في سنة الله الكونية والشرعية:

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

بل يكون هو أعلى شأنًا منهما، وأقوى صبرًا، وأعز نفسًا، وأصدق

عزيمة، لما انحشى في جوانحه من حب الله وتعظيمه، والشوق إليه والإخلاص له قصدًا وعملاً، والله الموفق.

الثامن والخمسون بعد المائة: في حصر الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعتراف من العابد لله بأن الله هو الذي أقدره ويقدره على العبادة، ففي هذا تجديد لحمد الله وتأكيد لمعاني التوحيد المرضي لله، ولذا جعلها الله بينه وبين عبده، كما ورد الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بذلك حيث قال في ضمنه: «هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سألت»^(١). فإن هذه الآية التي ارتبط بها ما بعدها هي خير ذخيرة للمؤمن الصادق فيما بينه وبين الله، فمن واجب المبتهل بها أن يفرغ قلبه مما سوى الله ويصفيه لله وحده، وأن يندفع بجوارحه إلي الله حسب أوامره مستمطراً عونته تعالى ومدده، والله لا يخيبه أبداً، ولن يخلف الله وعده.

التاسع والخمسون بعد المائة: هذا التعليم من الله لعباده لذلك الابتهاال بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتكريره المتواصل في كل ركعة وفي كل قراءة، يشعرهم بوجوب الاستقامة على عبادة الله، والحيلولة دون ما يعوقهم أو يصددهم أو يفتنهم عنها، وذلك بحماية عقيدتهم وصيانتها، والعمل على نشرها وتقويتها، والدفع بها إلى الأمام، كيلا يسمحوا لأي تيار أن يجرفهم عنها.

وحماية عقيدتهم هي بالاكْتفاء بوحى الله كما أوضحناه في الأمر الثامن والتاسع والأربعين بعد المائة، وصيانتها بالابتعاد التام عن الملاحدة والمبتدعين وسد المسامع عما يشيعونه ويذيعونه في وسائل إعلامهم، ورفضها ومقارعتها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لمن عنده علم بتزييفها، وحصانة عن التأثر بها، والمحاذرة من جميع وسائل الفتنة عن العقيدة والدين بقطع مادتها، وعدم السماح بدخولها أو انتشارها، وحفظ الثغور الحسية أو المعنوية عن تغلغلها، ومقاطعة أهلها من المتساهلين بالدين، أو المشككين فيه، أو المحرفين لنصوصه، والمحاولين تقريبه إلى نظريات الماديين والفلاسفة، أو تأويله حسب أذواقهم، فإن بغضهم وهجرهم من الواجبات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] وقال تعالى في الآية (١٤٠) من سورة النساء: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ فضرر المنافق والملحد أشد بكثير من ضرر الكافر الأصلي الصريح، وهو أشد فتكاً في الروح من الجرب المعدي للجسم. وخير مشغل للقلب والحواس عن الغزو الفكري ما قدمناه في الأمر الثامن والتاسع والأربعين بعد المائة، وما ذكرناه قبلها في عدة وجوه مع الانشغال بنشر الدعوة وتركيز العقيدة، والاعتناء بتدعيمها، والدفع بها إلى الأمام، فإنه مع نفعه للناس فيه وقاية لصاحبه بإذن الله.

الستون بعد المائة: تعليم الله للمؤمنين هذه الضراعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بصيغة الجمع، وكون الفرد منهم ملزماً بهذه الصيغة، فيه إعلام من الله مؤكداً بالتذكير بأن هذا الدين الإسلامي الحنيف هو الرابطة الوحيدة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وتباعد أقطارهم وبلادهم، فهو الذي يجعل جميع الأمم الإسلامية كمجتمع واحد وأسرة

واحدة؛ حتى يصبحوا بهذه القوة المتكثلة كالجسد الواحد، طبقاً لما وصفهم النبي ﷺ بأعظم وصف وأجمعه حيث قال: «إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١). فربط الإسلام المسلمين فيما بينهم كربط كل عضو من أعضاء البدن بالآخر إذا تألم جزء منه تألم كله ولا يستقيم تماماً إلا بالفلاح الذي يرد له العافية مما أصابه وبتركه فالمرض يسري ويستفحل شره، فكذلك الأسرة الإسلامية في جسدها الممتد في مشارق الأرض ومغاربها يجب عليها رعاية هذا الجسد، والعمل على وقايته من الأمراض الحسية والمعنوية، وصيانتته من كل نائبة، والدفاع عن كل جزء منه، بل الصولة الصحيحة دون حماه، ليكون مرهوب الجانب، وأن يتكاتف المسلمون المؤمنون جميعاً على تحقيق هذه الوحدة المؤكدة في وحي الله، والتي يكررون الضراعة مع الله بمقتضاها في كل تلاوة للفاتحة، وفي كل ركعة من الصلاة أيضاً، وأن يقضوا على كل مظاهر الفرقة، ويجتثوا جذورها، وأن يجاربوا جميع التيارات المناوئة لهذا الدين بعقيدته الوحدوية، محاربة علمية دقيقة شاملة؛ لأن تلك التيارات غزت الأدمغة باسم العلم والفن، فمقابلتها بغيره شطط لا يجدي نفعاً، فلا بد من تكريس جهودهم لمقاومة المذاهب الفكرية مقاومة علمية عميقة، ونقدها نقداً مفنناً دامغاً، وأن يقابلوا كل مؤسسة يمثلها مما يعارضها وينقضها، فيقابلوا المدرسة بمدرسة، والجامعة بجامعة، ودور التربية والحضانة بمثلها، والمعاهد والمجامع العلمية المادية بما يقابلها من المعاهد الإسلامية، ومعاهد التربية الحديثة المادية بمعاهد تربية روحية تفوقها، ويقابلوا النوادي الثقافية والرياضية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الناشئة من الدين بنوادٍ أخرى مشبعة بروح الدين، ويقابلوا المكتبات المادية أو المكتبات المؤسس بعضها أو أكثرها لخدمة المذاهب الفكرية والمبادئ العصبية الجاهلية المجددة بمكتبات تخدم العقيدة الإسلامية، وترويج كتبها بأحدث وسيلة وأرخص ثمن، ويقابلوا الصحف المادية والمغرضة، بصحف دينية فيها تركيز على العقيدة وكشف الباطل وإظهار عورات أهله، ويقابلوا الإذاعات المغرضة وسائر الإعلام من القصص والمجلات وأشرطة الأفلام وغيرها بإذاعات ووسائل إعلامية أخرى توجه الناس إلى الحق وتضبط عقولهم وأوقاتهم، وتحفظها من سرقة شياطين الإنس واختطافها، وهكذا فليقابلوا كل وسيلة هدم بوسيلة بناء، ويرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيل ذلك، ويحتفوا بولاية أمورهم، ويسندوهم ويتعاونوا معهم، ويتركوا المواقف الانعزالية والحالات الانهزامية، فلا يتلبسوا بها أبدًا، ليكونوا من الصادقين مع الله، ويجب ذلك ويتعين بصفة حتمية على ولاية أمور المسلمين من الملك الكبير إلى الموظف الصغير، لينتشلوا جسد هذه الأمة الذي تداعت عليه عصابات الضلال من كل ناحية بشتى أنواع الإثم والعدوان، وبجميع أنواع الغزو الفكري والعسكري والحروب الباردة والكاوية، والتي تلتقي فيها جميع المعسكرات على حرب الإسلام وتحطيم جسمه حسبما خططته لهم اليهودية الصهيونية على أيدي الماسونيين وعملائهم وكسبهم من المنصبين بدعايتهم والمتلطفين برجسهم والذين كانوا لهم عونًا، بل كانوا أشد على الإسلام منهم، لتنديدهم بالإسلام وتشهيرهم بالمسلمين، أو مناصرتهم لأعداء الله وأعداء المسلمين باسم القومية أو بدعوى النفعية، مما جعلهم يستفزون قصار النظر ضدهم بسبب المواقف التي خذلوهم بها، وقد عملت الماسونية اليهودية

على إبراز هذا الداء الدوي في جسم الأمة الإسلامية لهذا الغرض، كما قامت من قبل بإشغال الملوك والسلاطين بأنواع الفتن وألوان المطامع والأهداف الأنانية عن نجدة من يستحق النجدة، كما حصل للسلطان التركي الذي قصر همته على احتلال مصر في وقت تكالب الصليبيين على الأندلس، ولم يعبا بنصرة أهله وانتشالهم من مخالب الأعداء، على الرغم من استنجاد الملك به، ولو قدم لنصرة مسلمي الأندلس وانتشال بلادهم لظفر بالجميع وحصل له أكثر من مراده، وكان عزة الدهر ومفخرة التاريخ، وكانت نجدته أعظم نفعاً للمسلمين وأشد قمعاً للكفار من نجدة المعتصم للمستنجدة به القائلة وامتصماه.

وما أحوج المسلمين اليوم في كل مكان إلى أمثال (معتصم) ينجدهم ممن يتجنى عليهم ويقسرهم قسراً على ترك دينهم بشتى أنواع التنكيل، والتضييق عليهم بالمعيشة حتى في حرمانهم من الاكتساب، والعمل على إبادتهم بما يختلقه من الأكاذيب، وإن الذي يقوم بنجدة المسلمين ويتبنى قضاياهم ويكون صاعقة على أعدائهم؛ سيحتل مكانه عظمة فريدة في هذه المعمورة، وتكسب حكومته التي تقوم بذلك أعظم وأكبر ثقة، وتكون معقد آمال المسلمين بإذن الله ومهجرهم ومحط رحالهم، ويجعل الله لها رهبة في قلوب العالم، فينصرها بالرعب الذي جعله نصره لنبيه ﷺ وللصادقين من خلفائه إلى يوم القيامة.

وهذه الرابطة الإسلامية هي التي تدل عليها نصوص الوحي ومقتضياته من كتاب وسنة، وليس في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقط، بل في نصوص كثيرة، فقد أكثر القرآن الكريم إطلاق النفس بصيغة الجمع مريداً الأخ، تنبيهاً منه - تبارك وتعالى - على أن رابطة الإسلام تجعل المسلم أخاً

للمسلم كنفسه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، فلا تقتلوا إخوانكم ولا تخرجوهم، وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: إخوانكم. وقوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي: بإخوانهم، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه، وقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه التقوى هاهنا - يشير إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(١). وقال أيضاً: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه المؤمن مثل ما يحب لنفسه»^(٢). كما هو نص الإسماعيلي من طريق روح ابن عباد عن حسين المعلم، وكلاهما صحيحان متفق عليهما من رواية قتادة، وقوله ﷺ: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣). وقوله: «ما من مؤمن نصر مؤمناً في يوم يحب فيه نصرته إلا نصره الله في يوم يحب فيه نصرته، وما من مؤمن خذل مؤمناً في يوم يحب فيه نصرته إلا خذله الله في يوم يحب فيه نصرته»^(٤). والنصوص في ذلك كثيرة مشهورة،

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤) من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن . . .» الحديث.

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٨٤)، وأحمد (٣٠/٤)، والبيهقي (١٦٧/٨) وغيرهم من طرق عن الليث بن سعد عن يحيى بن سليم عن إسماعيل بن بشر عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل قالوا: قال رسول الله ﷺ . . . الحديث.

وقد قدمت طرفًا صالحًا مما يجب على عباد الله المسلمين المؤمنين نحو بعضهم البعض، وذلك من خلال الوجه الخامس والأربعين إلى ما فوق التسعين، وفي خلال تلك ذكرت أن العابد لله لا يترك أخاه المؤمن عرضة للأحداث وفريسة للظلمة، هذا يعضه وهذا يفتنه أو يفنيه، وأن العابد لله يدخل السرور في بيوت المسلمين، ويذب عنهم كل نائبة ويحمي ذمارهم - فليرجع إلى تلك الوجوه من طلب الزيادة - والحاصل: أن الرابطة الحقيقية والدعامة الصالحة الثابتة هي رابطة الدين ودعامته، وأن النداء بأي رابطة غير الإسلام من الروابط القومية والمذاهب المادية ممنوع بإجماع المسلمين ولا يجوز قطعًا، بل هو إما أن يكون معصية كبيرة وإثمًا عظيمًا، أو يكون شركًا مخلًا بأصل العقيدة ومضادًا لها كما أوضحناه سابقًا، ونزيد هنا إيضاحًا: أما كونه معصية وإثمًا عظيمًا فإنه مخالفة للأمر وارتكاب للنهي، وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية»^(١) وقال في حديث جابر الذي رواه البخاري وغيره: «دعوها فإنها منتنة» فقوله: «دعوها» أمر صحيح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما قرره الأصوليون؛ لأن الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ولأن الله اعتبر إبليس عاصيًا بمخالفة أمر واحد، فأبعده من ملكوت السموات، ولعنه بالطرد من رحمته، ومن تأمل في واقع كل أمة إسلامية عتت عن أمر ربها ورسله ونادت بالقومية ونحوها من المبادئ العصبية والمادية، وجدها تتخبط في صنوف الفتنة وعذاب الشقاق والأزمات المتلاحقة نتيجة الحرمان من رحمة

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٢١) من طريق محمد بن عبد الرحمن المكي، عن عبد الله بن أبي سليمان عن جبير بن مطعم مرفوعًا به.

اللَّهِ، ووجد طواغيتهم الذين تبنوها سياسيًا وفلسفيًا قد حاق بهم الرجم الحسي والمعنوي، الذي هو نصيب الشياطين المتبعدين عن أمر الله وصراطه المستقيم، وإذا كان الأمر المطلق للوجوب شرعًا وعقلًا، فقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر والنهي بقوله: «فإنها منتنة»^(١). وحسبك بالنتن موجبًا للابتعاد التام، لدلالته على الخبث البالغ المضر في العاقبة، فدل هذا الحديث الصحيح على مخالفة النداء بالقومية ونحوها، لأمر الله على لسان رسوله ﷺ وأن صاحبه متعاطٍ للنتن الخبيث، والله - جل وعلا - يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور: ٢٦] ويقول تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لا سيما وقد تبرأ من ذوي العصبيات، ونفى حكم الشهادة عن المقتول في سبيلها بقوله ﷺ: «ومن قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية فليس مني ولست منه»^(٢). وقال ﷺ: «الشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»^(٣). وهذا حصر لمدلول الشهادة على ذلك، ولا

- (١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) كلاهما من حديث جابر رضي الله عنه.
- (٢) أخرجه النسائي في المجتبى (١٢٣/٧)، وابن ماجه في سننه (٣٩٤٨) من طريق زياد ابن رباح عن أبي هريرة بنحوه.
- وأخرجه النسائي أيضًا (١٢٣/٧) من طريق جندب بن عبد الله رضي الله عنه.
- وفي إسناده أبو مجلز وهو مدلس وقد عنعن، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٩٤٦) من حديث أنس بن مالك وفي سننه قزعة بن سويد وهو ضعيف، وقد وثق كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٦/٦).
- وفي الأوسط أيضًا برقم (٣٤٠٥) من حديث سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعًا بنحوه.
- (٣) أخرجه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «فهو في سبيل الله» بدل: «فهو شهيد».

سيما وقد ورد جوابًا على أسئلة الصحابة عن الرجل الذي يقاتل شجاعة أو حمية عصبية، فأجابهم بذلك، وورد عنه صلى الله عليه وسلم في أصح الأحاديث أنه قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهرق دمه»^(١). والإلحاد: هو الميل عن دين الحق بأي صورة، وسنن الجاهلية كثيرة قد تبلغ المئات، منها ما يتعلق بالأصول: كدعوى القومية والوطنية، والحب والبغض لغير الله، والموالات والمعاداة في غير سبيله، بل في سبيل العصبية والمنافع والمصالح، ورفض الحكم بما أنزل الله والحكم بغيره، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو عكسهما، والانصراف عن الله إلى غيره بأي حال من الأحوال، وتقديس الأشخاص والمذاهب والمبادئ، والغضب لهم دون الغضب لله. وهذا كله وأضعافه متحقق الوقوع ومجهور به في عالم القوميات كلها.

ومنها ما يتعلق بالفروع، كالترج ونحوه، وأكل الربا والميتة، والرسول صلى الله عليه وسلم أتى بلفظ التعميم الشامل للجميع، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «أبغض الناس إلى الله» دليل قاطع على أن المتلبس بشيء من هذه الصفات هو أبغض الأدميين إلى الله، ومما يدل على التحريم الشديد للعصبية القومية والمذهبية قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية»^(٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٨٢) من حديث ابن عباس رضيما بلفظ: «أبغض الناس». وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: أنهم أبغض أهل المعاصي إلى الله فهو كقوله: «أكبر الكبائر» وإلا فالشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي. اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) كلاهما من حديث مسروق عن عبد الله ابن مسعود مرفوعًا به.

وهذا تصريح منه ﷺ بالبراءة منه . وقال ﷺ أيضًا: «ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»^(١). وقال أيضًا - صلوات الله وسلامه عليه - : «من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا»^(٢). وهذا حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه والضياء المقدسي والطبراني في الكبير كلهم بالإسناد إلى أبي ابن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

قال في (أضواء البيان): فانظر كيف سمي النبي ﷺ ذلك النداء: (عزاء الجاهلية) وأمر أن يقال للداعي به: (اعضض على هن أبيك) أي: فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية، فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي ﷺ له . واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة ونظراؤهم من رؤساء الكفرة - إلى أن قال: واعلم أنه لا خلاف بين العلماء - كما ذكرنا آنفاً - في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، لا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام ورفض الرابطة السماوية . . إلى آخر ما قاله في ج ٣/ ص ٤٤٥ - جزاه الله خيراً.

وأما كونها قد تكون شركاً مناقضة لملة إبراهيم ومصادمة لأصل التوحيد

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤١٢/٦) رقم (١١٣٤٩) من طريق أبي سلام عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ .

(٢) أخرجه أحمد (١٣٦/٥)، والنسائي في الكبرى (٢٧٢/٥)، والطبراني في الكبير (١/١٩٨) رقم (٥٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٤/٧) رقم (٣١٥٣). والضياء المقدسي في المختارة (٤٣٥/٣) رقم (١٢٣٥) كلهم من طرق عن أبي ابن كعب به .

فيما قرره بعضهم أو كلهم في فلسفة قوميتهم وأصولها من أن النصراني ونحوه إذا كان عربيًا أفضل وأولى بالنصرة والمؤاخاة من مسلم غير عربي، وقد جرتهم هذه القاعدة إلى التخلي عن قضايا المسلمين في كل مكان، ولا سيما في الهند وكشمير والزنجبار ونيجيريا وقبرص وغيرها، ولم يكفهم مجرد التخلي، بل عكسوا الأمر، فساعدوا خصومهم من النصارى والمجوس والوثنيين، ووقفوا إلى جانبهم، وهذا أقوى أنواع الموالاتة التي نهى الله عما هو أقل منها في القرآن، وأجرى مواليهم كمجراهم، ففي أول سورة المتحنة سبع آيات افتتحها الله بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١] فهي عن الإلقاء إليهم بالمودة إشعارًا منه بطريق الأولى على النهي عن مؤازرتهم، فضلاً عن مساعدتهم على المسلمين، فهذا كفر كما نصت عليه آيات سورتي المائدة والتوبة، ثم أمرنا بعد ذلك باتباع ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - والاقتراء به في منابذته للكفرة من قومه، وهذا يهدم أفكار القوميين من أساسها، ثم رخص في البر لمن لم يعادنا في الدين ويوال المعادين أو يظاهرهم على إخراجنا من أي بلد، ومعروف مواقف النصارى ونحوهم من مساندة الصهاينة ضدنا في فلسطين، وتشجيعهم للاحتلال في كل بقعة تكون الأغلبية لهم، وقومنا يعكسون الأمر فيستدلون بالآية الثامنة التي فيها مجرد البر للمسلم منهم على موالاتهم وتفضيلهم على المسلمين الأعاجم، ويعمون عن الآيات السبع قبلها؛ لأنها تعكس مقاصدهم وترغم أنوفهم، وقد قال - جل وعلا - : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فالآيات كثيرة في

المنع الشديد عن حب الكافر أو موالاته ولو كان أقرب قريب. ولكن القوم يقلبون الحقائق ويلبسون على مستمعيهم باعتراف بعض الحكومات المحسوبة على الإسلام بدولة الصهاينة، وهؤلاء حكومتهم علمانية مثلهم لا مسلمة كشعوبهم، فما ذنب الشعب المسلم إذا ابتلي بحكومة علمانية أبرزها المكر والعهر السياسي المنبثق من المعسكرين؟ هذا من أظلم الظلم، ولكن الله فضحهم بمساندتهم حكومات كافرة معترفة بدولة العصابات الصهيونية على المسلمين الذين لم يعترفوا بإسرائيل كموقفهم من (نيجيريا وقبرص وباكستان) ومناصرتهم للوثنيين والنصارى حتى من غير العرب، كالهند المعترفة بإسرائيل والتي جعلت بلادها مسرحاً لها، وليس هذا موضع بسط أحوالهم ومتناقضاتهم لأنه تفسير، ولكن اضطررنا لذكره استطراداً لبيان مناقضة مدلول الشهادتين وهدم الملة الخبيثة بتفضيل الكافر وتأييده على المسلم ومن مناقضة فكرة القوميات لأصل الدين، وسعيهم الدائب على تأسيس دولة علمانية تسمح لكل مفترٍ على الله أن يجهر بفريته ويدعو لها، وتكبت المسلم عن مقاومتها بحجة الطائفية، وهذا إعلاء لكلمة الكفر بشتى أنواعها، وخفض لكلمة الله، خلافاً لمقصود الله من إرسال الرسل ومشروعية الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخفى أن أسلافنا إنما فتحوا البلاد ومصرفوا الأمصار باسم الإسلام ورابطته الدينية لا بأي رابطة قومية أو مادية مما بثه اليهود وتبناه تلاميذ الماسونية.

الحادي والستون بعد المائة: الضراعة إلى الله سبحانه بـ ﴿إِيَّاكَ مَعْبُدُ﴾

بصيغة الجمع، لا يقصد بها جمع المفرد؛ لأن الشخص الواحد لا يكون جمعاً، كما لا يقصد التعظيم بنون الجمع؛ لأن العابد ضارع إلى الله بذكر نفسه

بالعجز والذلة لا بالعظمة والرفعة، بل نون الجمع هنا تعبير من المسلم عن مجموع المسلمين كما علمه الله، لذلك فهو:

أولاً: كالتأكيد بأن المؤمنين إخوة تتساوى أقدامهم في عبادة الله والتحرك لها، والتوجه إلى الله وطلب المدد منه، فلو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لكان مقتصرًا على ذكر عبادة نفسه دون غيره، وهذه فرقة وأنانية مخالفة للتضامن والارتباط، والله يربي عباده على عكس ذلك، ويوجههم إلى ما يحصل به صفاء قلوبهم، واتحاد هدفهم الصحيح نحوه، ووحدة صفوفهم في حياتهم الدينية، التي هي على خلاف حياة الماديين، حتى إن بعضهم يستسقي لبعض في صلاة الاستسقاء والقنوت بدعائه، شعورًا عميقًا منهم بهذه الوحدة والاتحاد.

فإذا قال المسلم الصادق: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فقد ذكر عبادة نفسه وعبادة غيره من المسلمين في سائر بقاع الأرض على العموم، لذلك الارتباط العقائدي الذي يجعلهم عصبه واحدة متضامين في معاملتهم مع الله، وعلاقتهم به في سائر نواحي حياتهم التي يجب أن تكون متكيفة بروح العبادة لله قلبًا وقلبًا، وظاهرًا وباطنًا، ليتحقق الوصف النبوي السالف الذكر.

وثانيًا: في الضراعة باسم المجموع تنبيه على حتمية الإتيان بالصلاة مع الجماعة، وقد اعتبرها بعض المحققين شرطًا لصحتها، والأحاديث الصحيحة تؤيد ذلك، لا سيما عدم سماح النبي ﷺ للأعمى الذي لا قائد له، ويعتذر بالبعد وكثرة الهوام بالمدينة، إذ كان جوابه له بما معناه: لا أجد لك رخصة وأنت تسمع النداء^(١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٥٣) من حديث يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضى الله عنه

وشيء ثالث في صيغة الجمع بهذه الضراعة وهو: إحساس العبد بنقصه في عبادته وحده وعدم استحقاقه للتقدم بذكرها وحدها، فعلمه الله أن يتقدم بعبادة جميع العابدين بلفظة واحدة، وهذا - أيضًا - تربية من الله لعبده ضد الانعزالية، وإشعار لها بالارتباط بالمجموع كما تقدم.

الثاني والستون بعد المائة: في حصر الابتهاال إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشعار بالتزام عبادة الله وطاعته، وتنفيذ حكمه إلى الموت، وتأكدهما عليه كلما ازدادت معرفته بربه وعظيم آلائه، وزاد يقينه بوعدده ووعدده، فإن ضراعة المؤمن إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بعدما ذكرناه في القاعدة السادسة والخمسين بعد المائة من معرفته بالبداء باسمه والثناء عليه، والاعتراف العام بربوبيته والرجوع إليه يوم الحساب.

هذه الضراعة بعد ذلك هي عهد يجده مع ربه في هذه السورة المباركة، التي علمه إياها على حصر العبادة له وحده، متبرئًا من عبادة الهوى بأي صورة تنوعت، وبأي نحلة ظهرت، ملازمًا لذلك طيلة حياته حتى يأتيه اليقين الذي هو الموت، وأن مسئوليته في إنفاذ هذا العهد من عبادة الله بكل ناحية من نواحي الحياة تزداد كلما ازدادت معلوماته من الروافد الدينية، التي فصلناها في القاعدة المذكورة وما بعدها، ويتحتم عليه الجهاد بجميع أنواعه ومتطلباته، درءًا لكل فتنة تصده عن ذلك، وزحفًا بعقيدته الروحية ليكون مرفوع الرأس. وإنه لا يسقط عنه أي نوع من أنواع العبادة مع القدرة عليه مهما عمل أو بلغ من أنواع التصوف أو علم من المكاشفات المزعومة أبدًا، وإن اليقين الوارد

= قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلني في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم، قال: «فأجب».

في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] هو كما فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح في قصة موت عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قال: «أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه»^(١) يعني: الموت. فلا ينفك العبد من عبودية الله إلا بالموت، ومن زعم أنه يصل بشيء من أنواع التصوف إلى مقام يسقط فيه التعبد فهو زنديق كافر مناقض لما رسمه الله لعباده في هذه السورة، ومناقض لهدي النبي ﷺ وأصحابه الذين لم يسقطوا عن أنفسهم من عبادة الله، ولا مثقال ذرة، بل بلغ بهم الأمر إلى بذل نفوسهم ومهجهم في سبيل الله، لم يدع أحد منهم علمًا باطنيًا، ولم يزعموا أن العبد هو الرب؛ لأن فيه من نواة حقيقته التي يجهلها الرسل فيما يزعم ضلال الصوفية، فإن هذا تطاول على وحي الله، وأعظم افتراء على الله وانتقاض لرسله وأي انتقاض لرسله أفضع من زعم هؤلاء أنهم أعلم منهم وأنهم يصلون إلى درجة يسقط عنهم فيها التكليف؟

هذا كفران بسورة الفاتحة وغيرها من الوحي وكفران بمنزله ومن أنزل عليه - والعياذ بالله - وهذا من عدم تحقيق الاستعاذة بالله عن صدق من الشيطان الرجيم، من جنس الشيطان المبتعد عن الله من الجن والإنس، كما فصلنا ذلك في باب الاستعاذة.

ومن تدبر معاني هذه السورة الكريمة وأحواتها ومفسراتها من وحي الله المنزل على رسوله كتابًا وسنة، وهو صادق في استعاذته من جنس الشيطان، بابتعاده عنه ونفرته منه، استنار بأنوار التوجيه التي تهديه إلى الاستقامة على عبادة الله، والتزامها في كل ميدان من ميادين الحياة، حتى يموت على ذلك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٤٣) من حديث أم العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

محتسبًا، ولا يجعل لنفسه حرية الشهوة أو ترك العمل، دون برهان من الله بالرجوع إلى أمره وحكمه فيه، والله الموفق.

الثالث والستون بعد المائة: تقديم العبادة على الاستعانة في هذه الآية الكريمة من باب تقديم الغايات على الوسائل، ذلك أن العبادة هي غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها، والحكمة في ذلك التقديم هي أن المصلي وغيره من كل متلبس بالعبادة يقول: (إني شرعت في طاعتك تحقيقًا لعبادتك، فأستعين بك في إتمامها وإنجاحها على ما يرضيك) وحتى المجاهد، عليه ألا يغتر بقوة ساعده، أو قوة عتاده أو كثرة زملائه وأعوانه، بل يضرع إلى الله الذي جاهد في سبيله بهذه الآية ضراعة الصادق طالبًا مدده الأعلى، الذي لا يغلبه شيء، ففي ذلك إزالة للزهو، وإفناء للحمق والكبرياء.

ثم إن العبادة لما كانت له - جل وعلا - وجب تقديمها، ولما كانت الاستعانة به سُبْحَانَ اللَّهِ ساغ تأخيرها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعبودية محفوفة بإعانتين: إعانة قبلها على التزامها والقيام بها، وإعانة بعدها على عبودية أخرى، وهكذا أبدًا حتى يقضي العبد نحبه». وقال الشيخ ابن تيمية: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهذا الدعاء بهذه الآية من حظ أهل العبادة لله، والمعرفة به حقيقة، ولذا علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ فقال: يا معاذ: «إني أحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣٢/٦)، والحاكم في المستدرک (٤٠٧/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الرابع والستون بعد المائة: ضراعة عبد الله إليه بهذه الآية الكريمة مبتدئاً بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وطالباً منه العون التام عليها بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشعار صريح منه بالتصميم على العمل، والعزم التام على إكماله والمثابرة عليه طيلة الحياة، فهو يطلب منه المعونة على أداء جميع ما تستوجبه عبادة الله في كافة الشئون والنواحي المتشعبة والمتجددة في الحياة، إذ لا يمكن أن يطلب الاستعانة قبل الشروع في أداء الواجب مع صدق النية والعزم على التصميم والثبات، فإن التصميم والثبات ومداومة الصدق والإخلاص يحتاج كل منها إلى معونة الله، ومدده الذي يستطيع به عبده على مجاهدة النفس، ودفع وساوس الشيطان الإبليسي، ومجابهة ما تقذف به شياطين الإنس من وسائل الإغراء التي يجري في دفعها أعظم مكابدة لا يبلغ العبد الدرجة القصوى في الثبات عليها إلا بعون الله وتسديده.

فكان من اللائق تقديم الضراعة من العبد إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توسلاً منه إلى ربه بما يرضيه من العبادة، ثم يضرع إليه بطلب العون على الثبات عليها، والتكيف بها في كل شأن من شئونه، معترفاً بأنه لا معين له في الحقيقة سواه، وفي هذا تجريد التوحيد من الاستعانة بغيره، وتحقيق المتابعة لوحيه من كتابه وسنة رسوله، إذ من لم يحقق ذلك فليس عابداً لله، ومن سلك ما يخالف ذلك كان عابداً لهواه، ومتبوعه من دون الله.

الخامس والستون بعد المائة: لما كان الارتقاء لا يحصل إلا بالإيمان بالله عن استيقان كامل، وحب وتعظيم له، لا يعلوه غيره، كان الحامد لله حمداً صحيحاً على نعمه وحسن تربيته للعاملين، وعظيم رحمته، وشمول ملكه وقهره، واختصاصه بالحكم بين الناس في الدار الآخرة، يتقدم إليه بهذه

الضراعة العظيمة الحبيبة إليه - جل وعلا - : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تلقياً منه لها بتعليمه إياه، عازماً على تصديق ما أقر به من ذلك بالعمل المرضي لله، من القيام بما أوجبه عليه في منصوص وحيه من كتاب وسنة .

وذلك؛ لأن الإيمان به والشكر لنعمه لا بد أن يتجسدا في صور عملية، إذ النطق الذي لم تصدقه الأعمال يعتبر كذباً ونفاقاً يستحق المقت، كما قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣] وأيضاً فليس العمل مجرد حركات يأتي بها في حالة صورية تقليدية، بل لا بد من إفراغ الإنسان روحه فيه، واستيقاظه لمقاصد الله وحكمه فيه؛ حتى يؤديه على الوجه الصحيح بخشوع وإخبات وحسن نية، واستشعار عظيم لوعد الله على الإتيان به وحسن إتقانه، ولو عبد الله على ضد ذلك، ومن هنا يصدق العبد في ضراسته بهذا العهد لله، على القيام بعبادته كما يصدق في ضراسته بطلب الاستعانة منه على إكمالها وإتقانها وإخلاصها والمثابرة عليها والمصابرة فيها.

فهذه القواعد التي ذكرنا غالبها - وسنذكر ما تيسر منها - أقول: بهذه القواعد فتح الله لأهل دينه القويم أبواب الأمل والعمل، لمن يتبغى الوصول إلى أسمى ما قدر له من كمال وجمال في الدنيا والآخرة، فإن دعائم الإرادة القوية ما ذكرناه وما سنذكره مما هو مرتكز على الطمع في رحمة الله، ونيل وعده والخوف منه، والابتعاد عن موجبات سخطه، وحلول وعيده، وبذلك يصل الإنسان إلى المستوى الإنساني الصحيح، الذي يرفعه عن الحيوانية بتاتاً، ويحقق إرادة الله فيه، لينخرط في سلك عباد الله الصالحين، وينال الحياة

الطيبة بجميع معانيها في الدنيا، ويحظى برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمنزلهم العالية في الدار الآخرة.

أما بدون ذلك فنصيبه الشقاء بالأزمات المختلفة المتلاحقة في الدنيا، والخيبة الكاملة في الآخرة، قيل للحسن: إن قومًا يقولون: نحن نحب الله ويضيعون العمل، فقال: (هيئات هيئات، تلك أمانهم يتأرجحون فيها، من رجا شيئًا طلبه، ومن خاف شيئًا هرب منه) وسيأتي - إن شاء الله - مزيد تفصيل عند قوله - تعالى - في سورة النساء: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

السادس والستون بعد المائة: الصادق في استعانه بالله، للتصميم والمثابرة على عبادته في كل ناحية، يسمو بنفسه عن الماديات، ويرتفع عن شهوات نفسه، ويستكبر عن ملذات الدنيا الحيوانية؛ لأنها من أكبر الصارفات له، أو المعوقات لسيره، فيقتصر منها على حاجة نفسه، بنية صالحة، دون أن يؤثر شيئًا منها على وظيفة الله، أو ينشغل بها شغلاً يقطعه عن مهماتها.

ويرى الصادق في عبادة الله أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف مع الخالق أولاً ثم المخلوق ثانياً؛ لتتحقق له وعلى يديه جميع القيم الصالحة، ومن ثم يتجه اتجاهها سليماً مستقيماً لخير نفسه، وجميع إخوته المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولجميع طرق الخير والإصلاح عامة، وهذا السر في جعل شعب الإيمان بضعا وستين أو بضعا وسبعين شعبة على التفصيل، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، كما ورد بذلك الحديث المتفق على صحته عن المصطفى صلى الله عليه وآله (١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السابع والستون بعد المائة: صدق الاستعانة بالله يورث طمأنينة القلب، وسكون النفس؛ لأن ذلك من آثار صدق الإيمان وقوته، وإذا اطمأن قلب الإنسان وسكنت نفسه؛ حصل له برد الراحة، وحلاوة اليقين، وسلم قلبه مما ينتاب قلب غيره من الخطرات الفاسدة، أو المفزعة أو المخذلة، فكان يستقبل الأهوال بشجاعة وثبات، لا يبالي بالخطوب إذا اعتدت، ولا يلويه شيطان الهوى والشهوات عن الإقدام على الأهوال، أو الثبات على الخطوب، لاستمداده العون من ربه الذي صدق معه في ضراسته باستعانته، فهو يرى نفسه موصولاً من الله بالمدد الروحي والمعنوي، ويؤمن بأن الله يفتح له كل مغلق، فلا يعتوره اليأس، أو يتسرب إليه الجزع، ولا يصيبه شيء من الضعف أو الحيرة؛ لأنه في كنف الله وعزته ونوره، فهو من أهل هذه الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] ومن أهل هذه الآية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فهو محفوف بنصرة الله وأنوار هدايته الروحية والمعنوية، التي لا يضل صاحبها ولا يغلب.

الثامن والستون بعد المائة: الصادقون في ضراعتهم لله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يهبهم الله مزايا وخصائص تؤهلهم لإقامة الحق والنهوض بأعباء نصرته، وتحمل التضحيات الجسام في سبيل الله لأجله؛ لأن حسن نيتهم لله وصدق ضراعتهم له وقوة ثقتهم به تكسبهم الثبات عليه والاعتصام به والتقيد بأهدابه، فما شرفت النفس بمثل معرفتها للحق واعتصامها به؛ لأنه هو الذي يعلي قدرها ويرفع مجدها، كما وصف الله وحيه في الآية (٤٤) من سورة الزخرف، والعاشرة من سورة الأنبياء. فالصادقون مع الله بهذه

الضراعة يكون لهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر والإعلان بالحق دون خشية أحد مهما كان، وعلى القيام بنشره والاندفاع بنصرته وإسناد أهله، لشعورهم الكامل أنهم منتدبون من الله لتوزيعه والذب عنه، كما قال - تعالى - في حصر سمة الإخلاص: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩] فالجهر بالحق من أعظم صفات الكمال؛ لأنه لا يجول الباطل إلا عند غفلة أهل الحق عنه، فإذا قام به أبطال، يصدعون به ويتحمسون لله في نشره زهق الباطل وانصعق أهله، واختفوا كما يختفي الخفاش من ضوء الشمس.

وقد أجرى الله سنته الكونية أن الحق لا يقوم وحده، وإنما يقوم بالأبطال المخلصين قومتهم في دينهم لله، وجعل الجهر بالحق واجباً عظيماً من واجبات الدين، وجعل أفضل الشهادة كلمة حق عند سلطان جائر، وقال النبي ﷺ: «إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم»^(١) ولا يمكن للأمة نهوض ولدين الحق نصر إلا بقيام من ينصره من المخلصين، ولا ينهض الحق ويبلغ ذروة المجد والنصر إلا إذا نهض به رجال كبار النفوس ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه بهذه الضراعة ممن ارتفعت شخصيتهم وكبرت نفوسهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولله در الشاعر القائل:

تبينت أن الحق إن لم تتح له بوسائل يخشى شرها عدُّ باطلُ

(١) أخرجه أحمد (١٦٣/٢)، والبيهقي في سننه (٩٥/٦)، والحاكم في المستدرک

(٤/١٠٨) من طرق عن محمد بن مسلم عن عبد الله بن عمرو به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ. إلا أن البيهقي قال:

محمد ابن مسلم هذا هو أبو الزبير ولم يسمع من عبد الله بن عمرو. اهـ.

وانظر مسند البزار (٣٦٣/٦) رقم (٢٣٧٤).

لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ما قام النبي يقاتل
 فلا تحسبن الحق ينهض وحده إذا ملت عنه فهو لا شك مائل
 أقمه وأسنده ودعم بناءه وذد عنه ذود الليث والليث صائل
 ولا تنصرن الحق بالقول وحده فإن عماد الحق ما أنت فاعل
 من العدل ألا يطلب الحق عاجز فليس على وجه البسيطة عادل
 ولكن قومي يشرب الدم سائغاً إذا خضبت يوم الورود المناهل
 وانظروا إلى موقف أبي الحنفاء إبراهيم عليه السلام من قومه ومقارعتهم بالحجج،
 ومناصبتهم العدا مع خذلان أقرب قريب له، وهو أبوه، وكيف تحداهم
 بقوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٨٠] وكذلك موسى عليه السلام
 الذي خرج من مصر خائفاً يترقب هارباً من فرعون، ثم يأتي إلى فرعون بعد
 عشر سنين مستهيناً بقوته، غير مبالٍ ببطشه وجنوده، داعياً له إلى الحق الذي
 ندبه الله إليه، ثابتاً أمامه، متحدياً له، صامداً لموعده، كل هذا ثقة بربه
 واستمساكاً بما أوحى إليه منه وثباتاً عليه، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
 فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الإخلاص في العبادة والاستعانة:

التاسع والستون بعد المائة: بتحقيق عبادة الله وصدق التوجه إليه
 بإخلاص وثبات يحصل تقويم الأخلاق ورفع مستواها، وذلك أن الانشغال
 بالعبادة وصرف جميع الأحاسيس لها ناشئ من طهارة القلب وسلامته مما سوى
 الله، فيتخلص من الأمراض المفسدة له والمشقية لجميع جوارح صاحبه، لأنه
 ملك الأعضاء المسير لها، فانشغاله التام بالعبودية الصحيحة يقيه من أمراضه

الموجبة لفساد الأخلاق من الهلع والجزع والشح والمنع والحرص واللدد في الخصومة والجهل، والغرور والظلم والبغي، والجدل والمراء، والطيش والسفه المبدد لجميع الطاقات، والعجب والخيلاء والشك والأشر والبطر والريبة، والغفلة والجمود، والكبر والفجور، والادعاء الكاذب والعناد، والتمرد والطغيان من جهة، والضعف واليأس والخور من جهة أخرى، والافتتان بالدنيا، وحب المال والشهرة، والمكر والتشفي والحقد والغضب، والحسد والهمز واللمز، والانهماك في الشهوات وغير ذلك، فإن الضمير منشأ الفعل ومصدره، فإن كان صالحًا بمراقبة الله ومحبه وخشيته كانت الأعمال صالحة والأخلاق حسنة؛ لانتفاء هذه الأوصاف والسجايا المذمومة، وإن كان الضمير فاسدًا لحلول غير الله فيه من أنواع الأنانية، وحب الذات، فسدت الأعمال والأخلاق؛ لأن الأقوال والأعمال معبرة عما في الضمير.

وسلوك الإنسان تبع لتصوره حسبما في قلبه من قوة حب الله ورسوله وتعظيمهما، ومن ضعف ذلك أو فقدانه بالكلية، فإن ما في الضمير غيب لا يعلمه إلا الله، ولكن الأقوال والأعمال التي يتحرك بها اللسان والجوارح مخبرة عما في الضمير، وشاهدة عليه، فبصدورها يكون الحكم عليه، كالحكم على الحاضر المشاهد المنظور بالعين، المسموع بالأذنين، وقد قرر علماء الأخلاق - عن الخلق - أنه: حال نفسية تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كانت حسنة كان الخلق حسنًا، وإن كانت سيئة فهو سيء، فإذا زهد الإنسان في الجانب الروحي، أو جهل مقوماته ورغائبه؛ اندفع وراء شهواته المادية وأغراضه الشخصية، لقلّة الوازع الروحي في الضمير فحصل منه جميع ما ذكرناه من مفاسد الأخلاق أو أضعافها، واندفع إلى أنواع من الشرور يتضرر

بها الناس على حسب قوة اندفاعه ومبلغ نزوته فيها. ومن هنا تكثر الجرائم ويستفحل الإثم والعدوان، وتكثر الضغائن، فتوقد نيران الحروب المهلكة والفتاكة، كما يجري في عالم الماديين، ولا تنجو الإنسانية من ذلك أو أكثره إلا بالعودة إلى الله، والصدق معه في تحقيق عبادته، والتزام حكمه فيما أنزل على رسوله ﷺ، وما جرى في الإسلام من قتال، فهو لتحقيق الحياة الطيبة، بتعزيز العقيدة لإعلاء كلمة الله، وحفظ النفوس من القتل الجماعي الذي تستعمله فئة ضد الفئة الأخرى في عالمنا المادي الحاضر، ولكنهم يتعاملون عن عيوبهم.

السبعون بعد المائة: الاتجاه الصادق من المؤمن إلى الله بهذه الضراعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقصر مهمته على غاية شريفة باتجاه واحد، يغرس في قلبه العفاف والطمأنينة، والترفع والابتعاد عن كل ما يخل بعبودية الله، وينجيه من الجشع والتطلع إلى ما عند غيره، فيسلم قلبه من أنواع التوجع على ما فاته من طمع أو شهوة، وينجو من أمراض القلق الذي ما زال يفتك بالماديين، الذين انسعت أفئدتهم بجشع أطماعهم الشهوانية، وأغراضهم الأنانية، وتلهفهم على حصول المال والمكاثرة به.

والذين هم دائماً في سباق رهيب للحصول على أكبر نصيب من ذلك، فقواهم البدنية والنفسية منطلقة كآلة الدائمة الدوران لهذه الغاية المستثيرة لأعصابهم، المقلقة لأفئدتهم، إقلاقاً يهلك بعضهم بأنواع أمراض القلب والصدر، ويدفع بالبعض الآخر إما إلى ارتكاب شتى الجرائم، أو إلى تسعير حروب مهلكة بسبب التكالب على هذه المطالب المادية والأغراض النفسية، بل يدفع بهم إلى كل من ذلك كما هو المشاهد، فهم يعيشون في وحشة وتنافر

وشقاق وتسابق في التسلح، وتنافس ومهارة في أنواع المكر والجرائم. أما توجيه الله لعباده المؤمنين المتقبلين لوجيه، الصادقين بضراعتهم إليه، فهو توجيه نزيه مريح، يبث السكينة في القلوب، ويستأصل منها جميع جرائم الطمع المادي الصرف، والتوجع عليه، لانحصار قصده وغايته في خدمة عقيدته، والتوجه الصادق من الإنسان المؤمن إلى ربه، والاستئناس بوجيه والتلذذ به، والتشرف بتنفيذ وصاياه من حمل رسالته والذب عنها، والطموح الروحي إلى نيل وعده الكريم في الدنيا والآخرة، وصدق التوكل عليه بالجد في العمل، والمثابرة بكل فرح وشغف واطمئنان، كما جرى من الرعيل الأول، ومن ذلك التوجيه ما رواه الترمذي عن رسول الله ﷺ: «من أصبح والآخرة أكبر همه؛ جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن أصبح والدنيا أكبر همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه ضيعته، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له»^(١). وزاد في رواية البيهقي: «وما أقبل عبد بقلبه على الله ﷻ إلا جعل قلوب المؤمنين تفتد إليه بالود والرحمة، وكان الله إليه بكل خير أسرع»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) من طريق الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً به.

وأخرجه أحمد (١٨٣/٥)، وابن ماجه (٤١٠٥)، والطبراني في الكبير (١٤٣/٥) رقم (٤٨٩١) من طريق أبان بن عثمان بن عفان عن زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً به.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٦/١١) برقم (١١٦٩٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس. به بنحوه.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٨٢/٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وروى الحاكم عن رسول الله ﷺ: «من جعل الهم همًّا واحدًا كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبته الهموم لم يبال الله به في أي أودية الدنيا هلك»^(١). ولقد صدق مدلول هذه الأحاديث على الماديين، حتى من المتسبين للإسلام، ممن لم يصدقوا بضراعتهم مع الله ب﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فتراهم في نهمة وجشع، وهلع وتحسر، وتطاحن وقلق مهلك، بحيث إن الإحصائيات الطبية قررت أن عدد الوفيات بأمراض القلب والصدور وحوادث الانتحار أكثر مما أهلكته الحروب الراهنة خلال عشرين سنة في الولايات المتحدة، التي تعتبر رمز الحرية والحضارة والتقدم المالي المشوب بالفقر الروحي والعياذ بالله.

والنصوص والأحاديث النبوية كثيرة في هذا المضمار الهادف للرضا والطمأنينة، وضبط عواطف البشر عن قصر النظر على المطالب المادية والكدح المجنون في معركة الحياة البهيمية الغارسة للأضغان، المثيرة للعداوة، المحرقة للصدقات والفضائل.

ولا عبرة بسوء فهم بعض الناس لمعاني هذه الأحاديث، مما أفضى إلى إهمال بعضهم لها وإلى مغالاة بعضهم باستخدامها في إبطال أعمال الحياة، فهي لا تنص على ترك الأعمال وعيشة الدروشة، وإنما تنهى عن إثارة الدنيا وقصر النظر على المادة، ونسيان واجب الله من حياة العبد والتعلق بغيره، وتعطيل العمل لدينه زاهدًا فيه، ورغبة في غيره من المسالك المادية بأي مذهب وأي مبدأ ينشغل به الإنسان عن عبودية الله، فيكون عبدًا للهوى والشهوات، عبدًا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٨١/٢)، والبيهقي في الشعب (٢٨٩/٧) رقم (١٠٣٤٠). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

للدينار والدرهم والمتاع، منصرفاً بقلبه وحركاته إلى ذلك دون الله .
 فهذه معانيها السامية النافعة المطهرة الشافية للمخلصين المتبعين، الذين لا
 يجنون الحياة إلا من أجل الله، والعمل في مرضاته، وإعلاء كلمته،
 ويقصدون بجميع أعمالهم وحركاتهم هذا الهدف المحقق لجميع أنواع الفوز
 والسعادة في الدارين، والجالب لمدد الله في الحياة، والذين تمنحهم عبودية
 الله هذه المميزات، وتنعدم فيهم أسباب القلق، يسلم تفكيرهم من تأثير
 العواطف، وتحفهم السكينة التامة عند النوازل والملمات، فلا يغيب شيء من
 تفكيرهم أو نظرهم إلى الحقائق، ويتلقون الأحداث بدون انزعاج أو حيرة أو
 تروع يعمي عليهم سبل التفكير أو ينقصها أبداً؛ لأنهم بقوة ثقتهم بالله وحسن
 نيتهم معه، وإخلاصهم له، وتفانيهم في سبيله، ينظرون بنوره، فهو سمعهم
 الذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به، وقوتهم التي يندفعون بها
 ويبطشون، كما ورد الحديث القدسي بذلك، ولا يتلون بالأوهام والخواطر
 السيئة التي تصيب غيرهم، بل هم في مأمن من جميع عوامل الهزيمة
 والتفكك، شعارهم في جوانحهم وجوارحهم: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
 اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

العبودية بإشغال جميع الجوارح:

الحادي والسبعون بعد المائة: إن عبودية الله تقتضي إشغال جميع الجوارح
 والأحاسيس في طاعة الله وامثال أمره، لينحصر الاتجاه إليه ﷻ في كل ما
 ركبه في جسم الإنسان، كما تقتضي كفيها وصيانتها عن الانشغال بما لا
 يرضي الله من كل محرم ومكروه، وعن الانهماك في المباحات المشغلة عن
 الواجب والمندوب، خوفاً من تراكم الغفلة المفضية إلى سخط الله، وإنما يأخذ

منها بقدر الحاجة مع شديد الحذر وحسن النية ليكتبها الله له عبادة بصلاح نيته، والله غفور شكور، فيتعبد الله بجارحة السمع بالإنصات لما يجب الإنصات له من العلم الواجب عليه معرفته من أصل الدين وفروعه مما يجب اعتقاده أو يجب فعله في سائر أركان الإسلام وشعب الإيمان، وما يجب حفظه من وحي الله لإقامة هذه الشعائر، كما يتعبد الله باستماع المندوب سماعه من القرآن والذكر وسائر العلم النافع الخالي من شوائب الإلحاد والزندقة.

ويتعبد الله بترك ما يحرم استماعه من كلام أهل الكفر والبدع والإلحاد والنفاق، إلا لمصلحة الدين مما يقصد به مقارعتهم بالحجة، واستظهار شبههم والشهادة عليهم، وترك استماع لهو الحديث المتنوع الذي تقذف به اليهودية العالمية على أيدي عملائها، وهي أجهزة الإعلام من المعازف والحكايات والأقاصيص الماجنة، فلا يتعمد استماع سائر أدوات اللهو والغناء والتشبيب بالمحرم، وإذا ابتلي به فليصرف ذهنه عنه، وليشغله بذكر الله وما نزل من الحق، حتى لا يدخل مسامعه، وكذلك لا يستمع إلى حديث شخص أو أشخاص وهم له كارهون، ولا إلى صوت النساء الأجنبية حين خشية الفتنة أو حصول التلذذ، كما يتعبد الله بترك سماع كل مكروه في الشريعة.

ويتعبد الله بحفظ بصره عن النظر إلى ما حرم الله من النساء والمردان، دون حاجة مبيحة كأخذ تقرير أو شهادة أو طب أو خطبة، ويستعمله في النظر الواجب كالنظر في المصحف، وكتب العلم الواجب معرفتها، والنظر لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يريد أكلها أو الاستمتاع بها، وأعيان الأمانات الواجب أداؤها لأربابها، والنظر في أنواع الأسلحة والأجهزة التي يريد استعمالها في الجهاد الصحيح، فإن النظر إليها واجب للتأكد من

صلاحيتها، كما يتعبد الله بالنظر المندوب، كالنظر في الكتب الدينية والأدبية الصحيحة التي تفيده علماً وأدباً رفيعاً، وتزيد في إيمانه وعقله، والنظر في المصحف وإلى الكعبة، وإلى آيات الله الكونية الموطدة لإيمانه ويقينه، بل قد يكون هذا من النظر الواجب.

ويكف بصره عن النظر إلى ما حرمه الله من العورات التي وراء الثياب أو وراء الأبواب بلا سبب مبيح، واما كرهه الله من فضول النظر أو المغريات التي قد تجذبه لما هو خطر، أو تجعله يزدري ما هو فيه من النعمة، وسيأتي لذلك زيادة توضيح في تفسير أواخر سورة (طه) إن شاء الله - سبحانه - .
ويتعبد الله بالتذوق الواجب، كتذوق ما يحتاج لسد رمقه وإقامة صلبه من مطعم ومشروب حلال، أو حرام عند الاضطرار إليه، ما يعينه على تحصيله، وأكل ما يعينه على طاعة الله، ويقوي بدنه للغضب في الله والدفاع عن حدوده من المطعم المباح، فإنه مندوب يتعبد الله به، كما يتعبد الله في ذوقه بترك ما حرم الله من مأكول أو مشروب، وما كرهه كالمشابهات، وما زاد على الري والشبع، وطعام المرائين والمتبارين، أي: المتراهنين ونحوه، مما فيه نهمة أو إخلال بالمروءة.

ويتعبد الله بالشتم، فيشم ما يجب شمه للتمييز بين الحلال والحرام والطيب والخبيث من الأعيان؛ للتوقي من حرمتها أو ضررها، وشم ما يترتب على شمه تقرير ملك أو حكم، ويشم ما يندب شمه مما يقوي على الطاعة ويقوي الحواس، ويشرح الصدر للعلم والعمل الشرعيين، كما يتعبد الله بترك ما يجرم شمه كالطيب المغصوب، أو طيب النساء الأجنبية، أو الطيب في الإحرام، أو تعمد شم الروائح الخبيثة السيئة التأثير على النفس، وترك ما يكره

شمه كطيب الظلمة وأصحاب الشهوات .

ويتعبد الله باللمس ، فيلمس ما يحتاج إليه للتمييز بين الحلال والحرام ، وما يجب عليه لمسه للإعفاف والإحصان ، وما يحتاجه من ثوب أو بقعة للصلاة ليستبين صلاحيته الشرعية ، وما يستحب لمسه في هذا السبيل - أيضًا - كما يتعبد الله بترك لمس ما حرمه الله من النساء الأجنبية والمردان ، ومن سائر الأعيان المحرمة ، مما يغري لمسه على تناوله ، وترك اللمس المكروه ، كلمس ما حرمه الله حال الصيام أو الإحرام أو الاعتكاف ونحوه .

ويتعبد الله تعبدًا صحيحًا بجارحة اللسان ، وذلك بإشغاله دائمًا بذكر الله ، وما والاه من الكلم الطيب ، وقراءة القرآن وكتب الحديث والتفسير للقرآن ، والشروح للسنة المطهرة ، وما استنبط من فقههما ، وسائر الكتب المعولة عليهما ، والمؤلفة في خدمتهما ، وما يحصل به زيادة فهمهما من فنون العلم ، مجتنبًا كل ما يصدده أو يبعده أو يشغله عنهما ، أو يزهده فهمهما ، مبغضًا لذلك بغضًا تامًا ، كما يكون مجتنبًا ومبغضًا ومنابدًا ومعاديًا لكل ما يناقضهما من كل فن وكتاب ، فلا يقرؤه ولا يضع فيه ثانية من دقائق عمره النفيس ، إلا الحاجة الرد عليه ، ودمغ شبهات أهله ممن هو قادر على ذلك ، لتسلحه بوحى الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ويكون - أيضًا - حافظًا لسانه من فضول الكلام ، ومبتعدًا عن قول الزور ، واللدد في الخصومة ، واللمز والاعتياب ، ونحوه مما يهوي بصاحبه في النار سبعين خريفًا ، أو يكبه في النار على وجهه ، كما حذر منه النبي ﷺ ، وينشغل عن ذلك بالكلم الطيب من الذكر ، والأمر بالمعروف ، والحض على الخير والصدقات ، والإصلاح بين الناس وتأليف قلوبهم ، وجمعهم على الطاعة ،

ونحو ذلك مما يجعله قائماً بعبودية الله بضبط لسانه غاية الإمكان، متوقياً من آفاته .

ويكون بليغاً جريئاً حديد اللسان في مقاومة أهل الباطل ومناظرتهم ودفع باطلهم بحجة البيان، ليكون مجاهداً لله - تعالى - في هذه الجارحة، شاكراً له على إنعامه بها شكراً حقيقياً، مستعيناً بها على نيل رضاه، الذي هو غاية أمانى المسلمين المؤمنين، فإن بطش اللسان قد يكون أعظم أثراً وأكبر فائدة من بطش اليد، كما قال النبي ﷺ في شعر حسان رضي الله عنها: «والله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام»^(١).

ثم يكون من جهة أخرى مسخراً لسانه بالدعوة إلى الله على بصيرة، وبحكمة وحسن بيان جذاب يعرض به الإسلام عرضاً ملائماً لكل بيئة؛ ليحقق شكر الله على نعمة اللسان ويكون من ورثة المصطفى ﷺ، الداعين بدعوته، فينال حظاً من رفعة الذكر، والصلوات المباركة، والوعد الحسن من الله في الدنيا والآخرة، ويكون من الصادقين مع الله، ولا يخرس لسانه عن النطق الحق .

ويتعبد الله ﷻ بجارحتي اليدين والرجلين، فلا يبطش بيديه إلا لله وفي الله، وحسب مرضاة الله، فيعمل بيديه وفق مرضاة الله ما يعينه على حمل رسالته، والتقوي على عبادته من الكد والكدح في الحلال، واكتساب المال من طرقة المشروعة، ويكسب بهما ما يعينه على الواجبات من الإنفاق الواجب، وأداء الدين الواجب، واكتساب ما لا يحصل له أداء أركان دينه إلا به، باذلاً جهده في صيانة وجهه عن السؤال، أو التقصير في المفروض من نفقة واجبة

(١) لم أقف عليه .

ونحوها، كما يبطش بهما في الجهاد لإعلاء كلمة الله، وقمع المفتري عليه، وتوسيع رقعة الإسلام، وردع من حاول الصد عن سبيل الله بأي طريقة، ويبطش بهما في إقامة حدود الله، وتأديب من يستحق التأديب، حسب أصول الشريعة، بحيث لا تأخذه الرأفة في التهاون بها أو إسقاطها، بل يعتبر الرحمة في إجراءات وإقامتها كما أمر الله بها، ويبطش بهما - أيضاً - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا استلزم الإنكار ذلك، ويستعملهما فيما يستحب إشغالهما به من الإحسان للمسلمين، والقيام بمصالحهم أخذاً ورداً، وإعانة محترف، وتعليم صانع، أو إصلاح آلة فاسدة أو تحريكها، أو عمل لأخرق، أو إعانة حامل، أو رفع منه، أو إعانة على سقي، أو إمساك دابة، وغير ذلك من المعونات المستحبة أو الواجبة.

وكذلك كتابة ما يحتاجه المسلمون في معاملاتهم وضبط شهاداتهم ونحو ذلك، ويكون مجتنباً كل بطش حرام، ومبغضاً له كما يبغضه الله ويحرمه، فلا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يعتدي عليها أبداً لأي حظ من حظوظ نفسه، أو رغبة من رغباتها، ولا يضرب من لا يحل له ضربه، ولا يطمع بمال معصوم بأي وسيلة من وسائل الاستلاب، ولا يشغل يديه بالألعاب المحرمة من أنواع الميسر ونحوها، مما هو شبيه بالنرد والشطرنج، أو خلفاً عنهما، ولا بالمكروه من الألعاب، إلا ما يصلح منها للتدريب على الجهاد، وتقوية الأعصاب، بنية صادقة لذلك.

ولا يكتب بيديه ما لا تجوز كتابته من البدع والخرافات، ونظريات الملاحدة والزنادقة، والشعر المحرم المشتمل على الأوصاف المثيرة للغرائز، أو مدح الخمر والإغراء بأي محرم، كما لا يكتب باطلاً أو أحكاماً جائرة، أو شهادات

مزورة، أو سباباً أو وشاية، أو كل ما فيه ضرر على المسلمين وخدمة لأعدائهم، سواء في السلم أو الحرب، فلا تمتد يدها إلى شيء من ذلك ولا إلى رشوة، ولو بطريق هدية؛ لأن الهدايا إلى العمال والمسؤولين في الدولة غلول، كما حذر منه النبي ﷺ في حادثة ابن اللتبية، بل يطهرها من جميع ذلك ليحقق عبودية الله بهما، ويكون شاكرًا لله على إنعامه بهما باستعمالهما فيما يرضيه. ويلاحظ التزام عبودية الله في رجله، حاصرًا مشيه بهما في طاعته ومرضاته، فيسعى بهما إلى إقامة الصلاة في الجمع والجماعات، وإلى بذل الزكاة والحج والطواف وإقامة المناسك وتعظيم شعائر الله، والتكسب للقيام بالواجب، والسعي في الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإلى البطش الواجب والمندوب، وإلى الإصلاح بين الناس، وصلة الأقارب، وبر الوالدين، وزيارة الإخوان في الله من الأحباب في الدين، وعيادة المريض، وتشيع الجنائز، والمشي إلى مجالس العلم والذكر، وكل ما فيه تنفيذ لأمر الله، ويسعى بهما لاكتساب المال من طرقه المشروعة، واستثمار خيرات الأرض بنية صالحة لله، لتكون جميع حركات رجله عبادة لله، فيكون شاكرًا نعمته عليه بهما، فلا يمتطي بهما أي مركوب إلا لغرض من هذه الأغراض، وبنية حسنة، ويراقب الله فيهما، فيكفيهما عن المشي أو السفر لما لا يرضيه، فضلاً عما يغضبه من السعي إلى معاصيه، فإن الرجل الساعية إلى المعاصي هي رجل الشيطان، وكل ما يمتطيه الرجل إلى معصية لله فهو من ركب الشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

كما أن كل مأكول أو مشروب محرم، أو تكسب لا يقصد به وجه الله، وكل ذرية لا يوجهها ولادة أمرها إلى الله بالتربية والتعليم الشرعيين، فهو من

شرك الشيطان، وكل هدف إلى ما سوى الله فهو من أمانى الشيطان وغروره، كما قال - تعالى - في ختام هذه الآية: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ مِمَّا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

فالراكب في معصية الله كالماشي فيها، هو من جند الشيطان، والغازي والمحارب لأغراضه وأهدافه ومبادئه الوطنية، أو مذاهبه المادية ونحوها، مما لا يقصد به وجه الله وإعلاء كلمته، يكون من جند الشيطان وحزبه، سواء كان غالبًا أو مغلوبًا؛ لأن له سوء العقبى، وشر المنقلب، لا سيما إذا كان مسلمًا في الظاهر؛ لأنه بسلوكه هذا قد حرم نفسه من نصره الله، ومدده الذي لا يغلبه غالب.

وهذا هو السر في تأخر المسلمين أو المحسوبين على الإسلام، فهزائمهم المتلاحقة أمام اليهود، وأعدائهم من الوثنيين، سببها انخراطهم في جنديّة الشيطان بسلوك أهوائهم في الحب والبغض، والولاء والمعاداة، واتباعهم الشهوات، والسير في الأنانية المختلفة التي جعلتهم لم يخلصوا النية ولم يصلحوا العمل لله.

فكان المعيار عندهم ماديًا بحتًا، وإذا كان كذلك فعدوهم أكثر عددًا وأقوى عدة مادية، فيكون له الرجحان لانعدام القوة الروحية الغالبة بإذن الله، حيث تربوا على الأفكار الماسونية اليهودية التي جعلتهم يسيرون وفق أغراضهم لا وفق أمر الله، ويقاتلون في سبيل أهوائهم وحدود أوطانهم، لا في سبيل الله وإعلاء كلمته وإقامة حدوده، بل لم ينالوا بما انتقصه أعداء الله من أراضي المسلمين وحدود الإسلام، ولا بما أجراه أعداء الله على المسلمين في جزيرة (قبرص) والحبشة وغيرها مما هو تحت وطأة روسيا والصين، وإنما هدفهم

مقصود على ما يسمونه بالوطن العربي، وعلى الأخص المتقبل للمذهب الماركسي الشيوعي، بل ظاهروا أعداء المسلمين، وقد قلت في منظومتي عقب كارثة صفر عام ١٣٨٧هـ (حزيران ١٩٦٧م):

فلم يتقاتل مع يهود سوى الذي تربى على أفكارها لا على الذكر
ولم ينهزم منها سوى متفرنج وفرخ شيوعي ومختلط الأمر
لقد خانهم أسيادهم قوم (مركس) كما نكص الشيطان عن مشركي بدر

فالذين تربوا على الذكر الحكيم لم ينهزموا أمام اليهود وأعوانهم في كل زمان، وفي الوقت الذي يتربى فيه العرب على القرآن، فحظ اليهود أمامهم الذلة، ولكن حاربهم الذين استووا في جنديّة الشيطان مع عدوهم، فكانت الغلبة للقوة المادية والمكر السياسي أو الحربي، ولو أخلصوا نيتهم لله، وأصلحوا أعمالهم لوجهه الكريم، وحصروا اتجاههم إليه، ووجدوا هدفهم لإعلاء كلمته، لبارك في جمعهم، وسدد خطاهم، وثبتهم، وصوب رميتهم، وأمدهم بالريح والملائكة، وبيجنود لا يعلمها إلا هو، ونصرهم بما يقذفه من الرعب الشديد في قلوب أعدائهم، وإحباطه لخططهم، وشله لحركة مصنوعاتهم، أو إفساد مفعول قذائفها، كما أفسد مفعول النار المتأججة على إبراهيم إمام الحنفاء عليه السلام.

فهو يمكر للمؤمنين مكرًا يحبط به مكر الكافرين ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وما أقل من ينتبه إلى هذا السر في هزائم المحسوبين على الإسلام، ألا وهو التقاؤهم مع أعدائهم في جنديّة الشيطان؛ لأن أدمغتهم قد تخبطت وفسدت، حتى تبلورت بالغزو الفكري من أعدائهم،

ذلك الغزو الثقافي الماسوني، الذي أبعدهم عن القرآن، وأزاحهم عن العقيدة الحنيفية الأصيلة، وأبعدهم عن الأخلاق والشمائل المحمدية، وجعلهم يتعشقون الأخلاق والنظم الغربية والشيعوية مما هو من أوضاع اليهود، فكيف ينتصرون عليهم!!؟

ولا شك أن شياطين الإنس المتبعدين عن أمر الله وإقامة حكمه وتحقيق عبوديته، إذا تصارعوا فيما بينهم صراعًا كلاميًا، أو حربيًا، كان النصر لمن هو أكثر تهويشًا في الكلام أو أقوى عدة مادية، وأعمق مكرًا، وأكثر أنصارًا من جنس الشياطين، فجند الشيطان فيما بينهم يكون انتصار بعضهم على بعض بهذا الاعتبار، كما حصل في حرب اليهود مع خصومهم من الماديين المشيطين، وإن ادعوا ما ادعوا، وكما حصل فيما يشبه حربهم من قبل في كل العصور والطوائف، وما سيحصل من بعد.

وأما إذا تقابل جند الشيطان مع جند الله الصادقين في أعمالهم ومقاصدهم مع الله، فحظهم الخيبة والخزي والهزيمة أمام حزب الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣]، ﴿فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦]. ﴿ذَلِكَ كُمُ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨]. ومهما كثر أعوانهم من فئات الشياطين فالله خاذلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

ومن عطل الله عن أمره وشرعه وحكمه ونصب نفسه مكان الله في التشريع لشئون الحياة، فقد حرم نفسه من هذا النصر وكان من صرعى الشياطين، وليحاذر من استعمال نعمة الرجلين في المشي إلى مجالس اللهو، أو

اللعب المحرم والمكروه، وسائر ما هو من هوى النفس، حتى لا يكون من رجل الشيطان الساعية في مطلبه، ولا يخفى أن المحرك لهذه الجوارح والقوى والأحاسيس هو القلب، فهو ملكها ومسيرها حتمًا، فبصلاحه تكون حركاتها إلى الخير والصلاح، وبفساده ينعكس الأمر كما قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١). فرحى العبودية تدور على القلب وهو قطبها، ولكنه لا يسير جوارح الإنسان وقواه وأحاسيسه إلى الله إلا إذا كان سليمًا مما سواه؛ لأن القلب السليم هو الذي يتلقى حكم الله الشرعي الديني بالمسألة والانقياد المحض، والتسليم بلا منازعة، فلا يعارضه بذوق أو سياسة أو قياس أبدًا، بل بالإذعان والقبول، دون حلول شبهة تعارض شريعة الله، أو شهوة تعارض أمره وتحول دون تنفيذها.

فهذا القلب السليم من الشهوات والشبهات هو الملك المسير للإنسان تسييرًا روحانيًا ربانيًا لا شيطانيًا، وهو الذي يتكون من أفراد عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سبيل، فلا يكسب الشيطان منهم راجلاً ولا راكبًا، بل هم الذين يهزون أهل الأرض ويصعقون اليهودية العالمية في كل مكان، كما حصل ذلك من المتلمذين على المدارس المحمدية الحنيفية، لا على المدارس المعولة على الخطط والمفاهيم الماسونية، ممن هم كسب لليهود، وقررة لعيونهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

الثاني والسبعون بعد المائة: الصادق بضراعه إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني غاية الاعتناء بسلامة قلبه، وذلك:

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

- ١- بتصفيته مما يرد عليه من الهمسات والخواطر التي تفتنه بشبهة أو تشغله بشهوة.
 - ٢- وتصفيته مما يقذف عليه من الآراء والنظريات.
 - ٣- ومن فساد المقاصد وهي ما يكون لغير الله من كل غرض وشهوة.
 - ٤- وتصفيته من مشبطات الهمم.
 - ٥- ومن التعلق بغير الله أو إثارة شيء على مراده، ولو أقرب قريب أو أنفس نفيس في الدنيا.
 - ٦- وتصفيته من استعذاب شيء فوق استعذاب عبادة الله بأي أنواعها، أو على عذوبة كلامه وكلام رسوله ﷺ.
 - ٧- ومن التعلق بجمال شيء ينسيه جمال الله ولذة قربيه، بل إذا أعجبه جمال شيء ذكر جمال الله الذي جميع ما في الأكوان من جمال فهو أثر من آثار جماله، وكلما استمتع بمحسوب أو استلذ بشهوة زادت محبته لله الذي وهبها، وزاد تعلق قلبه بعبادته وحسن مراقبته.
 - ٨- وتصفيته من إجلال غير الله، والخوف من غير الله أو رجائه، أو قصر محبته عليه أو تفضيلها على حبه.
- وذلك أن القلب وعاء كسائر الأوعية، وكل وعاء لا يكون فيه صلاحية لوضع شيء، حتى يفرغ من ضده ويصفي كما هي القاعدة العقلية، إن قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتخليته وتنقيته من ضده، فالإناء الذي فيه الملح لا يصلح لوضع السكر أبدًا حتى يفرغ من الملح وينقى تنقية ملائمة لوضع السكر، وهكذا فالقلوب شأنها أعظم من ذلك، ولا تصلح لقرار حب الله وإجلاله وتعظيمه، والخوف منه ومحبة ما جاء عنه ونحو ذلك من مقتضيات

الدين والعبودية، حتى تفرغ وتصفو من حب غير الله وتعظيم غير الله، والخوف من غير الله أو رجائه، وتصفو من محبة لهو الحديث، والتعلق بالأنانية والشهوات، وتصفو من العلوم المادية والنظريات الإلحادية، وهناك تكون فيها القابلية الصحيحة.

فإن القلب إذا صفت مقاصده لله، وصفت معلوماته مما سواه، وانحشى بوحيه العزيز، وانشغل بذكر أسمائه الحسنی متدبراً معانيها ومشتقاتها، ليعامل الله بمقتضاها ولا يأنس إلا بها، صفت موارده لخلوص مقاصده، فصار سليماً وفي حصن حصين من غزو أعدائه شياطين الإنس والجن الفكري ومن همزاتهم، فيشمر له صفاء علمه ومتعلقاته حسن السلوك الذي يسير الأعضاء والأحاسيس حسب مرضاة الله، كما أسلفنا في الوجه الذي قبل هذا.

الثالث والسبعون بعد المائة: الضراعة إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا تكون صادقة نافذة المفعول على قائلها إلا إذا صدرت من مسلم مؤمن، قلبه منفتح نحو الله، يشهد نعم الله عليه من قبل وجوده إلى فقدته تلك النعم التي لا يقوم بشكرها، ولا يقابلها أي عبادة، فيشهد نعمة الله عليه بذكره له في الملائكة الأعلى قبل أن كان شيئاً مذكوراً، حيث قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وذكّره - أيضاً - إياه دون شيء من مخلوقاته، وذلك بتقدير رزقه وأجله وعمله.

فهذا ذكر عظيم شكرهما وحقهما، ثم يشهد نعمة الله بتقدير خلقه في أحسن صورة، وإمداده بالسمع والبصر والفؤاد وسائر الجوارح والأحاسيس والقوى، وإسباغ نعمه العظيمة عليه، فلا يغفل عن ذكره أو ينشغل بسواه، بل يشكر كل نعمة لله شكراً عملياً باستعمالها في طاعته والسعي في مرضاته،

وعدم الغفلة عنه، فكلما ذكر نعمة الإيجاد ذكر الله الموجد له والذاكر له بها ذكراً صحيحاً، ذكر المحب لحبيبه، المتفضل على حبيبه، وضرع إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ضراعة المخلص الصادق المصمم على معاملة الله بمقتضاها، والاتجاه إليه قولاً وعملاً وقصدًا.

ويستحضر دائماً نعمة الله عليه، في تقدير رزقه والفسحة في أجله، فيقدر ذكر الله له بها، ويذكره ذكر المحب لحبيبه، المتفضل عليه، فيصدق في تجديد ضراسته إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مصمماً عزمه على معاملة الله بمقتضاها، والاتجاه إليه بمدلولها، قولاً وعملاً وقصدًا، ويستحضر دائماً نعمة السمع والبصر والفؤاد، والشم والذوق والنطق، والبطش والمشى، وسائر الحركات التي ذكره الله بكل شيء منها، فأكرمه وأنعم عليه بها، فيذكر الله ذكر المحب لحبيبه، كلما استمتع بشيء منها وانتفع.

ويجدد الضراعة الصادقة الخالصة له بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عازماً عزمًا أكيداً على تنفيذ مقتضياتها بكل قوة وتصميم، ذاكراً للنعمة الكبرى التي ذكره الله بها في الأزل، وأنعم عليه بها بعد إيجاده، وهي نعمة الإسلام التي لا تعدلها كل نعمة، ولا تقوم الدنيا كلها ثمنًا لها، فيزيد حبه لله وتعظيمه له، وذكره إياه ذكراً صحيحاً نافعا مؤثرا، ويزداد حبه لرسوله عليه الصلاة والسلام الذي جرت هذه النعمة الكبرى على يديه، وهذا الإنقاذ الحيوي على يديه.

هذه النعمة التي رفعت عن مستوى البهائم الخسيسة، وأخرجته من الظلمات إلى النور، وحررته من رق العبودية، والخضوع لغير الله، هذه النعمة التي لولا إكرام الله له بها لكانت البهائم أحسن منه حالاً ومالاً، فيقوم

بشكر الله عليها شكرًا عمليًا يجعله يعرض عليها بالنواجذ، ويكون قوي الشكيمة في حفظها، والاستمساك بها، والدفاع عنها بصولة ليث غاضب، وبذل النفس والنفيس دونها، وصدق العزيمة في تأدية أركانها وواجباتها وشعبها ومندوباتها، والأخذ برخصها وعزائمها، والصرامة في تنفيذ متطلباتها وأحكامها، وبغض المعرض عنها، والمصر على ترك شيء منها، والمتجاوز لحدودها، ومعاداة من ينتقصها، ومحاربة من يعاديها بكل صورة، ولو كان صاحب هذه الصفات أقرب قريب، بل يعتبر البر والرحمة في عقوبته والغلظة عليه.

وشعاره في كل شيء من ذلك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معتقدًا أن محبته لله مخوفة بمحبتين منه - جل وعلا - : محبة سابقة هيح بها قلبه إليه وشوقه، ومحبة لاحقة على حسن النية، وصلاح العمل الذي وفقه إليه، ومعتقدًا أيضًا أن ذكره لله مخوف بذكرين له منه - جل وعلا - : ذكر التوفيق له إليه أولاً، وذكر الإثابة ثانيًا.

والفضل كله له في البدء والمنتهى، وبذلك يسلم من العجب والكبر والإدلاء على الله بعمله، ونحو ذلك من أدواء القلب، ويحدوه الصدق في الشكر إلى حسن مراقبته، والمثابرة على عبادته، وصدق الاستعانة به في ذلك، ولا يبيح لنفسه الغفلة عن الله، أو إضاعة أدنى شيء من أوقاته بلا عمل لله، بل ينشغل بالله عما سواه، ويجود بكل شيء في سبيله ومرضاته، فيكون من خير البرية، ويكون مخوفًا بالطفاف الله، منصورًا على أعدائه، مرهوب الجانب في الأرض، كما جرى للرعيّل الأول.

الرابع والسبعون بعد المائة: كل من تحققت فيه هذه الوجوه الثلاثة

المتقدمة، وكانت عبوديته لله سائرة على ما فصلته فيها، فإنه ينكشف حجاب قلبه عن ربه فيستنير، ويكون مقبلاً على الله، متلذذاً بعبادته، يجد لها حلاوة، ويجد منها سروراً، وتفيض أنوار الهداية على جميع أحاسيسه، فلا يطمئن إلا لذكر الله وطاعته، ويكون متوحشاً مما سواه، وتكون أعماله الدنيوية مرتبطة بالله، قصداً لوجهه واتباعاً لشريعته، ولا يدخل إلى مسامعه شيء من لهو الحديث المتنوع، الذي تقذف به اليهودية العالمية على أيدي عملائها ومخدوعيها، فضلاً عن أن يستعذب شيئاً منه.

هذا مستحيل؛ لأنه ليس لديه ذرة واحدة إلا بالله، ومن الله، وجميع أوقاته وطاقاته منحصرة لله، قد سلم من حجاب نفسه وأهوائه، وانقشع عنه ضباب الشهوة والأنانية، فقلبه في ربيع القرآن، وروحه في نعيم الطاعة، لخلاصه من الحجب المعوقة له والمضللة له عن طريق السير إلى الله؛ لأنه بسلوك ما فصلته في الوجوه السابقة يتخلص من الحجب التي بلغ العلماء في عدها إلى عشرة وهي:

١- تعطيل الله عن أمره وشرعه، وكون البشر يسلكون ما شاءوا دون ارتباط بالله.

٢- تعطيل حقائق أسمائه وصفاته، وعدم معاملة الله بمقتضى كل اسم وصفة.

٣- حجاب الشرك من سائر التعلق بغير الله، فإن الشرك ليس مقصوراً على عبادة صنم ونحوه، وإنما هو متمثل بانصراف القلب عن الله إلى غيره، في أي ناحية من شؤون الحياة.

٤- حجاب البدعة القولية، مما ينشأ من تلقي العلوم والمعارف من غير

مشكاة النبوة، كالمنطق اليوناني، ونظريات الفلاسفة الأقدمين أو المتأخرين في الإلهيات، أو علم النفس أو الطبيعيات ونحوها، مما هو قول على الله بغير علم، وصد للأمة عن سبيل الله، وإشغال لها عن وحي ربها، وصرف لها عن هدايته.

٥- حجاب البدعة العملية من كل عمل مخالف لما عليه أمر المصطفى ﷺ، سواء ظهر باسم تصوف أو طريقة أخرى، فإن العبرة بجنس السلوك المخالف لحال النبي ﷺ وأصحابه لا بجنس المسمى.

٦- حجاب كبائر الذنوب الباطنة كالكبر والعجب والرياء والحسد والخيلاء ونحوها.

٧- حجاب كبائر الذنوب الظاهرة؛ لأن المعصية تجر غيرها إذا لم يتذكر صاحبها، ويبادر بالتوبة النصوح، ويتسلح بسلاح المراقبة.

٨- حجاب صفائر الذنوب وفضول الأشياء والكلام، فإن الصغيرة تنقلب كبيرة مع الإصرار، أو شركاً وكفراً مع الاستباحة.

٩- حجاب الغفلة عن الله ونسيان العبد ما خلقه الله لأجله.

١٠- حجاب التوسع في المباحات مما يحدث به قسوة القلب وبعده عن الله، وعدم استشعار مشاهد يوم القيامة.

ومنشأ هذه الحجب أربعة عناصر:

- ١- النفس الأمارة بالسوء أو اللوامة.
- ٢- الهوى، فإنه لميله بصاحبه يحجبه عن السير إلى الله وتحقيق مرضاته.
- ٣- إيثار الدنيا والتعلق بزيتها وجعلها غاية لا وسيلة.
- ٤- الشيطان، سواء كان من شياطين الجن أو الإنس كما فصلت ذلك في

باب الاستعاذة. ولا يتغلب على هذه العناصر، ولا يسلم من تلك الحجب، إلا صاحب القلب السليم الذي مضى تفصيل حاله في الأوجه الثلاثة قبل هذا.

صاحب القلب السليم الذي إذا وصل إليه أي نعمة علم أن الله قد ذكره بها، وأوصلها إليه، فيزداد حبه لله وإجلاله على ابتدائه له بالمعروف والإحسان، فيتفانى في طاعته، وبذل النفس والنفيس في نصرته دينه، ويكون محباً لأحبابه مهما كانوا، ومبغضاً لأعدائه من الكفرة والعصاة، ولو كانوا أقرب قريب، ويكون منشغلاً به عما سواه في كل ناحية، مقدماً مراده على مراد نفسه بالكلية.

الخامس والسبعون بعد المائة: صدق ضراعة المؤمنين بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تجعل عبودية الله تخط خطاً لحياتهم في كل سلوك، وتوجه أفكارهم وتصوراتهم ومشاعرهم ونشاطهم وارتباطاتهم في كل اتجاه وهدف، فلا يدينون لمن يسلك بهم مسلكاً، أو يوجههم إلى أي شيء من أوضاع البشر، أو رغبات المتحكمين من الرؤساء أو الأمراء، فإنهم حينئذ يدينون بغير دين الله، فتكون جماعة في دين رئيسها وفق أهوائه، وجماعة في دين حاكمها، وجماعة في دين أميرها أو زعيمها، أو أحبارها أو رهبانها، إلى غير ذلك، مما يجعلون به جانباً من جوانب حياتهم لله، والجوانب الأخرى لغيره، كما هو مخطط أعداء الله باسم الحضارة والتطور.

فإن الدين الإسلامي يتعبد أهله بمعاملة الله، معاملة الربوبية والألوهية، والملوكية والقوامية بجميع ما لذلك من مفاهيم، فيكون وحي الله وشرعه هو ينبوع الذي ينبثق منه الأخلاق والسلوك، في الميدان السياسي والاجتماعي

والثقافي والاقتصادي، حال السلم أو الحرب.

فتكون حياة المسلم ومماته لله وحده لا شريك له، وليس له عقيدة إلا ملة إبراهيم التي جاء بها محمد - عليهما الصلاة والسلام -، غير منفصل عنها في أي جانب من جوانب الحياة، لا يحرك قلبه سواها، ولا يلهب مشاعره وجوارحه إلا هي، لا يحركها إله الهوى ولا سلطان الشهوات، ولا أي نزعة شيطانية من نزعات القومية أو البعثية أو الوطنية أو الشيوعية وما شاكلها، ولا تدخل في دين الرئيس الفلاني الذي يدين به وفق أهوائه، ولا الملك الفلاني، ولا الأمير الفلاني أو القبيلة الفلانية، أو الشعب الفلاني، ونحو ذلك من كل ما يخالف منهج الله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

والدين الإسلامي ليس محصورًا في الضمير ولا منعزلاً عن واقع الحياة، مقصورًا على شعائر تعبدية لا تأثير لها في مجالات الحياة، فهذا تصور مضحك لحقيقة واقع البشرية في هذا الكون؛ لأنه حين تحكم ضمير الإنسان ووجدانه شريعة ثم تحكم واقعه ونشاطه شريعة أخرى، كل منها منبثق من تصور مختلف، هذا من عبادة الله، وهذا من عبادة الهوى والأشخاص، فتتضارب أفعاله، وتكون حياته في قلق وحيرة دائمين، وهذا شيء يضحك منه من تعشقه وتبناه لو فكر فيه تفكيرًا حرًا سليمًا، إذ كيف يفصل بين الواقع الشعوري الوجداني، والواقع العملي الحركي؟! وأي ضمير لا يحرك الجوارح والأحاسيس بحسب ما يكره ويريده من المحبوبات؟

إن تحرك المرء لغير الله دليل على أن ضميره لا يحب الله ولا يريده، هذه هي الجاهلية التي جاء هذا الدين ليحطمها، ويغيرها من الأساس، ليحرر

الناس من عبادة غير الله، والحياة الإسلامية لا بد أن تقوم جميع أنظمتها على قاعدة التصور الإسلامي من أصل عقيدة الألوهية ومدلول أسماء الله الحسنى، وإلا كانت الحياة وثنية جاهلية مهما صبغت بالأسماء والشعارات إذ لا معنى للدين أصلاً إذا فصل عن تنظيم الحياة الواقعية، سواء كانت ارتباطات الإنسان بربه أو بإنسان مثله، إذ لا بد من معاملته له وفق شرع الله في كل شيء.

وينبغي لكل ذي لب أن يفهم جيداً أنه ليس من طبيعة الدين الحق أن يجعل لله جزءاً في الحياة البشرية دون سائر قطاعاتها العامة، وتكون هذه إذا لآلهة شتى وأرباب متفرقين، يضعون للناس ما يريدونه هم من النظم والتشكيلات، دون الرجوع إلى الله ورسوله، هذا شيء لا يقبله أي حاكم من حكام البشر، فكيف بالله أحكم الحاكمين؟

السادس والسبعون بعد المائة: تحقيق عبادة الله هو المقوم الأعلى لحياة الإنسان، وبقدر قيامه بها يقاس صعوده أو هبوطه، وسعادته لا تتحقق بدون تحققها، وبدون عبادة الله الصحيحة ينحدر في صفاته الإنسانية، وفي تصوراته للقيم الإنسانية؛ لأنه يكون عبداً للماديات، وعبداً للشهوات، وعبداً للآلة، أو تابعاً ذليلاً من توابعها، فينحط في تصوره وأخلاقه، ويهبط في علاقاته الجنسية إلى أحط من حالة البهيمة، وتراه لا يعرف سوى صخب الأسواق، ودخان المصانع، وأزيز الماكينات.

وحينئذ يشقى ويقلق، ويعاني من الحيرة والإرهاصات ما لم يعان قط في تاريخه من التعاسة والأمراض النفسية، والشذوذ والعنة المفضي إلى كل جريمة، ويكون غالباً هائماً على وجهه، يعالج تعاسته بما يقتل به روحه

وجسمة وأعصابه من المنعشات والخمور والمخدرات، ويتفحص مذاهب اليأس والقنوط، ويكون جميع ما حصل عليه من العلوم المادية في معزل عن روح الإنسانية الصحيحة، إذ لا يحقق شرف الإنسانية ويضمن لها الحياة الطيبة والمستوى الرفيع، إلا ما أراده خالقها العظيم، العليم بمصالحها في كل شيء على مر العصور.

ولا تتم عبادة الله إلا بصحة العقيدة التي ترسم له أهدافاً أكبر من ذاته، وأعم من فكره، وأبعد من حاضره القصير، وأرفع من واقعه، وتربطه بذات علوية لها عليه رقابة محيطية، وسيطرة تامة يجبها ويعظمها من جهة، ويخشاها ويتقي غضبها من جهة أخرى، ويتملقها ويطلب رضاها من جهة ثالثة، ويرجوها ويبتظر عونها على الخير من جهة رابعة، ويستحيي من مواجهتها باللؤم وكفران النعم من جهة خامسة، ويتشوق لجزائها الأوفى بالحسنى وزيادة من جهة سادسة.

هذه العقيدة تجعله لا يخرج على عبودية الله لحظة واحدة في أي حالة، ولا يلتفت إلى غيره في أي معاملة، من حب وولاء وبغض وعداء وبراء وخوف، وتعظيم ورجاء، واستعانة أو غيرها، وتجعله يخضع جميع النظريات والعلوم لوحي الله، ويكيفه به، ولا يعكس الأمر شأن الماديين المتبعدين عن عبادة الله في هذا الزمان.

السابع والسبعون بعد المائة: حاجة الإنسان إلى عبادة الله، لا يسدها شيء أبداً، فجوته الروحية لا يسدها الطعام، ولا يرويها الشراب، ولا يسكنها الكساء، أو أي شيء من أصناف متاع الدنيا؛ لأنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، بل أكبر من العوالم المحسوسة،

جوعه إلى نيل قيمة النفس التي هي أعلى من جميع الأكوان، بل لا تقوم جميع الأكوان ثمناً لنفس واحد من أنفاس الإيمان الصحيح بالله، والعمل الصادق لوجهه الكريم، وجوعه إسلامية إلى إقامة حكم الله في الأرض، وانتزاعه من الظلمة الكفرة الذين تطاولوا على سلطانه فيها.

فجوعه المسلم المؤمن الحقيقي لا يسكنها الحضارات المادية، حضارات الكفر، مهما قدمت له من الرفاهية الحيوانية، وبذلت له من أنواع الزينة والتسهيلات، إن جوعته لا يسدها ولا يملأ فراغها سوى حب الله وتعظيمه، وحب رسوله وتعظيمه، حباً يجعله متعلقاً به، منشغلاً بطاعته، متشرفاً بتنفيذ أحكامه ووصاياه، متطلعاً إلى رضوانه، متشوقاً إلى لقائه في جنانه، مما يجعله محباً للموت أكثر من محبة أعدائه للحياة، وبذلك يكون في جهاد متواصل داخلي وخارجي، يحصل به على الحياة الطيبة من العز والنصر، والتمكين في الدنيا، ونيل جنان الخلد في الدار الآخرة، ومن لم يكن على هذه الحال كان بلا شك على الحال التي أسلفناها فيما قبل ذلك.

الثامن والسبعون بعد المائة: حمل رسالة الله والقيام بنصرة دينه لا يتحقق بمجرد الاعتراف بالنطق بالشهادتين، والتعلق بالأمانى على الله بالخوارق، وإنجاز وعده بدون عمل صالح صادق وفق أمره يستجلب رضاه، وجهاد يتبين به المؤمن عن المنافق، فلذلك كان من ضرورة كل مسلم عارف بالله، خائف من سخطه، راع لمرضاته، أن يصدق في عبادته فيضرع إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأن دين الله لا تتحقق إقامته في الأرض، حتى يحمله جماعة من البشر، يؤمنون به إيماناً كاملاً، ويستقيمون عليه غاية جهدهم، ويتعرضوا لمجاهدة الناس بجميع أنواع المجاهدة، مجاهدة بالقلب

بالكراهية لباطلهم، والتصميم على نقلهم منه بجميع ضروب الأمر بالمعروف ومستلزماته، ومجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان، ورفض باطلهم وتزييفه بالنقد العلمي والعقلي، كما أرشد إليه القرآن، ومجاهدتهم باليد دفعًا وإزالة، وقمعًا وزحفًا بالحق حسب المستطاع.

فحقيقة الإيمان لا تتم بالقلب حتى يتعرض لهذه الأنواع من المجاهدة، ويصبر على الأذى والابتلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]^(١) فإنه يفتح للمسلم بذلك آفاق لا تفتح بدون المجاهدة، ويعرف من خبايا الناس ما لا يعرفه بدونها.

التاسع والسبعون بعد المائة: بتحقيق عبودية الله تتحقق دعائم كيان المسلم ونصرته وتمكينه في الأرض، فالقيام بعبودية الله هو الضامن لحصول ذلك، وهي لا تتحقق باللفظ والدعوى، ولا بإقامة بعض الشعائر، والإتيان ببعض الأوامر دون بعض، وإنما تتحقق العبودية بحصر الاتجاه إلى الله في كل شيء، والطاعة لله في كل شيء، وتحكيم شرعه في كل شيء.

والضمان لتحقيق هذه العبادة بكاملها هو نزاهة ضمير المسلم من الهوى والأنانية، وقوة جنانه بصدق توكله على الله، والاعتماد عليه، وعدم الخوف

(١) في هذا الموضع وغيره من مثله يشير الكاتب إلى رقم السورة ثم الآية.

من غيره بتاتاً، وكونه دائماً مستشعراً مشاهد يوم القيامة، والرجوع إلى مالك يوم الدين، فلذلك يكرر الضراعة إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لعمارة ضميره، وإيقاظ شعوره، فيكون أميناً على حق الله في الحياة، والتزام ما ألزمه الله به.

الثمانون بعد المائة: هذا الإرشاد من الله لعباده بضراعتهم إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إعلام منه - تعالى - للبشر بأن هذا الدين لا تتحقق إقامته في الأرض إلا بجهودهم حسب طاقتهم، وحسن نيتهم الجالبة لعونه - تعالى -، ومدى صدقهم مع الله، وهو تعالى يجبر نقصهم ويسدد خطاهم، وينصرهم على أعدائهم، ويمكنهم في الأرض مقابل إخلاصهم في القول والعمل والقصد، لتكون كلمة الله هي العليا، فيجعلهم الأعلون.

وثبات المسلمين على هذا المبدأ، وانطباعهم بهذه الضراعة عملياً، يحقق لهم ذلك، ويجعلهم يثبتون أمام جميع العالم أن هذا الدين مستطاع وملائم لفطرة البشر، وليس دعوة (مثالية) كما يكرر ذلك من يقصد إشاعة اليأس من دوام ذلك، محتجاً بما جرى من الأحداث على عدم استئناف المد الإسلامي، وبمنهجه الذي سار عليه السلف الصالح.

لذلك فإن الصدق مع الله بهذه الضراعة يكذب هذا الزعم الذي روجه المبطلون، وهضمه المغفلون السطحيون الذين يجهلون أسباب الانتكاسة، وتلاحق الكوارث على المسلمين، فإن جريان هذا بسبب عدم الثبات على المبدأ، وعدم تحقيق العمل بمقتضى هذه الآية، التي من عامل الله بمقتضاها كان من الصادقين، الذين يصلح الله لهم أعمالهم، ويمدهم بالنصر في الدنيا.

وما أسر رد البشرية لدين الله وإقامة حدوده إذا انبرى لها من يربها على تربية محمدية، كترية الرعيل الأول، لا سيما وقد تذوقوا مرارة الشقاء والقلق والإرهاب، واكتووا بنيران الحروب.

فتحقيق مقتضيات عبودية الله والاستعانة به، لا يكلف البشرية إلا أقل مما كلفته المناهج الماسونية والأهواء الجاهلية بكثير، زد على هذا أنه يعتمد على رصيد الفطرة المذخور من الله فيها، والذي لا ينضب مع الاستعانة بالله أبداً.

الحادي والثمانون بعد المائة: عقيدة المسلم وأخلاقه المنبثقة من شعاره الصادق، وضراعه الخالصة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي في صميمها قوة بناءة، وحركة دافعة إلى النمو المطرد، وانطلاق إلى الحركة الدائبة في سائر المجالات التي بها تحقيق الذات، وفرض الإرادة، ولكن بأسلوب نظيف مشرف للغاية.

الثاني والثمانون بعد المائة: استدامة الضراعة الصادقة مع الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها تعليم عظيم للمسلم أن موقفه في جميع واقعيات الحياة ليس موقفاً سلبياً، بل هو موقف إيجابي يجعله يسابق أعداءه في كل صنعة، واستثمار وتكتل وانطلاق، وتجعله يبادر لاستلام كل آلة وكل مخترع، ليصرفه التصريف الصحيح حسب المنهج الإسلامي، ويكيفه بوحي الله ومرضاته، ولا يقف منه موقف السلبية، فيكون من حظ أعداء الله، يسرونه وفق أغراضهم، ويستعملونه ضد العقيدة والأخلاق، كما جرى للمسلمين الجامدين من السلبية أمام المخترعات الحديثة، من كافة وسائل النشر والإعلام.

فالتبطل والسلبية صورة غير أخلاقية؛ لأنها تعكس المقصود من غاية الوجود الإنساني، حتى تجعل القائد مقوداً، فالمسلم بإسلامه الصحيح لا يقف من هذه المخترعات موقف السلبية، ولا يستسلم لها باعتبارها أمراً واقعاً لا مفر منه، بل يلجأ إلى معينه الذي لا ينضب، وهو وحي الله وفطرته، فيسعى بهما قوياً لتعديل الواقع، وتسييره وإصلاحه، ليدفع ما فيه من ضرر وفساد، ويحوّله إلى نفع وصلاح، وذلك لأن المخترعات الحديثة وراءها قوة مادية، وصنائع لأعداء الإسلام، يفرضون بواسطتها ما يريدون من إفساد الأخلاق، والتشكيك بالعقيدة، فلا بد للمسلمين من مقابلتهم بالرصيد الذي لا يغلبه غالب، رصيد الوحي والفطرة الذي يزهد كل باطل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

الثالث والثمانون بعد المائة: إذا حقق أهل (لا إله إلا الله) القيام بمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وعاشوا مع أولادهم وإخوانهم بالتصور الإسلامي، والعمل لخير الإسلام، فإن مجتمعهم ينمو ويقوى على ما حوله أو في وسطه من المجتمعات المادية الوثنية، بلا عوائق داخلية أو خارجية، وهم يتنفسون الأنفاس الطبيعية بكل حرية وانطلاق، وذلك بقوة تعاونهم على البر والتقوى، وتماسكهم في ذات الله، وقيامهم بواجب الشهادتين، من تحقيق العبودية، وصدق الاستعانة بالله، وتندحر أمامهم كل قوة، وتحقق كل محاولة ضدهم.

أما الذين يجبنون عن تحقيق مدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ويعتقدون من دينهم ما يريده العدو لهم من صلاة باردة لا يتأثر بها أهلها خارج المسجد، أو طقوس مصطنعة باسم الطرق الموروثة، دون بذل الجهود لتحقيق منهج الله وإعلاء

كلمته في الأرض، فإنهم يكونون ضائعين وسط المجتمعات المادية المخالفة لأمر الله، والمتطاولة على وحيه بل يكونون مطاردين إذا حاولوا القيام أو التلطف بما يخالف آراء حكام هذه المجتمعات، حتى تكون عقيدتهم مجرد اسم مكنون في الضمير أو مزعوم، كما تريده الماسونية اليهودية بمصطلحاتها الخداعة.

وإذا كانوا لا يملكون تحقيق إسلامهم، وهم أفراد ضائعون أو مطاردون وسط المجتمعات المادية الوثنية الجديدة، فما قيمة هذا النوع من المسلمين نسبيًا أو دوليًا؟ ومن هنا يحتم الإسلام على أهله إقامة مجتمع يهيم عليه شرع الله، ويحرم عليهم تملق الكفار أو مشابهمهم، فضلاً عن التميع معهم، ويوجب عليهم التعاون فيما بينهم والتفاف بعضهم إلى بعض، مهما بعدت الشقة، وأن يقاطعوا من سواهم ممن لا يسألهم على عقيدتهم مسالة صحيحة.

الرابع والثمانون بعد المائة: العابد لله حقًا والضارع إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ صدقًا يشق طريقه نحو تنفيذ أوامر الله، صادقًا بالحق، لا يبالي بما يقف في وجهه من تصورات المجتمع وعقائدهم المخالفة لوحي الله، ولا يبالي بما يقف في وجهه من الأوضاع والأنظمة والعصبيات والأطماع، ساعيًا إلى تصحيح كل ذلك.

وبهذا التصميم القوي الصادق تتكون فئة تقوم بحكم الله، وقمع من ينازعه، فيرتفع الإسلام عاليًا بصدق النية، وبذل الجهود في إعلاء كلمة الله، كما حصل ذلك من السلف الصالح الذين أصروا على إزالة ما يخالف دين الله، دون مبالاة بما يسند الباطل من قوى الشر كلها، لقوة اعتقادهم بأن الباطل لا يجول إلا عند سكوت أهل الحق عنه، فإذا صالوا عليه فإنه يكون

زهوقًا.

ولو قال قائل في ذلك الزمان: إن هذا الدين سيصارع ما أمامه من القوى الهائلة، ويتنصر عليها في ثلث قرن من السنين تقريبًا؛ لسخر منه السامعون، ولكن هذا الباطل الهائل القوي سرعان ما انهار أمام أهل الحق بسلاحهم الضعيف الذي تؤيده قوة السماء المستمطرة من الله بصدق قلوبهم معه، وإخلاص أعمالهم له، ومحبتهم إياه، كما هي سنة الله الدائمة التي لا تتبدل بل تتكرر كلما سلك الناس صراطه المستقيم، واتبعوا رضوانه ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

الخامس والثمانون بعد المائة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهي رصيد الفطرة المستمد من كنز (لا إله إلا الله) الفطرة التي لا تعرف إلها إلا الله، والتي من رجع إليها بعقله الفطري السالم من المؤثرات عرف الإله الحق بخصائصه وصفاته، فامتنع أن يعبد أحدًا من الناس بتاتا، وشمخ برأسه إلى عبادة الواحد القاهر، وحينئذ يقف الجميع رافعي رءوسهم أمام بعضهم البعض، فيا له من توجيه سماوي من رحمن رحيم، يقي عباده شرور الامتيازات الطبقية، والعناصر الدموية، والتفرقة الجنسية التي بسببها يفرض كلُّ لنفسه حقوقًا ومميزات دون غيره.

فقد كانت هذه موجودة عند العرب لا سيما في قريش التي تسمى نفسها (الحمس)، وكان المجتمع الإيراني أفظع حالة؛ لأنه مؤسس على اعتبار النسب والحرف، فكان بين طبقاته فوارق عظيمة جدًا لا يكاد يتصورها إلا من عرف التاريخ، حتى كانت الأكاسرة عندهم كالآلهة، والأغنياء كالقديسين، ومع هذا فالإقليم الهندي أفظع منهم وأبشع في نظام الطبقات الذي لا يزال باقيا

حتى الآن، ففيهم كثرة كثرة يسمون بالمنبوذين لا يعاملون إلا معاملة البهائم. وهكذا كل بلد، حتى الولايات الأمريكية التي هي قلة الماديين في هذا الزمان بالعلم والحرية والتمدن، عندهم من التفريق العنصري ما تأباه النفوس السليمة، ولن ينقذ الأمم سوى تقيدهم بهذه الآية وانطباعهم بها، ليظهر مجتمعهم من الملوثات الجاهلية، المتمثلة في التفرقة القائمة على اختلاف الدماء والأجناس والأوطان، وفي الإخضاع والطبقية وأكل السحت والربا. فتحقيق العمل بمقتضيات هذه الآية الكريمة استجابة لله وسير على فطرته ووحيه الذي يجعل كرامة الإنسان مستمدة من إنسانيته، وطواعيته لله، ويحصر ميزة الإنسان على الإنسان بتقوى الله، وشكر نعمه بحسن التصرف فيها، وفق مرضاته ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فليست كرامة الإنسان مستمدة من لون أو وطن أو عرض آخر، كمنصب أو ثروة وغيرها من الأعراض الزائلة، بل قد تبعده عن الكرامة الحقيقية إذا طغى بها، وأبعده عن طاعة الله.

وإنما كانت الميزة بالتقوى؛ لأنها تجعل صاحبها فاضلاً بحسن سلوكه، وقوة صموده في الحق، ورباطة جأشه، وصولته لحماية الدين، فبدونها لا ميزة لأحد على أحد حتى الحكام والأمراء، فقد علمتهم عبودية الله أن ليس لهم حقوق شخصية زائدة على غيرهم، ونكتفي هنا بقول الصديق الخليفة الأول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني وليت أمركم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، وأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. وبالحادثة المشهورة للقبطي مع ابن عمرو بن العاص.

ولا يتمثل نبذ العصبية والامتيازات الأخرى في أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

فهم الذين منحوا الكرامة الإنسانية لجميع بني الإنسان، بعد أن كانت وقفًا على طبقات معينة، أو بيوت معينة، وجعلوا قوة علاقتهم بالله من محبته، والسعي في مرضاته، هي التي تقيم له الوزن في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

السادس والثمانون بعد المائة: الصادق بضراعه إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا بد له أن يكون حارسًا أمينًا على نفسه ومجتمعه، من الانفلات والانصياع عن مقتضياتها؛ لأن الذي لا يتمسك بمقتضياتها، ولا يستقيم على ذلك، لا يكون محلقةً إلى سماء العزة وحسن القوامة، بل يهبط من تلك القمة السامقة إلى أسفل أو إلى أسفل سافلين، ولا يتمكن من مواصلة وثبته، والسير كسير أسلافه، بل يهبط على حسب انصياعه مع الهوى والشهوات، ومن هبط بنفسه لا يرجى منه الارتفاع بغيره.

ومن هنا حصل الضعف والتخلف بالمسلمين لعدم قوة إخلاصهم لله، وصدقهم معه بهذه الضراعة التي يكررونها في كل ركعة من ركعات صلاتهم، ولو كمل فيهم الإخلاص، وقوي صدقهم مع الله؛ لأعادوا سيرة أسلافهم الأولى، وجددوا الزحف المقدس الذي قاموا به، ولكنهم فقدوا التذوق الصحيح لحلاوة الإيمان التي تذوقها أسلافهم، ففقدوا العزة الصحيحة، والمسلم لا ييأس من عودة هذا التذوق وجني ثماره الطيبة، بحول الله وقوته.

السابع والثمانون بعد المائة: بتحقيق عبادة الله في سائر ميادين الحياة تتحقق للإنسانية الحضارة الصحيحة، التي ينال الإنسان بها حرите وكرامته، ويسلم فيها من شرور الحضارة الصناعية التي قلبت حقيقته، وجعلته كالحيوان بل كالألة، وحرمة من الحياة الطيبة والتقدم الصحيح، وصرعته بالأفكار الفاسدة التي أبعدته عن معرفة طبيعته الحقيقية؛ لأنها تولدت من خيالات

الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم التي صاحبها حاجات في صدورهم، مما جعل الإنسانية تنحط في تفكيرها وأخلاقها انحطاطاً يندر عودتها إلى الوحشية والهمجية.

بل حصل بعض ذلك بسبب ما صاحب العلم الصناعي من الغزو الفكري المغرض، الذي يركز فيه كل طاغوت مقاصده، وكل ملحد مفاصده يتوخون في ذلك العدا لوصيم العقيدة الإسلامية، والأخلاق الدينية، فيعملون على إبعاد عناصرهما عن العلم المادي، خلاف ما توجبه عبودية الله من تكييف كل شيء بروح الدين والعقيدة والأخلاق، بل قامت الحضارة الصناعية في هذه الأزمنة على روح العدا لكل ما جاء من عند الله، وما يمدهم به وحيه من المعرفة الحقيقية بهذا الكون، ومهمة الإنسان فيه، زد على ذلك طغيان فتحه وجماله الذي بهر العقول حتى خبطها.

وإلا فالعلم الخالص من ذلك لا يجلب ضرراً مباشراً محضاً، فليفهم ذلك جيداً، وليعلم أن تطاول الحضارة الصناعية على ألوهية الله وافتئاتها على وحيه يجلب عليها عقوباته القدرية المتنوعة، التي لا تحيط بها العقول، وحتماً أن سنة الله الكونية لا تدع المعتدي عليها بلا عقوبة، وها نحن نراهم يتخبطون في بعضها أو في مبادئها ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] ولا نجاه لهم منها إلا بعودتهم إلى عبودية الله بصدق وإخلاص لا يشوبها تطفيف.

الثامن والثمانون بعد المائة: بتحقيق الإنسان لعبودية الله يتحرر من المذاهب المادية ومن طغيان المادة، ويكون دين الله سيداً عليها، مسيراً لها وفق مرضاة الله، لا يهملها شأن الرهينة المعطلة للحياة، ولا يجعلها نداً من دون

اللَّهِ كما تريده النظريات العصرية المرتكزة على الطرائق الماسونية اليهودية .
فإن المتقدين بعبادة الله حسب وحيه لديهم إحساس بالواجب أمام الله ،
يجاهدون لتحقيق إرادته ؛ لأن إيمانهم يمنحهم القوة والفضيلة ، ويمدهم بنور
بصيرة يجعلهم لا يبنون ليومهم فقط ، بل لسائر الدهر ، ولا يعملون لأنفسهم
فقط ، بل لجميع البشر .

فالمجتمع الذي يتكون على هذا الأساس يكون له أحسن النتائج في كافة
نواحي الحياة ، ولهذا صار الإسلام أمياً بريئاً من النزعات العنصرية ، وأهله
الصادقون بريئون من الأنانية .

التاسع والثمانون بعد المائة: تعليم الله لعباده الضراعة إليه ب ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إعلام صريح بوجود الصلة بين الإيمان والعمل ،
وأنه لا يستقيم الإيمان بالله ، ولا تصح دعواه إلا بتحقيق مقتضيات عبوديته ،
التي هي العمل بطاعته ، وتنفيذ شريعته ، وإخلاص القصد لوجهه الكريم ،
والانشغال بمرضاته ، والعمل المتواصل لنصرة دينه ، والدفع به إلى الأمام
بجميع القوى المطلوبة ، ليرتفع بدين الله عن الصورة إلى الحقيقة ، وأن المسلم
لا يجوز له الإخلال بذلك ، ولا لحظة واحدة .

وإن الدعوات لمجرد إيمان خالٍ من العمل هي إفك وخداع وتلبيس ، بل
هي من دس اليهود على أيدي الجهمية ، وفروعها من المرجئة كالماسونية
وغيرهم ، إذ متى انفصمت الصلة بين الإيمان والعمل ، فلن نستطيع أن نبني
قوة روحية نقدر على نشرها والدفع بمدىها في أنحاء المعمورة ، بل إذا انفصمت
الصلة بين الإيمان والعمل فقد المسلم قوته الروحية ، وصار وجوده مهدداً
بالخطر ، الذي يزيل شخصيته أو يذيبها في بوتقة غيره ؛ لأنه لا يستطيع أن

ينمي قوة روحية يصمد بها أمام أعدائه، فضلاً عن أن يزحف بها عليهم. فدعوى فصل الدين عن الدولة، وحصر عقيدته في الضمير، إنما هي دعوى باطلة من مكر اليهود وأعدائهم، الذين كسبتهم الماسونية كسباً رخيصاً، والعياذ بالله، فالذي لا يعمل لله في جميع مجالات الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها، ليس عابداً لله، بل هو عابد للهُوى، ومتخذ له آلهة شتى، في كل ميدان، فليحذر المسلم من الانخداع، وليعلم أن الله لم يخلقه ليكون منتجاً مادياً كالحيوان، وإنما خلقه ليكون ربانياً محققاً لعبودية الله في كل المجالات المهيمنة على شتى أوجه النشاط الإنساني.

والدين الذي اختاره الله ليس مجرد عقيدة صورية محصورة في الضمير، منعزلة عن واقع الحياة، كلا، إذا فمن الذي يسير واقع الناس، ويؤسس لهم النظم الأخلاقية والثقافية والتربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها؟ هل النظريات اليهودية تسير واقع الناس، من داروينية، وفرويدية، وماركسية، وديمقراطية، ونحوها؟

طبعاً إذا أقصي الدين عن شئون الحياة، وعطلت أحكام الله في القرآن عنها؛ حل محلها نظريات اليهود وأفراخهم، ولم يبق معهم من الدين إلا مجرد الانتساب، الذي هو كالصورة، وما أعظم الفرق بين الحقيقة والصورة!!
تالله إن الكفر بجميع أنواعه لم يهزم من الإسلام إلا صورته، أما الحقيقة فلو اصطدم بها لتحطم في الآخرين، كما تحطم في الأولين، واليهودية العالمية منذ عصور لم تسقط إلا الصور التي عملت على إبرازها، ذلك أن أكبر صورة يعبث بها الطفل يقدر على إسقاطها، أما الحقيقة فعملاقة.

التسعون بعد المائة: عبودية الله لا تعطل عقل الإنسان من التفكير في

الماديات وتسخيرها واستثمارها، كما أسلفنا بعض الحكمة في موهبة الإنسان لها من الله، بل عبودية الله الحقّة تدفع المسلم المؤمن إلى ذلك، ولكن تحت قيادتها، فعبادة الله هي التي تحفظ النمو والحركة المادية، وتحوطهما بالسياج الواقى من الهوى والتهور، والخبط في المتاهات، وتحفظهما من النكسة والانحدار داخل إطار الفطرة الإلهية، بوضع المنهج المقوم لهما عن الميل الذي يجعلهما يصطدمان بطبيعة الإنسان ومقوماته الروحية بلا كبت ولا تحطيم.

ففي تحقيق العبودية في ذلك وقاية للإنسان من الغزو بالفتح العلمي، الذي يفقده الاستقامة ويرديه في التيه والضلال؛ لأن الحضارة الصناعية التي لا تحاط بعبودية الله تحطم أهم ما في الإنسان من مقوماته الإنسانية، وإن أدت له في الظاهر كثيرًا من وسائل الراحة والتسهيلات الرائعة، التي قد تكون مؤذية لكيانه المادي ذاته، كما قرره المحققون من كُتّاب هذا الزمان.

فعبودية الله تهدي إلى المسلك الوسط الصحيح بلا بخر ولا مبالغة، وتجعل السيطرة للروح المؤمنة على جميع الماديات، ولا تجعل الإنسان يستعبده ما يصنعه.

قضية القلب والروح، لا قضية الأسماء والشارات:

هذا الإرشاد من الله لعباده في صدق الابتهاال إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه تركيز عظيم لقاعدة الدين الأساسية، التي هي إعلان العبودية لله وحده، بقبول جميع أوامره وتشريعاته، ورفض كل ما عداها حمدًا وشكرًا له على إيجاده وتربيته له بالنعم، وحبًا له على ذلك، وطمعًا في دوام رحمته العاجلة والآجلة، وشوقًا إلى لقائه في يوم الدين، وخوفًا من غضبه وعقابه، دون أي نظر في كنه العبادة أو سهولتها أو حكمتها أو صلاحيتها الظاهرة على

الموجود من عادات البشر، وتقاليدهم السائدة، وإنما هو استسلام عن رضا مطلق خال من جميع المرغبات العاجلة فيه، ومشبع برغبة ناشئة مما قدمناه، ومنبثقة من الإخلاص لله، والتحرر من سلطان غيره.

فهي عبودية قلب خالص لله، سليم مما سواه، لا تبالي برفض ما حرمه الله مهما كان مألوفًا أو لذيذاً، ولا تحجم عن تنفيذ ما أمره الله به مهما كان شاقاً أو مكروهاً، عبودية لا يبالي صاحبها بما حوله من المعرضين والمتهكمين، الساخرين والغاصبين الناقمين، وإنما هو مستعين بالله في مواجهتهم ومراغمتهم، والقيام بضمهم إلى صفه، طوعاً أو كرهاً، وفرض سلطان الله عليهم وحكمه وهم صاغرون، عبودية كاملة تركزت على هذه القاعدة التي استعذبت بها الجهاد، وخاطبت رسوله بها بما يسره، فلقد قال سعد بن معاذ أحد زعماء الأنصار رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: (اطعن حيث شئت، وصل جبل من شئت، واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، أعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسير معك، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك)^(١).

هذا منطق أهل العقيدة الصادقين مع الله، الحامدين الشاكرين لله، المخلصين في تألهم لله دون سواه، والجاعلين لرسوله صلى الله عليه وسلم الأولوية على أنفسهم ومحوباتهم، والحاصرين التبعية له فقط من غير نظر في العاقبة، أو

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٣/٧)، رق (٣٦٦٦٠) من طريق محمد بن عمرو الليثي عن جده بمثله. وأخرجه البخاري (٣٩٥٢) من حديث ابن مسعود مختصراً.

تطلع لمنفعة عاجلة، وإنما بدافع الحب وطلب رضا المحبوب الأكبر - سبحانه -، والثقة بوعدده والشوق إلى جنته، مؤثرين هذا على ما دونه، ولو التفتوا إلى الحياة التي يتشدد بها الماديون، خصوصًا في هذا العصر، لتساءلوا عن الحكمة في الأمر، والنتيجة العاجلة المرتبة عليه، ولكن العقيدة الإسلامية التي انحشت في قلوبهم وتشربت بها لا تعرف الترغيبات المادية والتفصيلات الفكرية، وإنما تعرف إخلاص القلوب وخلصها لله، واستسلامها لقبول أوامره، والوقوف عند حدوده، ورفض ما سواها أيًا كان.

وفرق عظيم بين تعبيد الله لعباده في سورة الفاتحة، وبين خيالات بعض المسلمين الذين يدفعهم حماسهم للدين، ورغبتهم في قبول دعوته إلى عرض جمال الإسلام، وبيان حكمة تشريعاته، وفضلها على غيرها من الأنظمة، حتى اضطرتهم هذه الخطة إلى نسبة كل شيء مستحدث للإسلام، ففي الوقت الذي طغت فيه كلمة (الديمقراطية) على ألسنة الماديين وكثر تشدقهم بها، رأينا من يسمي الإسلام (ديمقراطيًا) و(دين الديمقراطية) وفي الوقت الذي طغت فيه القومية والتشدد بها رأينا أيضًا من يكتب عن قومية الإسلام، بل من يسمي محمدًا ﷺ برسول القومية مستشهدًا بما يضحك منه العقلاء، ثم في الوقت الذي طغى فيه ما يسمى بـ (الاشتراكية) العوبة الشيوعية الماركسية رأينا من يسميها اشتراكية الإسلام، بل يصف الدين بأنه اشتراكي، وإن نبيه نبي الاشتراكية، ويحرف الآيات ويقلب الحقائق في سبيل ذلك.

وهذا النوع ليس كلهم من يتزلف للحكام ويبيع دينه بثمن عاجل، وإنما فيهم مع الأسف من هو حسن النية، يريد تحبيب الإسلام، وأنه دين التطور، وأن الإسلام أعلى من أن يكون العوبة لذوي الأهواء والنظريات، حتى بلغت

بعضهم المحاكاة إلى تسمية الإسلام (ثورة) والناس لا يجذبهم إلى الإسلام تسميته بهذه المسميات الجديدة التي لا يتعشقها ولا يعتنقها إلا البطل الملحد، أو الانتهازي المغرض أو الجاهل المغرور، الذي يتبع كل ناعق، وهؤلاء وإن تعشقوا هذه الألقاب والمبادئ، فإنهم لا يسيرون ولا ينفذون من مقتضياتها ومشتقاتها إلا ما يوافق أهواءهم، ومتطلبات شهواتهم، مهما أسبغ عليها اسم الإسلام، أو أكثر الكتاب المنهزمون من التفهيق بها، وربطها بالإسلام.

فإن القضية لا تكمن وراء تغيير الأسماء وتطويرها، ولا وراء تجديد مذهب مادي أو عقيدة أرضية نفعية، مقصورة على نواح اقتصادية أو اجتماعية، يتلاعب من ورائها الساسة المغرضون، بالمجموعات الكبيرة من البشرية كالقطعان، وإنما القضية قضية تطهير للقلب وتحرير للروح من جميع بضائع المعتقدات الأرضية والأغراض النفسية والشهوات الحيوانية، وخلع جميع العلائق الأرضية، وحصر للاتصال بالسماء فقط، ورفض كامل لما عداه واستعلاء شامخ عنه.

وهذا أمر شاق على نفوس البشر الأمارة بالسوء، والنفوس اللوامة كثيرة التقلب والتلون، وبسببه حصلت العداوة بين الرسل وأممها من أقدم العصور، وبسببه شرعت الحدود ووجب قتال المخالف، أرأيت إذا هم سمووا الإسلام ديمقراطيًا، هل يتحول سيرهم إلى سيرة الرسول وخلفائه الراشدين، وتكون الأنظمة الديمقراطية التي سموها منبثقة من وحي الله الذي هو روح الإسلام، أو تكون مستقاة من أنظمة (أوربا، وأمريكا) وعول عليها ونحوهما؟

الواقع هو الشيء الأخير، وإذن فما فائدة التسمية؟ وإذا هم سمووا الإسلام قوميًا، ومحمدًا ﷺ رسول القومية، وصلاح الدين ونحوه رائدها، فهل هم

يقتدون بسنة محمد ﷺ، ويترسمون خطأ خلفائه من أمراء المؤمنين، ويقتبسون أصول القومية السياسية، وفروعها التشريعية من مشكاة النبوة؟ أو على عكس ذلك أصول قوميتهم مقتبسة من الماسونية وتعليمات (نابليون، وزويمر، ولورنس، ودنلوب) وغيرهم ممن يفضلون الكافر العربي في كل معاملة على المسلم غير العربي، ويناصرون العرب النصارى والشيوعيين على المسلمين، ويشرعون الأحكام المرخصة للأعراض، المفسدة للأخلاق محاكاة للغربيين، بدعوى المدنية والحضارة والتطور والتقدم؟

إذا كان الواقع هو الشيء الأخير فما فائدة تسمية القومية وزعمها للإسلام ونسبة نبي الإسلام إليها؟ وإذا هم سموها الاشتراكية بالإسلام، ونسبوها إليه وإلى نبيه ﷺ، فهل هم اقتبسوا ميثاقها الوطني، وأصولها وأنظمتها من مدلول ميثاق الله، وأصول دينه وفروعه، وربطوا سيرهم فيها بالله ورسوله، ولم يتخطوا حدوده التي شرعها أصلاً وفرعاً؟! أو هم على العكس، اقتبسوا ميثاقهم الوطني من الميثاق الشيوعي الذي وضعه (لينين) أحد الطواغيت كما هو واضح لدى المقارنة، ونقضوا ميثاق الله برفض تشريعاته على لسان رسوله ﷺ، ومعاداتهم المسلمين ورميهم بالرجعية، وإباحتهم لكل ما حرمه الله، وإسقاط عقوبة الله عن مرتكبه، ورفضهم إعلان الجهاد على اليهود باسم الإسلام، وعدم جعل قضيتهم مع اليهود في فلسطين قضية إسلامية، يستنفر لها جميع الأمم المسلمة في الأرض، بل حصرهم لها بأنها حرب بين العرب والصهاينة فقط.

إذا كان واقعهم هو الشيء الأخير بمجموعه، فما فائدة تسمية الاشتراكية بالإسلام؟ وما فائدة تسمية نبي الإسلام بنبي الاشتراكية، إذا كانت أنظمتها

تتلقى من غيره، بل من أخبث أعدائه؟ وكيف يخادعون الله والذين آمنوا وينخدع بهم المسلمون فيحاول بعضهم تقريب الإسلام منهم، وبعضهم يتمادى في جعله ديمقراطيًا، أو تمشيًا مع القومية، أو يعمل على بلشفتته وهو يسمع من قادتهم العسكريين أو السياسيين أو المفكرين أن الدين قد استنفد أغراضه، وانقضى دوره، وبعضهم يقول: إن الدين كان نتيجة الجهل والخوف والعماية عن حقائق الكون فيما مضى، والآن طغى عليه العلم وأصبح مكانه، أي: فليعبد ما يسمى بالعلم، وبعضهم يذهب إلى أوقح من هذا فيقول: إن الله خرافة والأديان وما يسمى بالكتب المقدسة هي من تلقين العجائز. وبعضهم يقول: ما فيه إله، إنما الإله فكرة متطورة.

وليت شعري كم دماغ يحل فيه الإله إذا كان فكرة متطورة؟ أفي دماغ كل مفكر: في أي قطر وإقليم ومقاطعة وبلد وقرية وريف ومدينة وجهة؟ أم في فكر كل رئيس منتخب أو متسلط؟ وفي كل الاحتمالات تكون آلهة كثيرة في أدمغة متعددة، وأقطار متباينة، فليذهب كل إله (دجال) بما تسلط عليه، أو استحوذ عليه من البشر، ولا يحق لسواه من الآلهة منازعته أو مناقشته، يا للجهالة في قوم!!، ويا للعار في آخرين!!، كيف ينزلون بالإسلام إلى مستوى من هذه عقيدته أو هذه طريقته؟ ألا تكفيهم كلمات يلوكها أكثر القوم وهي: (إن الدين لا يساير العصر ولا يصلح للسياسة، إنه علاقة بين الإنسان وربّه في المسجد فقط أو الكنيسة؟).

وهل خفي على هؤلاء موقف العصرين من الدين، وزعمهم أنه سبب التخلف والجمود، ورميهم لأهله بالعظائم؟ فإذا ما جدوى تسميتهم لمبادئ هؤلاء ومذاهبهم بالإسلام، أو تقرب الإسلام منها، أو زعم أنها لا تخالف

الإسلام؟ وما فائدة صرف الوقت وبذل الجهود بالخوض في حكمة تشريعات الإسلام وصلاحيتها للعصر؟ إن الذي يناقش في ذلك أو يشك فيه ليس أهلاً للدخول فيه، وليس صالحاً للانتساب إليه.

إن الإسلام ليس تابعاً لأحد، ولا يجيز لأهله التملق والمداهنة، وإنه لا يصلح لدين الله، ولا يستقيم على عبوديته الصحيحة المطلوبة، إلا الذي يعرف معنى الألوهية لله، ومعنى الملكية لله، فيعامله معاملة الإله والملك دون ريب أو استفهام، بل على وفق ما ذكرناه في هذا الوجه والوجه التي قبله، والقلوب من أشد الأوعية وأقواها تأثيراً وحساسية، وقد قرر العقلاء قاعدة لا تقبل الجدل أبداً وهي أن قبول الوعاء لما يوضع فيه، وصلاحيته لما يوضع فيه مشروطان بتفريغهما وتنقيتهما من ضده.

فمثلاً الإناء الذي فيه ملح أو ممتلئ بالملح لا يكون فيه قابلية أو صلاحية لوضع السكر، حتى يفرغ منه الملح وينقى من رواسبه، ثم يصلح لوضع السكر ونحوه، وهكذا فالقلوب شأنها أعظم وأعظم، ولا تصلح مستقرًا لحب الله وتعظيمه، وخشيته ومراقبته، ومحبة نبيه ﷺ وتعظيمه، حتى تفرغ وتخلص وتطهر من محبة غيره، من كافة الأغراض والمحجوبات والشهوات، ومن تعظيم غيره، والخشية من غيره، والتطلع إلى غير رضاه، فإذا خلصت وطهرت حصل استسلام أهلها وحسن انقيادهم لله، وكملت طواعيتهم له، وصاروا لا يرجون غيره، ولا يخافون سواه من أي قوة، وكان سلطانه هو المسيطر على النفوس، والمسير للحركات، والمفجر للطاقات، ووجدت الروحانية محل المادية اليهودية الخبيثة بدون عناء، وصار انزياح صاحب القلب الزكي الطاهر عن المعاصي بدافع الخوف من الله، ومراقبته من ضمير حي

يخشى من غضب الله الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا يترك تسجيله وإحصاؤه مثقال ذرة، بخلاف ضمير المادي الذي لا يراقب غير القانون الأرضي، فإنه يعرف طرق التهرب منه كما هو مشاهد محسوس. إن الدين الإسلامي يطلب من أهله تحقيق الألوهية بكاملها، من غير شقاق ولا منازعة، بحيث يجعلون الحكم على أنفسهم وعلى غيرهم لله الملك الحاكم المشرع، دون بحث أو استثناء؛ لأنه هو العليم الحكيم، فيعتقدون أصلاً أن حكمه وتشريعته أصلح وأنفع وأتقى وأروع في جميع العصور والأحوال، فعلى العلماء أن يكتبوا لمن يحمل اسم الإسلام ويخاطبهم على هذا الأصل الأصيل؛ لأن من استقر في قلبه مدلول سورة الفاتحة وعامل الله بمقتضاها، كان مسلماً عابداً لله حقاً متبعاً لكتابه وسنة رسوله ﷺ حقاً، لا يتبع شيئاً من أهواء الناس ولا يصغي إلى زخارف قولهم، فإن الله سلطهم بذلك ﴿وَلِنَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

المجتمع في حاجة إلى القوة:

العابد لله حسبما تقتضيه هذه الآية من مدلول الشهادتين لا يلتقي أبداً مع أصحاب المذاهب المادية، والمبادئ الأرضية ونحوها من ذوي الشعارات الحزبية، بأي شأن ولا رأي ولا مصلحة، ولا يتدسس معهم أو يقرب الإسلام إليهم باسم العدالة الاجتماعية في الإسلام، ونحوها من أوضاع السياسة والاقتصاد؛ لأن الإسلام أولاً: أسمى وأعلى من ذلك، وثانياً: لا تكون خطته مقبولة عند أي أحد من الماديين، إلا على حساب الإسلام ورفعة ما يريده هو من دون الإسلام، فيصبح عمله خدمة لخصمه لا لدينه.

ولكن العابد لله حقًا يخاطبهم بما خاطب نبيه محمد ﷺ أهل الجاهلية في زمنه؛ لأن هؤلاء من ورثتهم، يلتقون معهم في عبادة الهوى وتحكيمه، وإن اختلفوا في الصورة، وعبودية الله سبحانه مغايرة لجميع صور الحياة الجاهلية قديمًا وحديثًا، فلا يجوز لعباد الله مجاملتهم أبدًا، بل يصدعون بوحى الله، منددين بما هم عليه من عبادة أسماء جديدة ما أنزل الله بها من سلطان، أحلوها محل اسم اللات والعزى، وعباد الله حقًا، الدافعون برسالته، المستعينون به صدقًا، لا يتحدثون عن دينهم بصفة يقدمونه بها لعباد الهوى، كأنه مناسب لذوقهم، صالح لعصرهم، كأنهم يدفعون عنه التهمة، فيقابلون كل نظرية جاهلية تعشقها عباد الأهواء من الشرق والغرب بقولهم عنها: إن الإسلام قد سبق إليها منذ ١٤ قرنًا.

فإن هذه المعالجات لا تمد الإسلام ولا تنفع لرد الشاردين عنه إليه مهما تعلق هؤلاء الشاردون بقسوة التشريعات الإسلامية، أو عدم إخراجها للناس بصيغة مواد تنظيمية وأساليب عصرية، كأنهم لا يبصرون قسوة النظم الثورية الماركسية، وما تفرع منها، ولا القسوة الوحشية في التمييز العنصري الذي يجري في قبلتهم الحضارية (أمريكا) أو كأنه لا يمنعهم من الاحتكام إلى الله ورسوله إلا انعدام من يبرز لهم شريعة الله بالأسلوب الذي يريدون، كلام، وإنما هي تعليقات للاستهلاك المحلي بشتى أنواع الدجل والنفاق الذي يستبقون به استعبادهم للبشر، وفرض سلطانهم عليهم من دون الله.

فأهل الجاهلية في جميع أدوارهم يخادعون عباد الله، ويشغبون معهم في الفروع، والقضية في حقيقتها ليست في الفروع، وإنما هي في الأصول، بل أصل الأصول الذي يبدل التصورات والمشاعر، ثم تتبدل التشريعات الفرعية

بتغير التصورات وانبثاقها من تأليه الله، لا تأليه البشر على البشر، ومن معاملة الله معاملة الملك المشرع المطاع المقبولة تشريعاته بدون جدل أو تردد، أو شك أو تخرج، فأهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الحقيقة دأبهم ووظيفتهم لله في الارض هو أن يخرجوا الناس من عبادة بعضهم لبعض، وتقديس بعضهم لبعض، وخنوع بعضهم لبعض، إلى عبادة الله وحده، بتعظيمه وحده، ومحبة الصادقة التي تجعلهم لا يحبون أي شيء في الحياة إلا من أجله ولو كان أقرب قريب وأعز عزيز، وتجعلهم يخشونه فقط دون سواه، فلا تخيفهم أي قوة.

وهناك ينحصر تلقيهم لجميع أنواع السلوك من وحي ربهم في النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فيتغير واقعهم جذرياً بتكيفهم الجديد بالإسلام، وتصوراتهم المنبثقة من التوحيد الخالص: توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد الصفات، فهذا المنهج الذي يجب سلوكه على عباد الله وفق مدلول شعارهم العظيم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقوة العبودية الصادقة السائرة على الملة الإبراهيمية المحمدية الصافية هي قوة عتيدة تعمل في كل الأزمات وتصمد في أسوأ الظروف، وشرارتها - وإن خمدت - فإنها لا تنطفئ؛ لأنها من الحق وفي الحق، وتستمد قوتها من إله الخلق مؤيد الحق، فما يعوزها إلا القوم الذين لا تهمهم مظاهر الحياة، ولا يرهبون من الموت، بل يحرصون عليه كي توهب لهم الحياة الطيبة بنوعيتها في الدنيا والآخرة، أو بالشهادة التي فيها مزيد الدرجات في الآخرة.

إن الله العليم الحكيم ﷻ وضع لعباده المؤمنين هذا الشعار العظيم وحصر تحركهم على مدلوله، وأوجب عليهم تحقيق مقتضياته بكل صدق وقوة؛ لأنه

يعلم أن المسلم المؤمن بالله يجد تحديات عصرية قريبة منه أو بعيدة - وأكثرها قريبة - لا مجاورة له من جاهلية أقرانه ومعاصريه، فإذا لم يقابلها بشخصية مسلمة متحررة من جميع ملابساتها، مستقلة في نظريتها وعملها، حاصرة استمدادها من وحي ربها فإنها لا بد أن تتفاعل معها بدافع التأثر، فتعيش بالضرورة على نسق حياتها المعاصرة، فتنشأ هوة بين اعتقاده الديني وسلوكه الحياتي، كما تنشأ هوة أخرى بينه وبين طبقات جنسه المنهزمين في نفسيتهم وتفكيرهم والساعين للتحفظ، وهم مصابون بشيء أو أشياء من ذلك، فيتزعزع الكيان المسلم بهذه الحالات، لا سيما مع الدجل الماسوني الذي جلبته الثقافة الأجنبية، والذي نقل الخصومة بين المسلمين، فجعل المنهزم منهم يعيب على المتحفظ، وجعل المنحرف إلى الإلحاد - من حيث يشعر أولاً يشعر - حرباً على آباءه وإخوانه، يعتبرهم متخلفين جناة على الوطن؛ لأنه من عباد المادة والطين.

ولا بد من انطلاقة الشخصية الإسلامية متحررة مما تقدم، وذلك لا يكون إلا بحركة روحية صحيحة منبعثة من حب الله وتعظيمه وحب المصطفى ﷺ وتعظيمه بكل صدق وإخلاص، وقوة يتحقق بها مدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا يكفي لتحرير قلب الإنسان وعقله قوته المادية، ولا تفوقه العسكري، ولا تحصيل الاستقلال السياسي لأرضه بقوته أو بما يقضيه الله له من المناصرين، حسب سنته من دفع الناس بعضهم ببعض.

كل هذا لا يكفي ولا يحصل به الاستقلال الفكري الصحيح أبداً، ولا الحياة الروحية الطيبة الصحيحة؛ لأن العقل الخالي من روح الله لا بد له من التخليط حسب المؤثرات المادية من أنواع الغزو الفكري، والتقليدي البيغاوي، ولأن

القوة المادية الخالية من روح الله مهما قويت لا بد من أن تتعثر وتتأثر بما أمامها من القوى الأخرى، وإما بفكر أصحابها أو بالانضباع بقوتهم، وأيضاً فإن القوة المادية الخالية من العقيدة الروحية، مهما قويت وتطورت حضارتها، فإنها تعيش لفترة ثم تدبل ويطنغى عليها غيرها حتى تموت، وهكذا يعيش البشر في دوامة الشقاء والتجارب الفاشلة، كلا أو بعضاً بخلاف القوة والحضارة التي لها روافد من العقيدة الروحية الصحيحة، فإنها وإن ركدت لأسباب عارضة من الإخلال بالعقيدة لا تموت، بل تركد حتى يقوم المعوج، فتنهض أقوى ما كانت.

ولا بد إذاً من القوة الروحية التي لا تحصل إلا بتحقيق عبودية الله بطاعة أوامره، والوقوف عند حدوده، ومتابعة رسوله في جميع نواحي الحياة، مما تقوم به دعائم المجتمع على أحسن أساس وأكمل نظام، ويحصل به التمييز على أعدائه، فينال مدد الله وحصانته التي لا يغلبها غالب، وبدون ذلك يعود الإنسان إلى المادية، فيكون هلوغاً قلقاً خائفاً مذعوراً تحييه المادة حياة بهيمية، وتميته كذلك؛ لأن من نسي الله نسيه فأعماه عن مصالحه الحقيقية، وهذا ما تريده اليهودية العالمية من تربيتها الحديثة للناس بالمفاهيم المادية الجاهلية الجديدة، لتجعلهم يتقلبون في المفاسد والثورات التي قسمتها في (بروتوكولاتها) إلى ثورات عميان وغيرهم.

في صدق الضراعة من عباد الله إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انقياد كامل لطاعته في جميع أمره وتشريعاته، ووقوف تام عند حدوده ثقة بحكمته في تسيير أمورهم، إلى حياة طيبة فاضلة بدون البحث في ذلك عن طريق العقل والفروض العلمية المضطربة، ذلك أن العقل ليس هو الأداة

الكافية الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها، فضلاً عن حلها حلاً كاملاً بمفرده؛ لأن النفس تدخل في عالم الغيب، الذي لا يخضع لحواس البشر؛ لكونها قاصرة الإدراك مهما تفننت، ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق والسلوك، يحتاج إلى معرفة العلة الأولى والهدف الأخير، ولا يمكن للبشر معرفتهما مهما أوتوا من العلم المادي، كما أنهم لا يعلمون آخر نتيجة الشيء الذي يبدو ضرره أو تبدو منفعته، عاجل الأمر بالنظر المادي، إذ يمكن أن يكون الضار في بدايته نافعا في عاقبته، وهو بغض مهروب منه.

ويكون النافع في مظهره وبدايته ضارا تكمن فيه أنواع الشرور، سواء قرب زمان ذلك أو كان بعيدا، فالعجلة الإنسانية تعمي كثيرا، لا سيما وقد أثبتت التجربة العملية - التي يتبححون بها - عجز الحواس البشرية مهما حصلت على المكبرات والمجهرات، واستخدمت أنواع الآلات، ولذلك قال تعالى:

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

هذا وإن عبودية الله لا تمنع أهلها من النظر في ملكوت السموات والأرض، ومواصلة البحوث العلمية في الميادين النفسية والآفاقية، بل تدعوهم إلى ذلك بشرط تقييده بعالم الغيب وإيقافه عند حدود الله، حتى لا يعتسفوا الطريق فيتعرضوا للضلال، وتبديد الطاقات واتساع رقعة الخلاف بدلا من لها وتضييقها، فمعبودهم - جل جلاله - لا يريد منهم تعطيل العقل، وإنما يريد منهم حفظه بإطار حدوده عن التخبط في المزالق والتردي في الهاوية، فالدين للعقل كالقواعد للفقهاء والحكام، لا تقيده سلطتهم

بالكلية، ولكن تضبطها عن الظلم والجموح.

وإننا نرى الذين لا يصيخون إلى صوت الدين ويتجاهلون حق الله في حياتهم، ولا يقيمون لآياته وزناً لابتعادهم عن عبودية الله، قد استعبدتهم أعداء الله وأعداؤهم شياطين الإنس من الشرق والغرب، فاستوردوا منهم قواعد التربية والأخلاق والسلوك، وقدموا الظنون والأوهام والحدس والخيالات العلمية على وحي الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] فكانوا خلفاً لمن أخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١] ولكل قوم وارث.

فدين الله يجمع الناس على كل القيم الخيرة والمثل العليا ويوحدتهم على ذلك، أما الذي أحدثته الماسونية اليهودية من اسم علم النفس والاجتماع، وحدس العلوم الأخرى، فإن فيه تفريقاً وتمزيقاً لوحدتهم، وتشكيكاً في قيمهم ونسفاً لعقيدتهم الأصيلة، ومن ثم لم يستطع واحد منهم أن يجمعهم على مذهبه، بعد أن فرقهم، بل لم يستطع واحد منهم أن يقدم البرهان الحاسم على صدق مذهبه، حتى ماج بعض أتباعهم في بعض، وبغى بعضهم على بعض، وأصبح علمهم المادي أداة فرقة وفساد وانحلال، وصار كل مجرم يجد سنداً له في تبرير جرائمه من ميادين علم النفس المزعوم، الذي يقلب الحقائق، فيسمي ما نص عليه الدين فضيلة بالنقص، أو عدم النضوج ونحو ذلك من أنواع التسفيه، ويدعو إلى تعطيل حدود الله التي هي رحمة بالجاني والمجني عليه وبالمجتمع، تؤدب الجاني وتهذب نفسه، أو تقتص منه في الدنيا، ليكون كفارة

له من عذاب الآخرة، وتشفي صدر المجني عليه بأخذ حقه، فلا يبقى في قلبه عليه شيء ولا على أسرته، وتطهر المجتمع من آثار الجريمة وتستأصل جذورها منه، فتهدب الأمن في الحياة، ولا حياة بدون أمن.

هذه الحدود - حدود الله العليم الحكيم - يسميها أفراخ اليهود وتلاميذهم أحكامًا وحشية قاسية، لقد جعلوا الله ليس رحمنًا ولا رحيمًا ولا عليمًا ولا حكيمًا، وطواغيت علم النفس من (فرويد) اليهودي وأشكاله، وتلاميذهم من المحسوبين على الإسلام أعلم وأحكم وأرحم من الله، فأبي إلحاد في أسماء الله أعظم من هذا؟!!!

تالله إن مبتكرات هؤلاء الطواغيت جعلت تلاميذهم - الذين تولوا وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وقصص وتمثيلات - يهدمون العقيدة والأخلاق بالتصاوير الخلية والقصص والتمثيلات الماجنة، أو المحرصة على الجريمة، ونشرهم في الإذاعات والتلفزيون للراقصات والمغنيات، وأحاديث الحب، وتأوهات المجرمين والمغرمات، وتماوت المتهاكين والمتهالكات، وما أحدثوه من تفكيك الأسر، وفرضهم لأنفسهم سلطة قامعة لسلطة الوالدين بتنفيذ تصرفاتهما وتصويرهما أمام أبنائهما بالرجعيين المتزمتين الجامدين، اللذين يجب رفض قولهما، ونبد تربيتهما والسخط عليهما، والتمرد على تعاليمهما وإغراء الفتيات على طرح الحياء، ونبد الحشمة، وإظهار لحومهن، وعرض مفاتنهن مما غدت به الفتاة كسلعة مبتذلة، لا كإنسانة مصونة مكرمة، إلى غير ذلك من القشور والسفاسف التي هي من الثمار الحنظلية لوشي شياطين.

وإذا أقصي دين الله عن ميدان التربية، وصار سلوك الناس ليس تابعًا لعبودية الله، ولا نابغًا منها؛ تفاوت سلوكهم، واختلفت مفاهيمهم وقيمهم

بحسب معادتهم، وما يحصل لبعضهم من الغنى المطغي أو الفقر المنسي، أو الامتياز العلمي أو السياسي، وصار لهم تصورات جديدة من أحد المعسكرين اليهوديين الرأسمالي أو الشيوعي أو كليهما، فاستبدل لب ن وحي الله الصافي بالقيح والدم والصدید، ولا طريقة للناس بعده سوى هذين ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

بقاء الدول المادية الكبرى موقوف على تخلي المسلمين عن القيادة وعدم حملهم للرسالة:

من المؤسف أن كثيراً من الناس يرى أن القوة هي الحصول على العدة الضخمة من العتاد الحربي، أو كثرة الصناعات التي تغمر الأسواق، أو ثروة المحاصيل الأرضية من منتوجات أو معادن، فهذا هو قياسهم، ويرون أن الذي يحصل على ذلك هو القوي الغالب، الذي لا يصرع، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك، فإن الدول والأمم لا تسود بالحديد والنار، ولا تملو بالمال والصنائع، إلا على أشكالها من الماديين، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

وإنما السؤدد الصحيح والقوة التي لا تغلب، تكون بالخلق الصالح المتين، بالتماسك الذي يجمع أهله ويشد بعضهم إلى بعض في هدف رباني سماوي، وذلك لا يكون إلا بالدين الصحيح الخالص الصادق، الذي تتجلى فيه عبودية الله بمعانيها ومبانيها، فإنه هو الذي يجمع أهله على التوادد والتراحم، ويجعل بعضهم يعطف على بعض، ويشد بعضهم إلى بعض، ويقيهم مما طبعت عليه النفوس من الشح والهوى، ويمنع عنهم عناصر الفرقة، من حمل رسالته وقمع المفترى عليه، وتوزيع أنوار هدايته، والزحف بدينه المقدس ذات اليمين وذات

الشمال، فيفجر طاقاتهم في ذلك، ويجعلهم يبذلون النفس والنفيس، ويتعشقون الشهادة في سبيل الله، فيكون حرصهم على الموت أشد من حرص أعدائهم على الحياة.

ثم بصدق نياتهم مع الله، وإخلاصها لله، وطهارة جوارحهم وصلاح أعمالهم، يستمطرون رحمة الله بمدد السماء وحصانته، التي لا يغلبها غالب أبداً، وهذه الحقيقة لا يفهمها إلا حملة الرسالة، وقليل من المؤرخين ذوي الفكر الصريح المستقل، أما كثير من الناس فإنه تبهره ضخامة الدول المادية، وينضبع بها ولا يهضم كلامنا؛ لأنه لم يحمل ما حمله أصحاب العقيدة، ولم يمتلئ قلبه من تعظيم الله بدلاً من تعظيم المادة، فتعظيمه للمادة جعله يستصغر دينه، ويكفر بذاته أمامهم، ولا يثق بربه أولاً ثم بنفسه ثانياً؛ لأنه نسي الله فأنساه الله نفسه، ولو رجع إلى أسلافه الصحابة وجددهم على قلتهم وضعفهم المادي، صالوا صولة الأسود على أضخم دول الأرض في كثرة العدد وقوة العدة الحربية، ووفرة المال والكنوز، فحطموها دون أن يستعينوا ببعضها على الآخر، أو يتملقوا لبعضها ضد بعض، بل صالوا على الجميع في وقت واحد بقوتهم الروحية المستمدة من السماء لا من الأرض، وكذلك القلة القليلة بمادتها التي غزت (أسبانيا والبرتغال) والمغرب الأقصى وما وراءه، لو كانت نظرتها كنظرة المسلمين المعاصرين والمحسوبين على الإسلام - نظرة مادية - لما فكرت في غزو هذه الأمم، ولكنها غزتهم بالنظرة الروحية والقوة الروحية التي لا يصمد أمامها الماديون، والتاريخ يقرر أن الدول الكبيرة لا تضم ولا تذوي ولا تنكمش، ولكنها تنهار كما ينهار عمود الخشب الضخم، الذي نخر السوس لبه، فبهذا المثل انهارت الدول الكبرى أمام

ضعفاء المسلمين في المادة، فمفاسد الأخلاق، والانغماس في الترف، والتمادي في الأنانية، هو الذي يجعل صورهم كالأشباح لا حقيقة تحتها، قشور لا لب فيها، وهذه الدول التي أجلبت على الناس وبهرت عقولهم بقواها المادية الضخمة، بقاؤها موقوف على انعدام من يحمل الرسالة ويعيد الزحف الإسلامي المقدس الخالص لوجه الله، ذلك الزحف الذي يقذف الله أمامه الرعب في قلوب أعدائه مسافة شهر، فيجعلهم يستسلمون دون استخدام قوتهم، تالله إن جولة الماديين في الأرض كجولة الجرذان في موقع خالٍ ممن يفترسها.

إذا خلا الجو للجرذان في وطن استأسدت لا تبالي بالقرايع

إن اليهودية العالمية تعلم أنه لا مرتع لها إلا في التربية المادية، والأفكار الإلحادية التي صاغتها على أيدي (دارون، وفرويد، وماركس، وانجلز، وتروتسكي) وغيرهم من ملاحدة الوجودية؛ ليكون سير المعسكرين الشرقي والغربي في صالحها وتكون هي الفائزة مهما انتصر أحدهما على الآخر؛ لأنهما أبنائها قد تغذوا بلبانها، وهي التي تسيروهم وفق ما تريد، وتوقفهم عندما تريد، وهي المحرك الوحيد لهم بوساطة عملائها الذين يقعون خلف (الكواليس) وما الحكام والرؤساء البارزون إلا كواجهات لهم يدفعون بها كيف شاءوا.

ولم تبقى هذه الأوضاع سائرة على مخطط (اليهود)، ولن تبقى إلا باستمرار الناس على إعراضهم عن عبادة الله بالمعنى الصحيح، فما داموا هكذا فسيقون مستخرين لجميع أنواع الوجود، وأرقاء للمتحكمين فيه ممن وصفناهم، أما في الوقت الذي يراجعون فيه دينهم أو يقوم فيهم شعب - فضلا عن أمة - يرفع

لواء الإسلام ويعيد سيرته الأولى، فإن جميع ما أمامه لا يستحق أكثر من وصف الجرذان، ولا يهولنك أيها القارئ مظاهرهم وتضخم قوتهم المادية، فإنها لا تتجاوز الأشباح الصورية أمام الحقيقة النبوية، والقرآن يقص على أتباعه خبر الناكلين عن دخول القرية ونصيحة الرجلين المسلمين لهم ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ولم يبق أهل القرية على جبروتهم وخطرستهم المادية إلا بسبب موقف الجبن ومعصية الله من مقابلتهم الذين ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وموقف المنتصبين على القيادات الإسلامية أمام الصور اليهودية، وحديدها قريب من هذا الموقف إن لم يكن أتعس منه، فعسى الله أن ينور بصائرهم ويبعث قيادة تجدد مجدنا وتعيد تاريخنا، فإنه لا يخيف اليهود سوى ذاك ولا يقمعهم غيره، وما ذلك على الله بعزيز، واعتبر بالثورات التي يقوم بها نكرات، فينجحون ضد من تحميه الدول الكبرى؛ لأن المغامرة تحول مجرى السياسة، ولكن الثورات يأكل بعضها بعضاً، وتشقى بجحيمها الشعوب؛ لكونها تسير وفق المخطط المادي اليهودي، فما بالك بانتفاضة إسلامية يؤيدها الله ويحفظها من كيد أعدائها؟ إنه في الوقت الذي يقبض الله للعالم انتفاضة إسلامية سالمة من الأنانية، خالصة المقصد لوجهه الكريم، ترى العجب العجاب، ولكن لا يرفع النفوس من هاوية السقوط التي أوقعها اليهودية فيه إلا تحقيق عبودية الله وفق طريقة نبيه ﷺ.

اختيار الله لعباده هذا الشعار العظيم المبارك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليتدرعوا به وينحصر عملهم وإخلاصهم له وتدوم صلتهم معه،

فينجون من عار الإباق وعظيم عقوبته وسوء نتائجه وآثاره؛ لأن الإنسان لا يكون عبدًا لله المستحق العبودية إلا إذا كان ملازمًا له، قائمًا بطاعته في جميع أمره ونهيه، فإنه يكون بذلك مخلصًا صادقًا وفيًا، مع اقتران هذه بالمحبة والتعظيم والتشرف والتسليم والاعتراف بفضل الله عليه، والتقصير منه في جانب مولاه، وإذا نقصت طاعته لله واختل امثاله، كان عاصيًا بحسب ذلك وتتضخم معصيته على قدر كبرها أو الإصرار عليها، فيكون عبدًا لله تارة وعبدًا للهوى تارة، وبذلك يكون فيه هروب عن الله الرحمن الرحيم إلى عدوة الشيطان الرجيم بسبب نفسه الأمانة بالسوء، الجانحة للشهوات العاجلة القاتلة.

وإذا كانت المخالفة والمعصية مذمومة من الإنسان لإنسان مثله ممن يرتبط فيه بحكم أو وظيفة، فكيف بمخالفته لربه مالك الملك؟ وإذا كان الجندي الهارب من سيده خائنًا مذمومًا مستحقًا للعقوبة؛ لأنه هرب من مربيه الذي علمه وأبرزه على غيره، فكيف بمن هرب عن الله الذي رباه بجميع النعم، وبوأه المرتع في ملكه، ويتخوض في نعمه؟ لا شك أن خيانتة أعظم، وجريمته أفظع، وعقوبته أشد.

إنه حرام عليه وعار عليه أن يلتفت إلى غير الله، أو يتلذذ بغير ذكر الله، أو يتغنى بغير كلام الله، أو يخضع لغير عظمة الله، ممن سرقوا الجاه والسلطان في الأرض، حرام - والله - عليه، وعار عليه أن يلتمس نورًا من غير نور الله، أو يسلك غير صراط الله الذي ارتضاه له، حرام عليه ونقص في عقله أن يطمع في خير من دون الله، أو يثق أو يطمئن إلى وعد غيره، أو يخلط خدمة الله بخدمة غيره، أو يدنس نفسه بطاعة غيره.

حرام وعار وشنار على من حل بأرض الله ورتع في ضيافته أن يحب غيره، أو يعظم غيره، أو يطيع غيره فيما لا يرضاه، حرام وعار على من سكن حرم الله أن يتعرض لمحارمه، حرام عليه وعار عليه أن يحب أعداءه أو يبغض أوليائه أو يخذلهم ويوالي أعداءهم، حرام عليه ونقص في عقله أن يتعرض لسخطه.

حرام عليه وخيانة منه ألا يغار لدينه، ولا يغضب من أجله، أو لا يتفانى في سبيله، حرام عليه وعار عليه أن يشغل قلبه بغير الله، أو يحرك شيئاً من جوارحه لغير الله، وأفزع من هذا وأشد عاراً من يستعمل نعم الله المتنوعة أو بعضها في معصيته، إنه لو لم يكن هناك جنة ولا نار في الآخرة ولا عقوبات شرعية أو قدرية على هذه الأمور في الدنيا، لكانت عاراً وحرماً، ونقصاً في العقل، وخيانة في المعاملة، وإباقاً عن مالك الملك الحق، فكيف وعلى ذلك يترتب الجزاء الدنيوي والأخروي؟

لهذا ضراعة عباد الله المؤمنين إليه بهذه الآية الكريمة اختيار منه لهم، فمن لم يحققها بصدق العلم كان أبقاً هارباً، وإذا كان إباق العبد من سيده المخلوق كبيرة من كبائر الذنوب، فكيف بالإباق من السيد الأكبر والمالك الأكبر، قال البيهوشي في نظم الكبائر:

كذلك الأبق من العبيد إذ هو كفر جاء في الوعيد
 وأي عبد مات في إباقه لا بد في العقبي من احتراقه
 ذا في إباق العبد ممن خُلِقَا فكيف الإباق ممن خُلِقَا؟
 حتام عبد الله في الإباق والبعد عن سيدك الخلاق

إلام تلهو في المعاصي وتني عن أمره ومعظم العمر فني
 حسبك ما ضاع من الأزمان في اللّهُو والإباق والذفان
 فعد إلى مولاك بالمتاب وناد بالذل على الأعتاب
 يا رب قد شبت ولست أرحم شبيبي فارحمه فأنت أرحم

حاجة الإنسانية إلى تحقيق عبودية الله أعظم من كل حاجة:

تحقيق المسلمين للقيام بمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو الذي
 يضبط المعالم الصادقة، والاتجاه الصحيح، عن الانزلاق في متاهة المعالم
 الكاذبة، والشعارات الزائفة، التي تجعلهم تبعاً لغيرهم، فيسندون كل ثورة،
 ويؤيدون كل زعيم، وينخدعون بكل دجال ماكر، فتصبح نتيجة جهادهم،
 وثمار بذلهم وكفاحهم، غنيمة باردة لأعداء الله وأعدائهم من عملاء
 المعسكرين الكافرين، خدام اليهود، كما حصل عليهم في هذا العصر، الذي
 كانوا فيه هم الطليعة في البذل والجهاد، فلم يظفروا بالقيادة التي يتسنى لهم
 بها إقامة الحكم الإسلامي وتجديد العصر بأنواره، بل لما انحسر الكافر المحتل
 عن بلادهم، افترس الحكم أفراخ له قد هياهم لهذا الأمر بشتى الأحابيل،
 يحملون أشنع الضغائن على المسلمين، ويبالغون في قتلهم وتعذيبهم
 وتشريدهم، والتشهير بهم، وإلصاق كل تهمة كاذبة بهم.

كل هذا بسبب التربية الماسونية المخالفة لوحي الله، والمناقضة لعبوديته، مما
 جعل أبناءهم ومواطنيهم يتقمصون الشعارات اليهودية الكافرة، المصطبغة
 بالألقاب المادية، وتفترس القيادة من المسلمين، فينعكس الأمر إلى ما حصل.
 ولكن بتحقيق المسلمين لمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يسدون

عليهم الطرق والمنافذ، فيظفرون بنيل ثمرات بذلهم وجهادهم، ويعيدون حكم الإسلام الذي يريح البشرية، ويصون دماءها، ويحفظ كرامتها، ويقمع كل أفاك أثيم، وجبار عنيد، بخلاف ما هم عليه الآن، مما جعلهم يدفعون الثمن الغالي بالأموال والدماء، ويكون قطف الثمار لأهل الجاهلية الجديدة والوثنية الجديدة، لعدم مراعاتهم مدلول هذه الآية، وإعطائها حقها الكامل، من النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فلو رعوها حق رعايتها، كما يطلب الله منهم في القرآن، لما حصل عليهم ما حصل، وإنما حصل عليهم ذلك بسبب تطفيفهم مع الله، ومعاملتهم له كما يريدون، لا كما يطلبه منهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

إن من الظلم والبخس للإنسانية حصر المعالم والاتجاهات في قومية أو وطنية تحصر كل فريق منها بحدود وسدود، وعرق ولون، وتجعل كل فريق يتعصب لمذهب أو زعيم، ويعادي ما سواه، بل يطمع في خيرات غيره، خدمة لوطنه وثروته القومية، وما إلى ذلك من المنتحلات الماسونية، التي أبعدهم عن عبودية الله الصحيحة، إلى عبادة المادة والأشخاص، فصاروا يتقلبون في الثورات الفاتكة التي جعلتهم كالقطعان المسوقة، بدلاً من هداية العالم كله، وقيادته بحكم الله في أوسع نطاق، وأفسح مجال، وأقوى صمود، وأرحم حكم، وأرفع تربية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إن الاتجاهات البشرية إلى الأهواء - وخصوصاً بشعاراتها الحديثة المنبثقة من اليهود وأتباعها - غير واضحة المعالم، مهما أظهر أصحابها من المظاهر والتفسيرات، ولذا نراهم لا يقفون عند غاية، ولا يثبتون على تفسير، فلا ضابط لمعالم الإنسانية، ولا واعي لها من تخبطها في متاهة أولئك إلا اتجاهها

لتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بمدلولها الذي يطلبه الله .
تحقيق عبودية الله وحصر الارتباط والتعلق به دون ما سواه يحصل به راحة
البشرية، وأمنها وسلامتها من القلق والاضطراب الموجب للثورات، التي
صار منها في كثير من البلدان حمات للدم، وفتك وبطش وإهدار للكرامة
بشتى التهم الكاذبة، والأغراض الانتهازية، حتى من إخوانهم وأبنائهم،
بسبب عدم التربية الدينية التي ينطعون فيها بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ .

فإن حاجة الإنسانية إلى ذلك أشد من الطعام والشراب والدواء الحسي؛
لأنها هي الغذاء المعنوي والدواء الروحي، الواقى من جميع الشرور والمآسي،
وهي التي تربي الروح وتنميها أعظم من تنمية الجسم والعقل بالطعام الحسي،
والعلم المادي، فلا تنهذب الطباع وتنصقل الأرواح وتكتمل إلا بما اختاره الله
لها من معرفته، والأنس بحبه، ولذة طاعته وذكره، ورجاء ما عنده سُبْحَانَ اللَّهِ،
فتسلم من جميع الشرور والأزمات .

الصادق مع الله بتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا يضره كيد
الكائدين ولا مكر الماكرين ولا يقدر أن يفرط عليه أي جبار عنيد أو يطغى؛
لأن الله سُبْحَانَ اللَّهِ يحيطه بمهابة تلجم أفواه الطغاة وتزلزل قلوبهم؛ فلا يقدر أن يبدأ
على تنفيذ ما يتوعدون به، أو يهتمون به، من نيل عباد الله، بأي سوء، مهما
أوتوا من البطش والعظمة والقوة، ينسيهم الله أعمالها ويفتت معنوياتهم
 ويفقدتهم قوة التنفيذ، بل يخرسهم على الأمر به ويحبط مكرهم، مهما بلغوا من
الكيد والتفكير .

ولذا قص الله على عباده في كتابه الكريم - بعدما وجههم لحسن السير إليه

بهذه الأمة في عدة سور منه - قصص عدد من المؤمنين، الذين انهارت قوة الطغاة أمامهم ، وهم أفراد ضعفاء إلا من الإيمان، كالنبي هود عليه السلام أمام قومه ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] فتحداهم وهو فرد، مع زعمهم أن أصنامهم التي يعبدونها قد أصابته بسوء، وقال لهم: ﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] لا تمهلوني ولا لحظة واحدة، هاتوا ما عندكم من الكيد والعقوبة بكل سرعة فإني لا أبالي بكم جميعاً أنتم وآلهتكم.

فانظر أيها القارئ والسامع إلى ما وهبه الله عباده الصادقين الصالحين من القوة المعنوية، وما أحاطهم به من الحصانة الخفية، التي لا يغلبها غالب، كيف وقف هذا العبد الفرد بين الأمة العظيمة القوية هذا الموقف الذي أشهد به الله أولاً على براءته من دينهم، ومما هم عليه، وجاهرهم بمخالفته وبالبراءة من آلهتهم التي يعادون عليها، ويوالون ويتفانون في نصرتها، ثم أعلن استهانته بهم واحتقاره لهم وازدراءه لقوتهم، وتحداهم أن يجتمعوا كلهم على كيدهِ وشفاء غيظهم منه بكل عجلة دون إمهال، وهو ثابت وحده بلا جزع ولا فزع من قوة ثقته بالله، وجزمه بنصره.

فموقفه يتضمن إعلانه بقوته عليهم، وأنهم أعجز وأضعف من أن ينالوا منه شيئاً، ثم يقرر دعوته أوضح تقرير وأحسن، مبيناً لهم أن الله ربه وربهم، وأنه متوكل عليه فقط، لا على غيره، وأن نواصيهم ونواصي جميع الخلائق بيده، فيقول: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] فالذي هو آخذ بنواصي العباد قادر على نصر أوليائه وأهل طاعته مهما ضعفوا ضعفاً حسيّاً، يجبرهم بقوة معنوية، وحصانة

سماوية، ويشل حركة أعدائه، ويكفيهم عن عباده الصادقين، ويجعلهم لا ينتفعون بقوتهم مهما كثرت وعظمت.

وكونه على صراط مستقيم يقتضي انتقامه ممن خرج عنه، وعمل بخلافه ونصرة من سلك نهجه، ولو كان فردًا واحدًا على أكبر عدد وأقواه، وقد ينتقم ممن يزعم الإسلام وهو مخالف له بمن هو كافر، ليظهر دينه من المنافقين، ويمحص بذلك قلوب المؤمنين، وينشئ لدينه من ينصره فيديل دولة الكفر به حسب حكمته في كونه، وقد أجراه كثيرًا في عدة عصور، والله غالب على أمره.

وقد نصر الله إبراهيم أعظم نصر لم يعرف له التاريخ مثيلاً، وكرر الله علينا قصة موسى مع فرعون، لما فيها من عظيم العبرة، فموسى الذي خرج من فرعون هاربًا يترقب، يرجع إليه رسولاً نذيرًا يخاطبه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] ويدخل عليه مع هارون بسلطان من الله الذي قال له: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥] فيصمدان أمام طغيانه وبارزانه بالقوة المعنوية من رب العالمين، وكذلك مؤمن آل فرعون الذي خاطبه بدون مبالاة.

وقد أرانا الله من نصرة المؤمنين، بعد مبعث محمد ﷺ في زمنه وبعد زمنه ما هو عبرة للناظرين، وتأيدته سبحانه لأهل بدر ومن على شاكلتهم من هذا النوع، وخذلانه لمن خرج عن طاعته، أو فضّل الدنيا على الآخرة تأديبًا.

فالله ﷻ أرشد بني الإنسان إلى ما يحييهم حياة طيبة سعيدة من تحقيق عبادته، ويقىهم بها من شرور شياطين الجن والإنس حفظًا ونصرًا، وإلى

الصدق في حصر الاستعانة به، والتوكل عليه، مع الأخذ بالأسباب التي هي من كمال التوكل والعبادة؛ لأن ذلك هو طريق تسديده وتأيدته ونصره، الذي لا يقدر أحد على مجابهته.

فأهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أهل القوة والمنعة والعزة والزحف، الذي لا يوقف في وجهه، وهم أهل التكبير الصادق المرجف لقلوب الأعداء، والمزلزل لحصونهم، وهم الذين يتحدون غيرهم، ولا يقدر غيرهم على تحديهم مهما قلوا.

ولم تستعل الدول المادية في هذه الأزمنة إلا على الذين يتولون بعضهم ويعتمدون عليها، هذا يعتمد على الدولة الفلانية، وهذا على الدولة الأخرى، وفريق يعتمد على القبر الفلاني، وفريق على مجاورة فلان أو على سكنى البلد المقدس عنده، أو على جوار حرم الله، وهو متلبس بمعاصيه غير محقق لعبوديته على الوجه المطلوب، بل هو مشابه للذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

أما في كل وقت يقبض الله به قومًا يحبهم ويحبونه بالمعنى الصحيح، ويعبدونه بالمعنى الصحيح، ويجاهدون في سبيله، لا يخافون لومة لائم، ويأخذون بالأسباب غير متعلقين بها، ولا معتمدين عليها، بل هم معتمدون على الله، متعلقون به، جازمون أن الله مولاهم، قاصرون ولايتهم عليه، نعم المولى ونعم النصير، لا يستنصرون بغيره أبدًا، فإنه يتحقق لهم ما قلناه من التأيد والنصر والتمكين، كما وعدهم به الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

إن القرآن الكريم يشمخ برءوسنا في عالم السياسة إلى أسمى مدارج

الكمال، وهو وحده الذي يرفع رءوس أهله ويهيب بهم، ألا يستعينوا بغيرهم في دفع أي عادية، أو ردع أي عدو، أو قمع أي ظالم، أو إخراج أي متعصب، بل يعتمدوا على الله، ثم على أنفسهم بعد الأخذ بالأسباب، وإعداد القوة الموجبة عليهم في قتال كل باغٍ وظالم مستعينين بالله وحده، بنية خالصة، وألسنة صادقة لإعلاء كلمته، وبجوارح طاهرة من معصيته، وقلوب محشوة بمحبته وتعظيمه، سليمة من محبة ما يبغضه، وموالة من يعاديه.

وبذلك ينالون مدده وحصانته ونصره على أعدائهم مهما كانوا، كما أجرى سنته بذلك، حيث قال في أوليائه: ﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بَدِيلًا ﴿[الفتح: ٢٢، ٢٣].

بتحقيق عبودية الله وفق مدلول هذه الآية يتحقق كيان المسلمين بين الأمم ويكون لهم هدف صحيح ناجح نصب أعينهم، يفرضونه على من سواهم، وتكون حركاتهم منوطة به، وإنفاقهم المال في سبيل نصرته، والزحف به لوجه الله، ولا ريب أن من ليس له هدف في الحياة يفقد كيانه بين الأمم، ويكون عولاً عليهم أو على بعضهم.

ولذا أرشد الله عباده المؤمنين إلى هذا الهدف السامي الذي يبرزون فيه بين الأمم، ويتفوقون عليهم، ويتميزون منهم، بالطموح والشموخ عن كل خوف أو تقليد؛ لأن الله العليم الحكيم خط لهم الخطة الروحية بصراطه المستقيم بين سائر أهل الأرض، من الماديين عباد الأشخاص، وعباد الشهوات، وعباد الهوى والدرهم والدينار.

وأصحاب المبادئ العصبية والمادية عباد الفرد، أصحاب العواطف

والتصفيق، الذين تميل بهم الأهواء والشهوات إلى تقديس هذا تارة، وإلى لعنة ذلك تارة والولوع بغيره، وتجعلهم الأنانية يعيشون في دوامة من التقلبات، ويدورون في حلقة مفرغة من التجارب المخفقة، ويشقى معهم من يدور في فلکهم بالتقليد الأعمى.

فوضع الله صراط السلامة لعباده المؤمنين من شقاوة هؤلاء وحظوظهم الدنيئة، وارتفع بمستواهم إلى هدف رفيع، متسع الأفق، سامي المقاصد، لا يقبل عبادة الفرد ولا خسة الشهوة، ولا خنوع الخوف، ولا استسلام الذل، ولا طمع المادة، ولا عار التقليد، الذي لا يحس به غيرهم.

ذلك أنهم لا يلتقون مع عدوهم بهذا الهدف، ولا يستوردون منه أي نظام أو فكرة، بل جميع أفكارهم وتصوراتهم نابعة من معاني هذا الهدف العظيم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فسلوكهم السياسي والاجتماعي منحصر على مدلول ذلك، ومنهلهم الثقافي منبثق من ينبوعه، وجميع ارتكازاتهم في سائر نواحي الحياة عليه، واتجاهاتهم شاخصة إليه، يعتقدون الكفاية التامة في وحي الله، والنقص والخسران فيما سواه، ويعتبرون غيرهم مفلساً ضالاً كافرين، مستعبداً لغير الله من بعضه البعض، نشوان بسكر الهوى والعماية.

ذلك السكر المعنوي الذي لا تحصل إفاقة أهله من طريقهم، فيسعون لرفع إفلاسهم الأرضي بالتجارة السماوية، وإلى هدايتهم من الكفر والضلال بها، وإلى تحريرهم من عبودية بعضهم لبعض إلى عبودية الله وحده، ويفيقونهم من سكرهم، بحشو قلوبهم بذكر الله وحبه وتعظيمه، مع محبة رسوله ﷺ وتعظيمه، وإنارتها بنور الوحي المطهر للضمائر، والمصلح للأعمال، موجبين على أنفسهم أن يكونوا أهل التصدير للهداية إلى جميع المعمورة، متنزهين عن

الاستيراد من أحد، باذلين في ذلك أقصى مجهودهم، ومرخصين أموالهم وأرواحهم.

هكذا أصحاب الهدف الرباني الصحيح الذي تمليه هذه الآية الكريمة على أهلها، والذي فهمه الصحابة منها والتابعون لهم بإحسان، ممن انحازوا وتميزوا به عن غيرهم، وقطعوا لتحقيقه الفياقي والقفار، وركبوا متون البحار شرقًا وغربًا، وخاطب قائدهم البحر أمامه بما معناه: لو نعلم أن أناسًا وراءك لمخرناك.

بهذا الهدف الصادق نالوا المجد، وصاغوا الأجيال، وصنعوا المعجزات، حتى إذا فترت هممتهم وقف زحفهم، وتسلطت عليهم الأعداء بأنواع الغزو العسكري والفكري.

العقيدة ومظاهرها وآثارها في الحياة:

تحقيق القيام بعبودية الله كما أمر، يقي أهله القائمين به من الهزيمتين الفظيحتين المرديتين الجاعلتين أهلها في مصاف البهائم المسيرة طيلة الحياة، بل أخط من ذلك وأنكى، وهما الهزيمة النفسية والهزيمة الفكرية، فإنهما أخطر وأفظع من كل هزيمة عسكرية، ذلك أن الهزيمة العسكرية تدمي قلوب الرجال، وتذكي فيهم روح النعمة، وتكشف لهم ما في صفوفهم من خليط النفاق، ومرض الجبن والإرجاف، إذا سلمت نفوسهم من سكر الشهوة والهوى، وسلمت عقولهم من مؤثرات الإيهام والتضليل، وقلب الحقائق وفساد التصور الناشئ من الغزو الفكري الذي هو دعامة الحراب اليهودية وأعوانها من شياطين الإنس ودجاجلتها وجلاديتها، ولا تسلم عقولهم من ذلك حتى تظهر من محبة أولئك وتتخلص من تسلطهم الفكري، وهذا لا يكون إلا

بصدقهم في عبادة الله واجتناب الطاغوت بأي صفة من صفاته وحسن قصدهم لوجه الله، وابتعادهم عن حظوظ النفس وشهواتها الظاهرة والخفية، وقد أرشد الله سبحانه صحابة نبيه ﷺ بعدما رباهم في وقعة (أحد) إلى أسباب الهزيمة وعوامل النصر، وجههم إلى ما يصونهم، ويرفعهم عن الهزيمة النفسية والفكرية، وذلك في سورة آل عمران من آية (١٢٩) - (١٦١)، ومن آية (١٦٥ - ١٧٤). تلك الآيات التي ينبغي للمسلم المؤمن أن يتدبرها ويقف عند كل آية منها متأملاً معانيها، وأن يستحضر ما قاله المفسرون قديماً وحديثاً فيها.

إن الله أجرى سنته الكونية على أمور لا تمضي جزافاً يجري فيها عاقبة المكذبين مهما أمهل لهم، ليزدادوا إثماً، ويداول الأيام بين الناس، فيجعل الحرب سجالاتاً كي ينكشف النفاق الذي لا ينكشف لو دام النصر واليسر، ويبتلي عباده لتمحيص سرائرهم وامتحانهم على مدى الصبر في الشدائد ويؤكد استحقاق النصر للمؤمنين الصابرين، والذلة والسحق للكافرين، وبين أن ما يصيب المؤمنين من هزيمة مؤقتة أو تنكيل من أعدائهم إنما هو بسبب مخالفتهم أمر الله ورسوله، حتى لا يحصل الإصرار واللامبالاة، تجد هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: ١٣٧] وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وفي قوله: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنَا أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ

لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنٍ ﴿١٤٥﴾ [آل عمران: ١٤٥] لا يؤجل الموت جبن، ولا تقدمه شجاعة، فالمتدبر لهذه الآيات يجد القرآن يربط ماضي البشرية بحاضرها وحاضرها بماضيها؛ لأن النظام القبلي الذي كان العرب يعيشون في ظله لا يقودهم إلى ربط بعضهم ببعض، فضلاً عن ربطهم بسكان المعمورة قديماً وحديثاً، فهو:

أولاً: ينقلهم من عزلة القبيلة وقصر التفكير إلى رابطة البشرية واتساع الأفق والنظر، ليعتبروا فيما أصاب غيرهم من المخالفين، ويعرفوا أنهم ليسوا بدعاً من الناس، وأنه ليس لهم ميزة عن سواهم، إذا اختل إيمانهم أو ضعف، فإن سنة الله في خلقه لا تتخلف.

ثانياً: يرفع من معنوياتهم ويشمخ برءوسهم فيقول لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: لا يدب فيكم الوهن والضعف بما أصابكم، ولا تحزنوا على ما فاتكم، وأنتم الأعلىون بعقيدتكم التي هي أعلى وأسمى من عقيدة غيركم، فأنتم موصولون بالخالق وبضاعتكم سماوية شريفة، وعدوكم عبد للمخلوق يسيره ببضاعة أرضية خاسرة، وأنتم الهداة لجميع البشر والأوصياء عليهم، وهم الشاردون عن هداية الله، المتبعون لأنواع الطوغيت، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجونه؛ لأن الله وعدكم وراثته الأرض والتمكين فيها، فالعاقبة الحسنة لكم وليست لهم.

ثالثاً: يواسيهم الله ويخفف من آلامهم بقوله: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠] يذكر المسلمين أنهم انتصروا بادئ الأمر وأنكوا عدوهم بالسلاح حتى عصى الرماة أمر الرسول ﷺ الذي هو من

أمر الله، فأراد الله تأديبهم في نهاية المعركة على اختلال إخلاصهم وطمعهم في الغنيمة التي لا يجوز للمجاهد تغليب حبها والانشغال بها عن نكاية الكفار والإثخان بهم لإعلاء كلمة الله، كما أنه - أيضاً - قد أصاب عدوهم قرح في غزوة بدر، فأصبح هناك موازنة وتعادل في حساب الحرب لا يجعل الخسران في كفتكم دون الآخرين.

رابعاً: بين الله الحكمة في هذه التربية لعباده، وهي أن يظهر علمه الأزلي الغيبي في عالم الشهادة بينهم، فيتبين المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من المنافقين المستترين الانتهازيين، فإن الله يعلم بعلم الصنفين، ولكن لا يكشف حقيقتهم إلا الشدة بعد الرخاء، والهزيمة بعد النصر، فذلك الذي يكشف عن خفايا النفوس ويبين معدنها، ولذا قال: ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠) ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

خامساً: مداولة الأيام، بحيث لا يدوم الرخاء، وتتوالى الفتوح دون شدة وانتكاسة، فهي من سنن الله التي لا تتخلف، والمحك الصادق للاختبار على الصبر وثبات الإيمان، فكم من أناس يجولون في الرخاء ويختفون في الشدة، وبالعكس فكم من أناس لا يصلحون إلا في الشدائد، أما الرخاء فيميعهم ويحللهم، فتربية الله لعباده في سنته الكونية تضبط توازنهم في حال الشدة والرخاء، لما يحصل من تهذيب نفوسهم، وحصص اتجاهها إلى الله الذي هو غاية المؤمنين.

سادساً: اختيار الله منهم من يكرمه بالشهادة، ويختصهم لجواره بسببها، تلك الشهادة التي يتطلع إليها المؤمنون غير كارهين للحياة، ولكنهم متشوقون

لجنة عرضها السموات والأرض يزهد فيها سواهم من المنافقين الذين أخبر الله عنهم أنهم ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦].

سابعًا: قضية التمحيص الناشئة من انكشاف حقيقة المؤمنين والمنافقين كما أسلفناه في رابع الإرشادات، فإن بهذا يحصل تمييز الخبيث من الطيب، وفرز المؤمن من المنافق الذي كشفت الأحدث.

ثامنًا: تحقيق ما كانوا يتمنونونه من الموت قبل أن يلقوه؛ لاشتياقهم إلى القتال ورغبتهم في الجنة، ولا تجدي الأمانى دون الصدق في التضحية وحبس النفس على المكروه، إذ بذلك يتحقق الصبر والجهاد، فلا يطلقون الأمانى جزافًا، ولا يندفعون بغير توازن وترو، ويشير إليه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ لَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٢، ١٤٣] والصادق في تمني الموت لا يترك الثغر الذي أوصاه رسول الله ﷺ بالتزامه والمرابطة فيه للطمع في الغنيمة الذي هو مخالف لما تمناه.

تاسعًا: توصيتهم بالصمود على المبدأ والثبات على الإيمان، مهما تأزمت الحالة وتخرج الموقف، بل حتى لو مات قائدهم أو قتل، أيًا كانت شخصيته ذلك القائد من رسول أو تابع له، وقد تضمنت هذه التوصية تأنيبهم على الهلع والجزع الذي أصابهم من ظنهم فقد رسول الله ﷺ لأنه رسول الله كغيره من الرسل السابقين وما كانوا خالدين، فالموت محتم له، ولا يجوز لأتباعه الارتداد من بعده بالنكوص عن مجاهدة الكفار الذي هو من لوازم الإيمان، بل ينبغي أن يزداد غيظهم وحماسهم انتقامًا من أعدائه، وأخذًا بثأره، وثباتًا على تعاليمه،

فإن الإيمان لا يتمثل خارج القلوب في أشخاص تموت، كما هي عقيدة القوميين في الأشخاص الذين تتمثل فيهم قوميتهم ممن يحتكرون لهم الإخلاص والتعظيم، وإنما تبرهن الأعمال الخارجية على صدق وطهارة الضمائر الداخلية، وقد ذكرهم الله بصالحي الأمم قبلهم حيث قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى أن قال: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] محمد ﷺ كغيره من رسل البشر يموتون، ولكن العقيدة باقية ما بقيت السموات والأرض؛ لأنها مرتبطة بالله لا يتخلى عنها إلا الذي قطع صلته بالله، ولا يفضل عليها راحلته أو ماله أو حياته، إلا ضعيف الإيمان، قليل الحب لله.

عاشراً: تصوير الله لهزيمتهم بالارتداد الحسي؛ لأن الذي ساورهم من الإحساس بعدم جدوى القتال حين ظنوا موت الرسول ﷺ يعتبر ارتداداً نفسياً لظنهم انهدام الدين بموته، وهذا مخالف للعقيدة.

الحادي عشر: اقتلاع الله من نفوس المؤمنين الخوف من الموت بإبعاد عوامل الفزع والجزع بتقريره أن لكل نفس أجلاً لن تموت حتى تستوفيه؛ ليستيقنوا أن الأعداء مهما تضخمت أسلحتهم وعظم فتكها لا تقتل أبداً إلا من دنا أجله، وانقطعت لقمته من العيش، وأن الجبن والفرار لا يزيدان في الأجل، والشجاعة والصمود لا ينقصان منه، فما أمامهم إلا اختيار إحدى الحياتين، حياة الدنيا البهيمية تحت ذل الأعداء وإرهاقهم، وضنك المعيشة في الحروب الباردة والكاوية مع الماديين وأشكالهم، أو الحياة الأخرى التي يحصل صاحبها على إحدى الحسينين.

الثاني عشر: تعليم الله لهم ضراعة الأتقياء الأبرار من أتباع الرسل السابقين الذين صمدوا أمام عدوهم، ولم يخافوا غير ذنوبهم التي يحسونها من خشية الله، فيعدونها إسرافًا ويستمطرون مدد الله وحياطته بالاستغفار والدعاء الدائمين لجوءًا إلى القوة الغيبية وعدم اغترار منهم بما عندهم، بل انحصرت حالتهم بقول الله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] فما أبعد الفرق بينهم وبين القوميين الماديين في حربهم مع اليهود حيث لم نسمع منهم سوى الإقسام بعواصمهم وشخصيات زعمائهم ومذاهبهم الماركسية من الأصنام الناطقة، فلم يذكروا الله طرفة عين، حتى جاءهم بأسه على أيدي أراذل خلقه، والله غالب على أمره.

إن الله وصف لنا طريقة الربيين بصفة عامة من أتباع كل نبي، ورسم لنا صورتهم الظاهرية والباطنية، فمن صورتهم الظاهرية أنهم ما ضعفوا وما وهنوا أمام البلايا والكروب وشدة النزال والإثخان في القتال، ولم تلن قناتهم عن الاستمرار في المصابرة والجهاد، ولم يستكينوا فيستسلموا لأعدائهم، بل مثلوا الصورة الحقيقية للذي يدافع عن عقيدة وهدف سماوي، ثم أوضح لنا صورتهم الباطنية في صدق مشاعرهم وأدبهم مع الله وعدم ذهولهم عنه في أخرج المواقف وأشد أنواع الهول، بل عظموا جانبه، وانحصر طلبهم في نيل رضائه، فكانت ضراعتهم إليه - سبحانه - طلبًا للمغفرة بادئ ذي بدء لا طلبًا للنصر، ثم سألوه التثبيت ليربط على قلوبهم ويلهمهم الصبر، حتى كان النصر آخر دعواهم، وهذا هو المثل الأعلى لطهارة القلوب وإخلاصها، والله يطلب من عباده المتقين أن يكونوا على هاتين الصورتين باطنًا وظاهرًا، ولكن التربية

الماسونية اليهودية للقوميين الماديين أبعدهم عن ذلك حتى صاروا من كسبها والعياذ بالله، وقد نال الربيون ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، نالوا النصر والتمكين في الدنيا فوق ما لهم من الدرجات العلى في جنان الخلد من الله المحب للمحسنين، أعطاهم أفضل ما يتمناه السائلون، حيث لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً لصدقهم في العمل وإحسانهم الأدب.

الثالث عشر: تحذير الله لعباده المؤمنين من طاعة الكافرين وأذيانهم من المنافقين المستترين تحذيراً تاماً في كل زمان ومكان، جدده الله بهذه المناسبة؛ لأن كارثة (أحد) صارت مجالاً لدسائس الكفار وأذيانهم، وتخويفهم عاقبة الثبات مع النبي ﷺ، وتصوير مخاوف الجهاد وتهويل شأنه؛ ليزعزعوا نفوسهم، فشدد الله في تحذيرهم، ليدفع معنويتهم، ويصونهم من الهزيمة الروحية والفكرية، وأوضح لهم سوء عاقبة الإصغاء لأقوال الكفار وأذيانهم، وهي مشاركتهم في الكفر والخسران، وحرمانهم مما ناله ويناله الربيون من ربهم، وذلك لأن المصغي إلى أقوال ضده في الدين والوائق برأيهم ومشورتهم يصبح متنازلاً عن عقيدته في أول وهلة، ولا يبقى معه إلا مجرد الاسم وهيكل الصورة، إذ تذوب عقيدته، وتزول حقيقته، إذا تبلورت أفكاره بدجل أعدائه، وهمساتهم المسمومة، فيبقى في هزيمة روحية أخطر من نكبته الحسية، ويظل في انهيار طيلة حياته بما خططت الماسونية لذلك لضعفاء العقيدة أو فاقدتها من الماديين، ولذا يقوي الله - سبحانه - عزائم عباده فيذكرهم أنه هو مولاهم وناصرهم ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانِكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠] ليس لهم مولى راحم سواه ولا نصير جابر غيره، فلا يجوز لهم الاعتماد على غيره ولا التلقي من غير طريق رسوله ﷺ، فالمؤمن الصادق يستغني

بمورد عقيدته الصافي من الله، ويتكيف به دون التفات لما سواه، حتى لا يختلط عقله بزبالات الغش من أعدائه.

الرابع عشر: تجديد الله وعده الصادق لعباده بإبقاء الرعب في قلوب أعدائهم تقوية لمعنويتهم وتثبيتاً ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١] فانصرفوا إلى غيره مما تهواه نفوسهم، فعبدوا الهوى واعتمدوا على أصنام لم يمنحها الله قوة ولم يودع بها نفعاً، وهكذا خلفهم من العصريين الماديين أصحاب النزعات والمذاهب الوطنية والماركسية ممن اتخذوها أرباباً لهم وأصناماً ناطقة.

الخامس عشر: إن الله صدقهم وعده فأجرى لهم النصر بادئ الأمر لما كانوا جميعاً على مقصد واحد حسن، هو إرادة وجه الله، فاستمر القتل بالمشركين حتى أدبروا وتركوا رحالهم غنيمة، ولكن بعدما اختلت مقاصد بعضهم وفضلوا الغنائم على طاعة الرسول ﷺ ابتلاهم الله بمكروه الهزيمة بعد فرح النصر؛ تأديباً لهم وتربية في المستقبل ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ أي: تقتلونهم. ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

السادس عشر: من تربية الله لهم أن أصابهم بغم يملأ صدورهم جزاءً على ما أنزلوا في نفس رسول الله ﷺ من الغم بفرارهم عنه، ليستشعروا شؤم ما فعلوه، فيستصغروا كل ما حصل منهم من أذى وفوات غنيمة ﴿لِيَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

السابع عشر: أنزل الله سكينته في نفوس المؤمنين بإلقاء نعاس يغشاهم أمنة منه تخالج أحاسيسهم وجوارحهم، بخلاف الذين تزعزع إيمانهم، فقد أهتمهم أنفسهم وظلوا في قلق وفزع كشأن من لم يرتبط بعقيدة صحيحة يعرف طريقه على ضوئها، بخلاف المرتبط بالله الراضي بقضائه، وقد صورت الآية (١٠٤/٣) حالة الفريقين.

الثامن عشر: نهي الله وتحذيره للمؤمنين من مشابهة الكفار الذين يحكمون على ما ظهر لهم من الملابس أنها علل وأسباب للموت والقتل والهزيمة، ذلك في آية (١٥٦: ١٥٨) فإن قول الكفرة يكشف عن فساد عقيدتهم وجهلهم بحقيقة الحياة وأحداثها، فهم دائماً في تشاؤم وتطير، أما المؤمن فهو مطمئن بعقيدته إلى ما يجريه الله من الأحداث لاستيقانه أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له أو عليه، فلا يجزع للضراء ويتطير، ولا يزهو بالسراء ويفخر، ولا يخيفه شيء سوى ذنوبه، التي تحول دون رحمة الله، فيؤكد الله لهم أن الموت لا يقدمه الخروج للعدو، بل ولا البروز للقتال، وأنه لا يأتي قبل الأجل الذي حدده الله، ويقول: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ويجبر عما يساورهم من سوء الإحساس أنه زيادة عقوبة ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] وأن رحمته بالمقتولين خير من حياة المنافقين المقطوعين الصلة بالله، وأن الجميع سيحشرون إلى الله فيخسر عنده من بخل عليه بنفسه أو ماله.

التاسع عشر: تعليم الله لنبيه ﷺ الذي رباه على اللين والسماحة أن يعفو عن المخالفين لأمره، والواهنين عن نصرته، وأن يستغفر لهم تأليفاً وجبراً لقلوبهم وتدعيماً لمحبتة في نفوسهم.

العشرون: أمر الله بمشورتهم مع كونه يتولاه ويعلمه ما لا يعلمه، ولكنه تقرير عام لمبدأ الشورى في حكم دين الله، وقد أطلق كيفيتها لعلمه - تعالى - باختلاف الأحوال والبيئات لتكون حسبما يلائم مصلحة المسلمين، وقد أثبتت الوقائع أن اتساعها يحدث الفوضى ويفسح المجال لأعداء الإسلام لشراء الأصوات والضمائر، فلا يبعد أن يكون إيجابها من باب العام الذي أريد به الخصوص.

الحادي والعشرون: تثبيت الله لقلوب المؤمنين وحصر اتجاههم إليه بالقوة في الأخذ بالأسباب والقذف بها، وأنه لا ناصر لهم سواه، فليتوكلوا عليه وحده ويصدقوا معه ويضرعوا إليه، فإنه لا يعطي النصر إلا لمن يستحقه، ولا يهزم إلا من يستحق الهزيمة، وقد ينصر الكافر نكاية بكافر مثله، أو بعصاة المسلمين، أو بالمنافقين المسيطرين عليهم، ثم يقلب نصره للكافر عقوبة عليه إذا استيقظ المغلوب ورجع إلى الله بصدق وإخلاص.

الثاني والعشرون: تأكيد الله لعباده أن الغلول لا يمكن حصوله من نبي أبداً؛ لأن طمع الرماة في الغنيمة وتركهم الثغر الذي أمرهم الرسول ﷺ أن يتمركزوا فيه، سببه خوفهم عدم الإعطاء منها لكونهم لم يشاركوا المقاتلين فيها، لا سيما وقد غشهم بعض المنافقين باختفاء بعض مغنم بدر كعادتهم في دس الكذب، فسمى الله ذلك غلولاً وبرا نبيه وإخوانه منه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١].

الثالث والعشرون: تذكير الله لهم ومنته عليهم بأعظم نعمة وأشرف مكرمة هي بعث نبي الله ﷺ فيهم من أنفسهم خاصة يهديهم من الضلال، ويرتفع بمستواهم الذي هبطت به الوثنية، ويشمخ برءوسهم التي أخضعتها

طواغيتها، فهي نعمة لا يعدلها جميع ما في الدنيا، فعليهم أن يرعوها حق رعايتها بصدق متابعة الرسول ﷺ وأن يكون أحب إليهم وأغلى عليهم من أنفسهم فيجعلونها وقاءً له وفداءً هي وأموالهم وأهلهم في حياته، ولستته بعد مماته.

الرابع والعشرون: تكرير المساواة من الله لهم على ما أصابهم وتوضيحه للسبب بقوله: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فيذكرهم الله أنهم قد أصابوا من عدوهم أضعاف ما أصاب منهم، ولكن طبيعة العدو تجسيم الحقيير من المكاسب وتغطية أعظم الخسائر، فيجب أن يزن المؤمنون مكاسبهم وخسارتهم بالمعيار الصحيح، ويحاسبوا أنفسهم على النقص كما أسلفنا في الوجه الثالث.

الخامس والعشرون: إخبار الله المؤمنين عن المنافقين بأوصافهم لا بأشخاصهم، فهداية القرآن اقتضت ذلك؛ لأن الأوصاف تطرد في كل مناسبة على مر الأزمان، وأنهم هم الذين لما قيل لهم: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧] وهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] يأيها الدعاء إلى القعود عن القتال خشية الموت والمتمادون في إشاعة الإرجاف.

السادس والعشرون: إخبار الله عن حسن المصير والحياة الطيبة عنده للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لإخلاص قصدهم في إعلاء كلمته، وأن حياتهم لا تنقطع بالموت الحسي من قتل وغيره، كما تنقطع حياة الجبناء والمنافقين الباخلين على الله إذا ماتوا على الفراش كالحيوان في مربطه، بل

الجزء من حسن العمل ، فالذين وهبوا أنفسهم لله أبدلهم بحياة لا يعلم مدى طيبها وجمالها إلا هو ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يدحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٦٩ : ١٧١] حياة جديدة كريمة ورزق عند ربهم لا يقدر أحد قدره، وفرح بما نالوه من وعده لا يتصوره متصور، وتطمين لهم على إخوانهم الذين خلفوهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لتقر أعينهم ويكمل نعيمهم فهم يستبشرون بذلك، وقد أخبر الرسول ﷺ عن بعض معاني هذه الحياة التي لا نعلم كنهها بقوله عن شهداء (أحد): «جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة؛ لئلا يزهدوا في الجنة، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم فأنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ﴾ إلى آخر الآيات»^(١). رواه أبو داود ورواه مسلم بأطول من هذا، وبهذا الأمل العظيم قويت معنويات المؤمنين واشتدت رغبتهم في الجهاد حتى توسعت فتوحهم، بخلاف المنطق القومي والبعثي الذي يربي الجنود على خدمة علم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٧) من طريق مسروق عن ابن مسعود مرفوعاً به مطولاً.

وأخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم (٩٧/٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بسنده به مختصراً.

الوطن الذي يحكم بغير ما أنزل الله، ويتبجح البعثيون بأنهم يخلقون عربياً لا يؤمن بالله ورسله ونعيمه وناره - نعوذ بالله - فلأي شيء يموت الجندي ما دام لا يؤمن بالجنة ولا يرجوها، أضحى بنفسه في سبيل أدعياء العروبة والاشتراكية!!

متى يتكامل بناء الإنسانية:

بتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحصل تكامل بناء الإنسانية، فإن الإنسانية لا يبنها نموها المادي الحاصل بالطعام والشراب، ولا (الفيتامينات) المعدة في العقاقير الطبية، بل ولا يشفيها من أمراضها المعنوية تلك الوصفات المادية من طبيب الجسم، وإنما يتكامل بناء الإنسانية بالتوازن الحقيقي للتربية الروحية مع التربية الجسمية والعقلية، بحيث يتبع هذا بهذا على أكمل وجه. وذلك لا يتحقق إلا بتطبيق مدلول هذه الآية الكريمة، فإن الذين شردوا عنها، أو استهانوا بحقها، أو احتقروا تأثيرها، لجأوا إلى تربية عقلية مادية من صنع الماسونية اليهودية، فالتقطوا من زبالات أفكارها ما يشرد بعقولهم عن سلوك صراط الله، ويجعلهم يهيمنون في مهاوي الإلحاد ومتاهات الحيرة والقلق، بسبب نظريات (فرويد) و(يونغ) و(بافلوف) وأفراخهم ممن هم من بني جلدتنا وينطقون بلغتنا، فابتلوا بمجانين الجنس وفلاسفة المراهقة، وكتاب أدب الفراش ونحوهم، ممن تحركه الأيدي الأثيمة في الخفاء، وممن أبرزتهم الثقافة الاستعمارية، حسب الخطط الماسونية بالأفكار المفسدة لسير الإنسانية في جميع ميادين الحياة، والله - سبحانه - يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

فجميع الأفكار إما أن تكون نابعة من عبودية الله ومستقاة من وحيه،

فتكون صحيحة سليمة يتكامل بها بناء الإنسان بتوازي تربيته الروحية مع تربية جسمه وعقله، فلا ينمو البعض بدون الآخر، وبذلك تحصل الحياة الطيبة والأمن الصحيح، وإما أن تكون الأفكار نابعة من الهوى والمادة، فتكون مختلة معتلة تسير الإنسان بها سيرة بهيمية نفعية بحتة، فيعم شقاؤها، وتزداد شرورها.

ومهما حاول العقلاء الماديون التخفيف منه فإنهم لا يزيدون القضايا إلا تعقيداً؛ لأن هذه طبيعة الأفكار المادية بخلاف الأفكار الروحية، المرتكزة على الإيمان بالله واليوم الآخر، والتزام تنفيذ حكم الله فيما أنزل، فإنها هي التي تهذب الطباع، وتصلق الأرواح، وتكتمل بها التربية المفيدة لبني الإنسان، ولذا أرشدهم الله إلى حصر غايتهم على عبادته والاستعانة به، وتكفل لهم بالهداية التامة والنصر المبين.

وقد تحقق ذلك من الله لمن صدق معه في ضراسته بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فنالوا القيادة والسيادة في الأرض، واختلت حالة المخلطين في أعمالهم والمطففين مع الله، الذين لم يعاملوه بمقتضى مدلول هذه الآية، وحلت الكوارث الشنيعة بالذين أبعدوا دين الله عن الحكم، أو نادوا بطرحه وجعله في متاحف التاريخ، فحل بهم الخزي على أيدي اليهود الذين لم يكتب لهم التاريخ عزة على غيرهم، وذهبت ثغور بلادهم واستحكمااتهم، وما الله بظلام للعبيد.

إن الذين شردوا عن عبادة الله أو أنكروه وأنكروا ما جاء عنه بالكلية ابتلاهم الله بعبادة الطواغيت، وأي طواغيت؟ طواغيت من ركائز الماسونية اليهودية، أمثال (لينين) الذي يركعون عند قبره، ويقىمون الأعياد لتذكاره،

وهو يوصي بتدعيم دين اليهود لأجل سيطرتهم على فلسطين، على الرغم من معاداته للأديان، فقد قال في وصيته المشهورة عام ١٩١٧م بعد مهاجمته للأديان قال :

(أما الخرافات اليهودية وإن كانت لا تختلف عن باقي الأديان، ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضروري للمحافظة على يهوديتهم، حتى ينالوا حقهم، اليهود إذا نبذوا دينهم حنيئذ يتيهون في الأقاليم المجاورة لهم، وبمرور الزمن يفقدون إسرائيلييتهم، ولمحافظة إسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة، فالدين أمر ضروري، فلم يجمع بني إسرائيل غير الدين، ومحافظة الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار ريثما ينالون حقوقهم).

وهذا ما دفع روسيا في بداية حكمها الثوري إلى إصدار جملة قرارات بالتأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين، كما نشرت ذلك مجلة (فرنسا القديمة) عدد (١٦٠) مجلد عام (١٩٢٠م) وقد حرم الشيوعيون في جميع الاتحاد السوفيتي تعليم الدين بكل أنواعه إلا الدين اليهودي.

فالشاردون من العرب والمسلمين عن الله وما أنزله ظلوا يقدسون هذا الطاغوت ورفاقه، حتى جعلوهم أرباباً من دون الله بقبول كلامهم وتطبيقه عملياً، وجعلوا لكلامهم أعظم من قداسة الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ، بحيث لا يصح منهم النطق بالشهادتين مهما كرروهما - والعياذ بالله - بل جعلوا لقول كل ملحد أثيم قداسة عملية في كل ما تبرزه الماسونية بلقب دكتور أو فيلسوف يتهجم على الإسلام وأهله، ويسمي تشريعاته طقوساً وتقاليد ورجعية، ويسمي ما يدعو إليه من الإلحاد والتحلل والتعري والتبرج والاختلاط وقلة الحياء تقدمية!!

وأي تقديمية في دور الملاهي والمسارح والأفلام السينمائية ونحوها مما يقذف به عملاء اليهود والمنخدعون بهم؟! وأي تقديمية في إباحة الخمر وتعميم الفساد وتشريع القوانين المبيحة للزنا - بحال الرضا - أو المعفية لمرتكبه من إقامة حدود الله تطاولاً على سلطانه في الأرض؟! وأي تقديمية في تهتك المرأة ومشيتها في الأسواق شبه عارية، ودخولها (الاستيريو) بكل حرية، وهم يعلمون أن (الاستيريو) ماخورة تستباح فيه العفة والفضيلة والشرف، وتنتهك فيها الأعراض!!؟

كلا، إن جميع هذه الأمور ليس فيها تقديمية إلا إلى أقبح صور الجاهلية الأولى، بل إنها هي الرجعية الحقيقية إلى تلك الجاهلية باسم العلم المزيف الكاذب، وإنها هدم للإنسانية بالتحلل والتفسخ، وإعطاء النفس هواها كالحيوان، وإنها ذهاب الغيرة وفساد الأخلاق والرضا بالدياثة أو تعميمها، وإنها العودة الصريحة الوقحة إلى كفر الأمم السابقين، المصادمين لرسول الله والمجاهرين بعداوتهم.

إن الانطلاق بالشهوات العارمة، وإعطاء الأنفس ما تهواه ليس تقديمية قط، وإنما هو رجوع إلى الوراثة السحيق الذي حاربه الإسلام، وجميع رسل الله، وإنه الهدم للإنسانية، وإنه قرعة عيون اليهود بصهيونيتها المزعومة التي استطاعت بمكرها أن تؤسس الحركة الماركسية، لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الاشتراكي، وأن تقيم قيادات ثورية اشتراكية، وتسميها بالطلائع التقديمية، مخادعة لجميع العالم، شرقيه وغربيه، وضرب بعضه ببعض تارة، والتظاهر بخلافات كاذبة تارة، وهي في أعماق الزعماء (تكتيكًا مرحليًا) تتطلبه الخطة الهادفة لمصلحتهم، ولكنهم يخادعون الشعوب بهذه الخلافات.

إن اليهودية العالمية تعلم تمام العلم أنها لا تحصل على مطلوبها إلا بنشر الإلحاد ومفاسد الأخلاق، والقضاء على التعاليم النبوية، وإزالة كل وازع ديني من البشرية، كي تتكامل وسائل الهدم الذي تريده دون عائق، ولذا أنزلوا ثقلهم على العالم الإسلامي عامة والعرب خاصة، فخططوا لهم الغزو الفكري الهائل.

وقام بتنفيذه الاستعمار الرأسمالي والشيوعي، حتى جعلوهما يضطربان بثقافات متضاربة وبانتماءات فكرية غريبة، جعلت العرب خاصة ينقسمون إلى شيع متحاربة، ومتعادية عداوة ضارية، مزقت وحدتهم، وأضعفتهم أمام الشرذمة القليلة الغازية، وخفضت رصيدهم في الوزن الدولي، وجعلتهم أضحوكة وألعوبة لمن يتاجرون بالسلم ظاهراً، وهو لمصلحة أعدائهم باطناً؛ لأنهم فقدوا تماسكهم الصحيح، بشرودهم عن هداية الله وعبادته، ذلك الشرود الذي يفقدهم مسوغ وجودهم بين الأمم، فضلاً عن قيادتهم لها.

فالله أرشدهم إلى ما يحقق مقومات حياتهم ويضمن لهم بناء الإنسانية جميعاً لا بناء أنفسهم فقط، وقد تسنى لهم ذلك على عهد أسلافهم الذين وضعوا اللبنة التي غيرت وجه التاريخ، وصنعوا حضارة عظيمة خالدة كسبوا بها أغلب المعمورة، وعاشت الشعوب الأوربية على فتاتها ردحاً من الزمن، ولا تزال متأثرة بها في الطموح عن عبادة الإنسان.

إن القرآن الكريم هو الذي صنع من العرب تلك المعجزة بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ولو شمش هؤلاء برءوسهم من جديد إلى بضاعة السماء، ورفضوا البضاعة الأرضية الملتقطة من المزابل اليهودية فحققوا عبادة الله واستعانتهم به بكل معانيهما ومبانيهما، لأعادوا مجدهم، وكانوا هم المعسكر

الأول الصحيح الذي يعيد بناء ما هدمته اليهودية العالمية، من مقومات الحياة الإنسانية، بدلاً من أن يتعاونوا معها على الهدم العام، وعلى تخريب بيوتهم بأيديهم.

فإن المستجيب لهم بالنزعات القومية، والمستقبل لنظرياتهم الفكرية ومذاهبهم المادية من شرقية وغربية، قد جعل لهم حقوقاً في الرسالة، فأشركهم في رسالة محمد ﷺ فلا يصح منه النطق بالشهادتين، والمصيبة الكبرى أن معظم المولعين بالثقافة العصرية، والمولدين وجوههم شطر المذاهب الماركسية ونحوها يفضلون قول فلاسفة القومية والماركسية على دين الله وما جاء به رسوله ﷺ.

وهذا تكذيب لله في أن صراطه المستقيم واجب الاتباع، وجعل خطط هؤلاء أقوم صراطاً، وأهدى سبيلاً، ولعل هذا من أكبر أسباب خذلان الله لهم، وجعلهم في شقاق بعيد، وتسليط بعضهم على بعض، وتقتيلهم لرجالهم الذين خسروا في تربية كل واحد منهم آلاف الجنهات، مما هو هدم فظيع للإنسانية، ولا يمكن إعادة بنائها إلا بتحقيقهم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الأصالة الفكرية والهوية الروحية:

هذا الإرشاد من الله لعباده بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها الأصالة الفكرية والهوية الروحية، للمسلمين عامة والعرب خاصة؛ لأن فيها الاستقلال الفكري الرائع الذي لم يلتقط من أفكار شرقية ولا غربية، ولا يمكن أن يختلط بشيء من الأوضاع البشرية، والبضائع الأرضية، بل ولا يمكن أن يلتقي مع شيء من ذلك أدنى التقاء، أو ينهزم أمام أي شيء منها

أدنى هزيمة عقلية؛ لأنه فكر مرتكز على الحس الديني، يستمد جميع تصوراته ومفاهيمه من المعاني العميقة لعبودية الله والاستعانة به، فالأفكار النابعة من ذلك والمستقاة منها، أفكار أصيلة حرة نبيلة، تنظم حياة الفرد الدينية، وتنظم حياة المجتمع في السياسة والاقتصاد والثقافة وسائر مرافق الحياة، فهي أفكار أصيلة كاملة، فيها من الشمول ما ينظم الدين والدولة في جميع الشؤون والميادين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿الظَّالِمُونَ﴾، ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧].

وهذه الأصالة الفكرية تضمن الوحدة الروحية والثقافية لمن تمسك بها وقدرها حق قدرها، وكانت جميع تصوراته ومقاصده نابعة منها، ومرتكزة عليها، وهي ليست ثقافة قومية ضيقة كما تريدها اليهود لغيرها، ممن تسميهم تارة بـ (الأميين) وتارة بـ (حميرها) وإنما هي ثقافة روحية إنسانية عالمية هادفة للإصلاح والإصلاح، تقوم على أساس عدم العبودية لغير الله، وعدم الخوف إلا من الله، وعدم الاستمداد من سواه، أو الاستعانة بغيره، وتجعل حب الإنسان وعواطفه مرتبطة بالله، لا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يوالي إلا أحباب الله وأهل طاعته، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يعادي إلا المتبعدين عن طاعة الله.

وعبادته تعني ألا يكون له في سلوكه السياسي أغراض نفسية، ولا في سلوكه الاقتصادي مطامع انتهازية، يبتز بها المال الحرام أو يبخل به عن أداء الحقوق، ولا في سلوكه الثقافي أو الاجتماعي شذوذ يشط به عن التزام حكم الله، والوقوف عند حدوده، ولا يسلك في النواحي السياسية مسالك العصريين الذين أعادوا الجاهلية الأولى، فأخذوا ينتصرون للعصبية والأغراض

النفسية، فيوالون الكافرين ويسندونهم ضد المسلمين، للاشتراك معهم في جنسية أو نفعية، أو يسكتون عن المؤذنين للمسلمين، نظرًا لمناصبهم الشخصية، أو مصالحهم الوطنية، بل يتقيدون في ذلك بما يحبه الله ويرضاه. والمسلمون - وعلى الأخص العرب - لما استمسكوا بأصالتهم الفكرية وهويتهم الروحية؛ كانوا مرهوبي الجانب على أوسع مدى من الحدود والنفوذ، والقوة والسلطان، وقصة (وامعتصماه) مشهورة لا ينساها التاريخ، ولم نجد من يجددها أمام كوارث المسلمين في كل مكان؛ لفقدانهم تلك الأصالة الفكرية والهوية الروحية؛ لأن الماسونية اليهودية خططت لتفتيت ذلك وإطفاء شعلته في عقر دارها، بما عملته من الغزو الثقافي المتنوع بمكره وشره على أيدي المستعمرين والمبشرين، المستترين باسم الدكتوراه والفلسفة والاستشراق، مما أحدثت به الفصل بين الدين والدولة.

ذلك الفصل الذي لا يجوز ولا يصح إلا للدين المسيحي المزعوم، الذي أحدثت به اليهود ما لا يصلح للحياة، وجعلت الجيل المعاصر تائهاً تمام التيه بين الثقافات المتنازعة، وضائعًا بين المذاهب المادية من شرقية وغربية، لا يكاد يكون له وجود حقيقي كامل بمعنى الكلمة، بل وجود مشوه ينكره تاريخه وينكره من عرف مجد آباءه ومثلهم العالية؛ فأصبح الجيل متعدد الثقافات الدخيلة، تتحكم فيه المعسكرات المادية التي حوله، لفقدانه أصالته الفكرية وهويته الروحية الاستقلالية، وأصبح لا يعرف من الاستقلال إلا اسمه.

وبديهي أن الأمة إذا فقدت أصالتها الفكرية الاستقلالية فقدت معها كل شيء؛ لأنها تصبح بلا محتوى فكري، ورصيد روحي يحفظ خصائصها، ويدفع عنها شر التيارات المجاورة التي تعمل على محققها وسحقها بشتى أنواع

الكيد والمكر، حتى تفقد كيانها، فإن قال قائل: إن الثقافة العصرية اتسعت آفاقها وأصبحت ملكًا مشاعًا لكل الأمم، ولم تبق فائدة للثقافة الروحية التي تزعم أصالتها.

قلنا: هذا اعتراض منهزم هزيمة عقلية، وجاهل بالفرق العظيم بين كنه الثقافتين، فالثقافة الروحية الأصيلة مرتكزة على الإيمان بالغيب، الذي يجعل من ضمير الإنسان رقيبًا باطنيًا، يراقبه في كل عمل ويخيفه من عقوبات الله العاجلة والآجلة، ويجعله مخلصًا في مقاصده، صادقًا في أقواله، صالحًا مصلحًا في أعماله، كما كان أسلافنا أصلح الخلق، وأنفع الخلق للخلق، وأرحم الخلق بالخلق، لا يسكتون على باطل، ولا يعتدون على أحد، ولا يطمعون في عرض أحد أو ماله، ولا يسرون مع الهوى في أي شأن من شؤونهم.

أما الثقافة العصرية التي تزعمونها عالمية فلا نجد فيها ما يمنع أهلها بالوجدان من الاعتداء على أحد، أو الطمع في ماله أو عرضه، وليس فيها ما يردع مشيري الفتن والأحقاد، ومفاسد الأخلاق، ويردهم إلى رشدهم، وليس فيها ما يلزمهم بالعدل بين الناس؛ لأن نظرتهم نفعية صرفة، ولذا تمادى اليهود في ظلمهم للعرب وتشريدهم، والتمادي في احتلال بلادهم بلا قاهر ولا رادع، لما تحمله هذه الثقافة المادية من الأنانية البشعة المتفاقم شرها.

فما أبعد الفوارق بين الثقافتين!! وما أجهل من يرخص أصالته الفكرية، ويتنازل عنها، فيكون تابعًا لغيره!! إن هزيمته أعظم من كل هزيمة حربية؛ لأن الهزيمة الحربية مع صحة الأفكار الأصيلة، وسلامة العقيدة قد يكون منها أعظم الحوافز والاستعداد لأخذ الثأر، ولكن الهزيمة العقلية تتحول بها القيم

وتنعكس بها المفاهيم، فيتميع بها الإنسان في أخلاقه، ويتمعمع في سلوكه وأفكاره في شتى ميادين الحياة، لفقدانه أصالته الفكرية، ومقوماته الروحية فيذهب ضحية للتخريب الفكري في ميدان السياسة والثقافة والاقتصاد، الذي يقوم به عدوه وعملاء عدوه ممن يختارهم - غالبًا - من بني جلدته.

وقد أخبرنا الله عن المنافقين المذبذبين، فاقدى العقيدة والأصالة الفكرية، أنهم لا يتعظون بالمحن والأحداث، حيث قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] وها نحن نرى ورثتهم من قومنا تتوالى عليهم المحن والفتن في عقر دارهم، ممن يسمى (إسرائيل) وهم في طغيانهم يعمهون، لم يكفروا بالجبب والطاغوت في الناحية التربوية فيرفضوا المناهج التعليمية الماسونية، من غربية وشرقية، ويعودوا إلى تربية محمد ﷺ، ويتركوا التربية المادية المائعة السائرة على تقليد أعدائها في كل ميدان، ولم يكفروا بالجبب والطاغوت في النواحي السياسية، فيرسموا خطة إسلامية صحيحة سليمة، تربطهم بجميع المسلمين، الذين يشكلون أعظم عدد وأضحمة بين الأمم ويكونوا يدًا واحدة على أعدائهم.

بل استمروا في مناهجهم التعليمية على الخطط السابقة التي رسمها لهم أعداؤهم، ولم يلتفتوا إلى التربية الدينية ويكيفوا المناهج بها، بدلاً من تكييفها بالإلحاد، كما استمروا على إبعاد الدين الإسلامي عن الحكم وطمس تشريعاته، ومعاداة المسلمين والتنفير عنهم بشتى الأساليب، وموالاتة الدول العلمانية التي أقصت الدين عن التشريع مثلهم، تمادياً منهم في نبذ ملة إبراهيم ونقض عهد الله الذي يربطهم بهم، وقطع لما أمر الله به أن يوصل من

إسنادهم .

ولم يكفروا بالجبت والطاغوت في النواحي الاجتماعية التشريعية، فعيّدوا الحكم بشريعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطهروا مجتمعهم ووسائل إعلامهم من لهو الحديث المتنوع، والمجون والمسارح والمراقص، وسائر الملاهي والخمور، والتبرج والتهتك، ولم يصدقوا التوبة لله بتحريم ما حرمه الله، وإقامة حدوده في كل شيء، بل استمروا على ما خططته (اليونسكو) وغيرها في التربية، وما خططوه في وسائل الإعلام ونحوها، من اللّهو والطرب .

واستمروا في استحسان كل منكر باسم التقدم والتطور، بل استمروا في محاربة الله ورسوله، بإباحتهم ما حرماه من الخمور والربا، والقمار والزنا، وتشريعهم القوانين الديوثية المعفية للزناة من إقامة حدود الله، وتشريعهم سائر الأنظمة المخالفة لشريعة الله، والمعلنين فيها عن إلحادهم في أسماء الله، بقولهم عن أحكامه: إنها قاسية لا تصلح لهذا العصر، ولا تساير التمدن والتطور، مما هو كالتصريح بأن الله ليس عليمًا ولا حكيمًا ولا رحمنًا ولا رحيمًا .

ومع ذلك لم يتوبوا ولم يتذكروا أمام هذه المحن والفتن، حتى هزيمتهم النكراء أمام جردان الخليقة من اليهود في شهر حزيران عام (١٩٦٧م) لم تحفزهم على الرجوع إلى الله وتحكيم دينه، وحمل رسالته، بل تمادوا في الشرود عنه، وهذا شيء أخطر من نكبة حزيران، بل من كل نكبة، وسببه انعدام القلوب السليمة، والأفكار الصحيحة الاستقلالية، التي لو وجدت لغيرت أحوالهم رأسًا على عقب، ولكن أنى يوجد هذان بدون تمحيص الصدق مع

اللَّهِ فِي تَحْقِيقِ الْوَفَاءِ بِمَدْلُولِ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ بِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ذلك الشعار الروحي العقائدي الذي بقوة تحقيقه تتحقق الأصالة الفكرية ، ويرتفع أهلها عن كل تميع وتقليد ، والله المستعان .
من صور الرق المعنوي :

بتحقيق العمل بمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ينجو الإنسان ويسلم من الرق المعنوي الذي هو أفظع وأنكى من كل رق حسي ؛ لأن الرق الحسي يشعر به صاحبه ، فيتمنى انتهاءه ويسعى لإزالته والتخلص منه حسب مجهوده ، ولكن الرق المعنوي لا يشعر به صاحبه ، بل على العكس ينقلب تصوره له تحرراً وتقدماً ، فيتمادى باستحسان حالته دون أن يخالجه أدنى شيء من الامتعاض والإحساس .

وكل من لم ينشغف وينشغل بعبادة الله ويحصر اتجاهه عليها واستعانته به - جل وعلا - فإنه لا بد من أن يبتلى بنوع أو أنواع من الرق المعنوي المذيب لشخصيته من حيث لا يشعر ، فمنهم من تسترقه شهواته وتجعله عبداً لمرذول أو مرذولة ، لا يرضى هو أن يكونوا من عبيده لو كان متحرراً من الرق المعنوي ، مستبصراً بالبصيرة الفطرية ، ولكن الرق المعنوي يجعله مغرماً بهذا أو هذه أو بهما جميعاً ، فيكون منشغفاً بقشر الجمال الذي سلب عقله ، واسترق أحاسيسه وجوارحه يتغنى بأوصافه ، ويفديه بنفسه وروحه التي لا تعدلها الدنيا جميعها ثمناً لو عرف قيمة نفسه ، بل يجهد نفسه في تحصيل الرضا أو طلب الوصال ممن يجب بغضه أو الابتعاد عنه ، لو ملك العقل الفطري الذي يرفعه عن الرق المعنوي ، وأحوال هذا القسم ظاهرة للعيان من أقدم العصور إلى أحدثها ، تشهد عليهم اعترافاتهم في أشعارهم ، كما قال قائلهم :

بنفسي أفدي خاله فوق حده ومن أنا بالدنيا فأفديه بالمال
وكما قال الآخر:

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاءً أنامله
وكما قال الآخر:

ولست ألد العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس من جنة الخلد
وكما قال الشريف الرضي في غلامه التركي:

أملكه عتاقى وهو رقى وأفديه بروحي وهو ساقى

إلى غير ذلك من أقوال السادرين في السكر المعنوي، والواقعين في فخاخ
الرق المعنوي الذي يكون صاحبه بعيداً عن عزة النفس، فضلاً عن تحريرها.
وكيف يحرر نفسه من يعلن أنه يفدي بها في سبيل معشوق قد يكون من
أخس الناس، وقد يكون من أرذل الناس، وقد نال منه ما نال؟ إنه الرق
المعنوي الناشئ من عمى بصيرة الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم - عياداً بالله
من ذلك - .

وقسم آخر من ذوي الرق المعنوي قد استرقتهم الأصوات الحسنة،
والأشعار والأغاني التي فيها التشبيب بالخمير والجمال، ولو لم يكن لهم غاية
في وصل حرام، ولكن هذه الأصوات والأغاني قد استعبدت أدمغتهم
وأخذت من عقولهم أي مأخذ، فكسبت قلوبهم وأشغلت أوقاتهم بالأصوات
الشیطانية التي قال الله عنها: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]
فأصبح تصورهم تصوراً فاسداً لا يبصرون فيه الحرية الصحيحة، ولا
يشمون ريحها؛ لأنهم هربوا عن حب الله الذي يستعملهم في الخير وينجيهم
من عبادة غيره واسترقاقه لأنفسهم، فابتلوا برق الهوى والشیطان، وضاع

عليهم أعز ما عندهم من أوقات أعمارهم النفيسة في اللّهُو واللّعب، ومطالب الشهوات الخسيسة .

وقسم ثالث أوقعتهم الأطماع المادية وسائر الشهوات النفسية في الرق المعنوي لركونهم إلى الدنيا وتكاثرهم فيها، وتفاجرهم بها، وتنافسهم عليها، وقصر نظرهم على كثرة العمارات، وضخامة الملك، وتزايد النقود، وقوة الجاه، وحسن المتاع، وما إلى ذلك مما هو ديدن الكفار، وغاية قصدهم خلاف ديدن المسلمين المؤمنين ومقاصدهم، وهذا القسم ممن وصفهم المصطفى ﷺ بأنه عبد الدرهم، عبد للدينار، وعبد للخميسة والقطيفة - تعبيرًا عن المتاع - ذلك أن المرء عبد لما أحب، وقد دعا الرسول ﷺ بدعواته المتقبلة من رب العرش العظيم حيث قال: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميسة، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله»^(١).

ففي هذا الحديث دعاء عليهم، وتصوير لسوء حالهم ومصيرهم المشين الذي لا ينفكون منه ما داموا عبيدًا لمحبوباتهم الدنيوية، فأما دعاؤه ﷺ فهي تكراره التعاسة: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس . . تعس وانتكس . .» والتعس في اللغة هو: الهلاك، والعتار، والسقوط، والبعد، والشر، والانحطاط، ومن تدبر أحوال الماديين وجددهم يتخبطون في جميع هذه الأحوال الرديئة، وأما تصويره لواقعهم السيئ ومصيرهم المخزي فهو قوله: «وإذا شيك فلا انتقش». وهذا تصوير بديع للّهزائم النفسية والذل المعنوي الذي يتخاذلون به عن انتقاش شوكة العار، واقتلاع ما يضعه العدو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

في جسمهم من قاعدة أو عنصر غريب لا يستطيعون له تحويلاً .
ومن شواهد هذا التصوير وظهور صحته للعيان أنهم في هذا العصر الذي
يسمونه عصر النور، ويتبجحون فيه بدعوى التقدمية والتحرر، ويخادعون
الناس بدعوى طردهم للاستعمار، قد عجزوا عن اقتلاع أصغر شوكة في
جسمهم، قد اتفق الاستعمار الغربي والشرقي على غرزها فيه، وهي ما يسمى
بدولة إسرائيل التي انتزعت منهم قطعة عظيمة عزيزة على المسلمين، ولو نجح
أحد طرفي الاستعمار معهم وصدق في معونته لهم باقتلاعها، لانتفخوا
انتفاخه الهر على العالم بشتى أنواع الغرور والتهريج، ولكنهم مع حالتهم
المشئومة التي صاروا بها ألعوبة للغرب والشرق لم ينجلوا من دعاويهم التي
يريدون أن يحمدا فيها بما لم يفعلوا ولم تحفزهم النكبات على توحيد صفوفهم
والرجوع إلى ربهم للاستعانة على حرب عدوهم؛ لأن الأناية تمنعهم من ذلك
وتبعدهم عنه .

ولا شك أن الإنسان عبد لما أحب، فالمتعلق بحب الشهوات، هو للهوى
والشهووات، رقيق لها دائماً، والمتعلق بحب المال والمتاع، هو عبد لصنوف
المال والمتاع، يعيش منهوماً لا يشبع، وسكران لا يفيق، تسترقه وتستعبده
مطامعه المسعورة المتكررة، كما قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أنني قنعت لكنت حرّاً

وأصحاب هذا القسم من الرق المعنوي قد شابهوا الكفار الذين وصفهم الله
بقوله: ﴿يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢]؛ لأنهم لا هدف لهم
سوى المادة والشهووات، يتكاثرون ويتفاخرون في الحياة الدنيا، همهم نيل
المزيد من العمارات والنقود، وارتفاع الغلة وطيب المأكول، وأناقة اللباس

والأثاث وتربية الأولاد حسبما يهوون، لا حسبما أمر الله - تعالى - ، فإن فرض أن الرجل من المصلين فأولاده لا يصلون؛ لأنه لم يصنعهم على عين إسلامية تطبعهم طبعة روحية، بل وكلهم إلى التربية الماسونية الحديثة، يصنعهم أرباب على عينهم بطبعة مادية، وإذا ناقشه أحد في ذلك قال: (إني أريد تأمين مستقبل عيالي ، هكذا يتطلب العصر، أتريدني أن أتركهم جهلة)، إلى غير هذا من التعليلات المادية التي تؤدي بصاحبها إلى الشرك - والعياذ بالله - ؛ لأن هذا منطق فاقد التوكل والاعتماد على الله، ولو نظر في حالته وتساءل في نفسه عن عمل على تأمين مستقبله، لعرف أن تأمين المستقبل ليس بما رسمته الماسونية اليهودية من العلم المادي المنحرف، الذي جعلته لا يلتقي مع العلم الذي جاءت به رسل الله.

وحياته في هذه الحالة وجميع مجهوداته ليست لدينه وعقيدته، بل لشهواته وأنايته، ثم حياة أولاده أتعس، فليس في حياتهم نفع لدينهم وعقيدتهم ولا نفع له - أيضا - ، وإنما حياة الجميع لخدمة الجسم والطين، لا لخدمة الروح والدين، وثمره عاقبة هذه الحالة وهذه التربية تكون لصالح اليهودية العالمية عاجلاً أو آجلاً، للابتعاد عن الحياة الطيبة الربانية التي فرضها الله على أتباع رسله المتمثلة في هذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وقد وصف وحي الله ما يترتب على الدين من الضرر البالغ بسبب حرص المرء على المال والشرف بقوله ^{صلى الله عليه وسلم}: «ما ذئبان جائعان أرسلا (أو) أدخلتا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٦)، وأحمد (٤٥٦/٣، ٤٦٠) والدارمي =

فانظر إلى هذا التصوير البديع والتمثيل الرائع لتعلم أني مقتصد غير مبالغ فيما أقوله إذا لاحظت ما يعمله الذئبان الجائعان الظافران بزريبة غنم من الفتك والإفساد، حيث إنهما لا يقتصران على إهلاك العدد الذي يشبعهما ويكفي نهمتهما، بل يتعدى إفسادهما بهذه الزريبة إلى الفتك بجميع الغنم وإهلاكها، فإذا لاحظت هذا فلاحظ الحكم الصادر من النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بأن حرص المرء على المال والشرف أفسد لدينه مما يفسده الذئبان الجائعان في زريبة الغنم، خصوصًا إذا ضمنت إلى هذا القسم الرابع من ذوي الرق المعنوي:

وهم الذين غايتهم طلب شرف الحكم والرئاسة بشتى الوسائل والأساليب، دون مبالاة بما يدفعونه ثمنًا لذلك من بيع الدين وهدم الضمير، وما يدفعه غيرهم ثمنًا لاستعلائهم ونيل مطالبهم وأغراضهم، فإن هذا النوع من الناس يكلفون الأمم والشعوب أبهظ الأثمان، من القتل والفتك والغرامات والحبس والتنكيل، ويجعلونهم شيعًا متناحرة في سبيل نصرة الأشخاص أو مبادئهم ومذاهبهم، كما جرى ويجري في كل زمان ومكان ممن ابتلوا بالسكر المعنوي والرق المعنوي، ولا سيما في هذا الزمان الذي تفاقمت فيه شرورهم، وادلهمت ظلمات دجلهم وتضلليلهم، فإن أهل هذا القسم الرابع من ذوي الرق المعنوي أشد الناس عبودية لأغراضهم النفسية وأنانيتهم البشعة، لا

= (٣٩٤ / ٢)، وابن حبان في صحيحه (٢٤ / ٨) رقم (٣٢٢٨) كلهم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن ابن كعب بن مالك عن أبيه مرفوعًا به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ويروى في هذا الباب عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولا يصح إسناده. اهـ.

يعرفون دينًا ولا خلقًا، بل يأبى عليهم رقهم المعنوي من الارعواء إلى الرشد، فلا ينتقلون من شر إلى شر منه؛ لأن أغراضهم النفسية التي استرقتهم أفقدتهم رشدهم، وأعمت بصيرتهم، وجعلتهم يتباهون بالتبعية لكتلة في سبيل عداوة كتلة أخرى، أو في سبيل التمدد بذهب ضد مذهب، فيضعون بأنفسهم الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم، بل تحملهم العبودية المعنوية على تقديس أخبث الكفرة من الملاحدة الأموات، فيركعون عند قبورهم، ويضعون عليها أكاليل الزهور، مما لا يبقى معه إيمان ولا إسلام.

ولولا هذا الرق المعنوي المعمي للبصيرة لما استساغ أحد مثل هذا التقديس، حتى الكافر، فكيف بالمسلم أو من يدعي الإسلام!!

ولكن الماسونية اليهودية بثقافتها الوثنية وأفكارها المادية، قد أركستهم في ذلك الرق المعنوي لتجعل حياتهم لصالحها، ومجهوداتهم في سبيلها، لا في سبيل الله؛ لأن جهودهم للطمع وكسب المنصب والجاه، فينتج الفرقة والشقاق بدل الوحدة والاتفاق، وينتج زيادة التبعية والعبودية لأفراخ اليهود وتلاميذهم، فمهما خدعوا أنفسهم أو خادعوا غيرهم بدعوى محاربة اليهود، فإن جهودهم تنعكس لصالح اليهود، كما انعكست نياتهم عن قصد الإخلاص لوجه الله والجهاد لإعلاء كلمته، ولذا ترى رقهم المعنوي قد جعلهم يصرون على محاربة الصهيونية فقط، ومقاومة الاستعمار أو الاستغلال فقط، لا محاربة اليهود وغيرهم من سائر الكفرة، تحقيقًا للبراء الذي يطلبه الله منهم، بل يعلنون أخوتهم لليهود كأخوتهم لكل كافر وملحد باسم القومية والوطنية تارة، وباسم الإنسانية تارة، وينادون بالسلام كإعلان منهم لاطراح

رسالة الله ورفض الاستجابة له؛ لأن الرق المعنوي سيرهم للاستجابة إلى غيره من سائر أعدائه عيادًا بالله من سوء الحال والاستقبال.

ولا منقذ لهم ولا محرر لنفوسهم من هذا الرق المعنوي إلا الفرار إلى الله بتحقيق عبادته كاملة في جميع شئون حياتهم، وحصر سيرهم في طريق واحد هو صراطه المستقيم، بالتزامهم لوحيه ومتابعة رسوله ﷺ وإلا فسيظلون يحملون نير العبودية من سائر الأصناف ليس في أعناقهم ولكن في أرواحهم، وسينقادون لجميع أصناف الرق المعنوي بلا نخاس؛ فيكونون أفضع وأحط ممن يقودهم النخاس في رقابهم أو آذانهم، لأن النخاس كامن في قلوبهم ودمائهم.

ومن عجيب أمر هذا النوع الرابع من ذوي الرق المعنوي أنهم غلاظ شداد على الأحرار المؤمنين بالله إيمانًا حقيقيًا، يدينون ببغضهم وعداوتهم ويتطوعون لحربهم والتنكيل بهم، ويصادقون من يؤذيمهم، لما زرعت الثقافة الماسونية اليهودية في قلوبهم من كل ما هو معاكس لملة إبراهيم - ﷺ -، ولأنهم يبغضون ويعادون من لا يشاركونهم في الرق والتبعية.

والمسلم المؤمن الصادق لا يرتبط في جميع أحوال سيره بعجلة أحد ولا تبعية أحد، لسلامته من الرق المعنوي بإخلاص مقاصده لله، وكونه مستعينًا به فقط، فلا يخشى من أي قوة ولا يستعين بكتلة على كتلة أخرى، حتى لا يصغي إلى ما تمليه.

وأصحاب الرق المعنوي يعادون الحر الذي على هذه الشاكلة بدافع من طبيعتهم السافلة، أو بإملاء من أسيادهم الذين يركنون إليهم، ولا سبيل لتطهير قلوبهم من ذلك إلا بما محرر أرواحهم من القيام بتحقيق مدلول ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾ فتحقيق مدلولها هو المطهر للقلوب، والمحرم للأرواح والخاذل لأعدائها من أصناف اليهودية العالمية، وهو المصلح للمجتمعات، والموحد لها تحت راية بضاعة السماء، وفقنا الله لذلك.

النجاة من مجتمع الضعف والضعفاء:

في التطبيق العملي الكامل الصحيح لمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تنجو الأفراد والمجتمعات الإسلامية من الضعف بجميع أنواعه، سواء الضعف الحسي أو الضعف النفسي المعنوي، ويربأ العابد الصحيح بنفسه أن يندمج أو ينصهر في أي مجتمع من مجتمعات الضعفاء الذين تملي عليهم الإرادة من طاغوت متسلط، أو من دجاجلة يغشونهم باسم جمهورية وهمية أو جمهورية حقيقية.

ولكن اليهود يلعبون دورهم الكبير في انتخاب من يريدونه للتمركز فيها والنيابة، كما ابتلى الله بهم الأمم المادية المنصرفه عن عبوديته، بل الرافضة لدينه الصحيح، فإنهم جميعاً قد وقعوا في الضعف المعنوي الذي لا تنفع معه القوة الحسية، بحيث لم يرتفعوا بكثرتهم الهائلة، ولا بمعلوماتهم الزاخرة، ولا بوعيمهم المادي الخالي من الوعي الروحي عن تسلط نكرات من أولادهم، تسوقهم إلى ما تريد، وتجعلهم أسوأ حالة من الآلات المسيرة بأدنى تحريك، حتى إنهم قد فقدوا ذلك الإحساس بالضعف، وأخذوا يتبجحون بالقوة والوعي واليقظة، وهم في سكرتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون.

وقد حفظ لنا التاريخ أخبار أجدادنا من السلف الصالح الذين حفظتهم عبادة الله ووقفتهم من الضعف لغير الله، فاندفعوا بالقوة الروحية على عالم الضعف المعنوي المحيط بهم، والبعيد عنهم، وهو عالم لا تقل قوته المادية

وعدده المتكاثر عن عالم الضعفاء المحيط بنا والمتسلط علينا في هذا الزمان، إذا قيست قوة أسلافنا المادية بقوتنا المادية الحاضرة، ولكن أسلافنا بددوا ما زحفوا عليه، وفتحوا ما اندفعوا إليه بسرعة خاطفة؛ لنجاتهم من الضعف المعنوي والخواء الروحي، الذي تساوينا فيه مع أعدائنا، فتفوق علينا الأعداء بالقوة المادية والتصنيع الذي يعوض لهم أكثر ما يخسرونه.

والمسلمون اليوم يشكلون رقمًا هائلًا في العدد بين العالم، ويملكون من ينابيع الثروة ما يقدرون به على تفجير جميع الطاقات، ولديهم من الأسلحة ما يتمكن بها المهاجم من نكاية عدوه، ولكن أدمغتهم قد عشش فيها الضعف المعنوي، لما انحشت بالأفكار المادية، والنظريات العصرية، التي فسد بها غذاء العقل، فإن العقل لا يكون صريحًا صحيحًا سالمًا من الشوائب والأمراض المعنوية حتى ينحصر غذاؤه على روح الله، الذي هو القرآن الكريم والسنة، وكل من امتزج غذاء عقله بغير القرآن، حصل له من الفساد والانحرافات بحسب ما خالطه، فكيف بمن لم يخالط القرآن بشاشة قلبه والعياذ بالله؟

إن للأفكار والنظريات تأثيرهما الطيب أو الخبيث في سير الأعمال وحسن نتائجها أو قبحها، والكفرة الذين تغذيم اليهودية العالمية بقيحها ودمها وصدورها يوقنون بذلك، فلأجله عمدوا إلى الغزو الفكري وعملوا بوصايا أسلافهم على صد الناس عن وحي الله، وإشغالهم عنهم بشتى ضروب اللهو واللغو، وإغرائهم بصنوف الغي والشهوات؛ ليقلبوا حقيقة إنسانيتهم إلى البهيمية، فيتفشى فيهم الضعف المعنوي الذي يسوقونهم به إلى ما يريدون، أو ما تريده اليهودية العالمية، ذلك الضعف النفسي الذي لا ينفع معه أي قوة أو سلاح.

فإننا نرى الذين نجحوا في أعلى التدريب العسكري ونالوا في ذلك الميدان درجات وألقاباً رفيعة، وحازوا على أسلحة حديثة فتاكة قد جرهم الضعف المعنوي إلى الخضوع لكتلة بعدما تخلصوا من كتلة أخرى؛ لأنهم في الأصل لم يتخلصوا من سيدهم الأول، إلا بالركون للسيد الثاني، لما أشربت قلوبهم من الضعف المعنوي، الذي يجعلهم يلتفتون إلى البشر، ويفتقرون إليه من دون الله، وما ذلك إلا لقحط قلوبهم وإقفارها من وحي الله، وكونها تهيم في الخواء الروحي الذي تريده لها اليهودية العالمية أخذًا بوصية أسلافهم القائلين: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] الغوا فيه، أي: اشغلوا الناس عنه بشتى أصناف اللهو والمغريات من سائر أنواع المجون والترفيه البريء وغير البريء، فإنهم يعلمون أنهم لا يغلبون المسلمين ولا يسيطرون على أدمغة أولادهم حتى يصرفوهم عن وحي الله إلى غيره من وحي الشياطين وأصواتهم؛ لأن من تشرب قلبه بالقرآن وانحشى صدره به وخالط دمه في عروقه صار فيه ميزتان من بين البشر:

إحداهما: أنه محفوف بنور الله فهو في حصانة عقلية عن تقبل الأفكار والمذاهب المادية لحملة بضاعة السماء، واكتفائه بها بل استغنائه بها، فليس في قلبه متسع لغزو شياطين الإنس ببضائعهم الفكرية الأرضية ولا يستطيعون إغراءه على الانزلاق في حظيرتهم.

وثانيتها: أنه يكتسب قوة معنوية لا تعرف ضعفًا ولا لينًا ولا خورًا، ولا تكثر بالشدائد والصعاب، ولا يقف بالنكسة أو النكبة مستهولاً وقوعها أو معنًا في ذكرها، بل يضرب الذكر عنها صفحًا كيلا تحز في صدره، وتورثه حسرة، شأن الضعفاء الماديين، فهو لا يكبو إلا لينهض، ولا ينهض إلا ليثبت

في المقاومة، ولا يثبت إلا ليجاهد محتسبًا في نصره دين الله، وإعلاء كلمته، ولا يتقهقر إلا لأجل تقدم ينحرف إليه، أو لإسناد فئة ينحاز إليها كما أوجب الله عليه.

فانحشاء صدره بوحي الله وتحقيق جوارحه وأحاسيسه لعبوديته، يجعله جمرة حمراء وشعلة تلتظي، لا تزيده الأحداث إلا قوة ونشدانًا للتفوق والاستعلاء، فلا يتأخر خطوة واحدة، إلا ليقفز خطوات بعيدة المدى، هكذا يكسبه القيام الحقيقي بمدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ويجعله قويًا بالله غنيًا به عما سواه، لا يبتغي العزة من غيره ولا يخيفه شيء أبدًا، سوى ذنوبه التي يداويها دائمًا بالتوبة والاستغفار، مراقبًا الله عَلَيْكَ في حركاته وسكناته.

وهو بهذا ينال مدد الله ونصره فيحصن الله جوه وأرضه، وينصره بالرعب مسيرة شهر، ويمده بالريح وبالملائكة، وبما لا يحيط به غير الله من شل حركة أعدائه ومصنوعاتهم، أو إفساد مفعولها وتأثيرها، كما أفسد مفعول النار المحرقة على إبراهيم، وكما أيد الله بنصره لأنبيائه وأوليائه المحققين لعبادته، ممن قبل إبراهيم وممن بعده، حتى جاء دور أسلافنا الذين قاموا بعبادته وحمل رسالته، فأنجاهم من جميع أنواع الضعف والوهن، وأكسبهم قوة معنوية جعلت قوادهم يتبادرون إلى مقدمة الجيش ليكونوا له أسوة صالحة، ويعلمونه الفداء والتضحية في سبيل الله، ويتسابقون معه للاستشهاد حبًا للقاء الله وشوقًا إلى جناته من جهة، وثقة بوعدده للنصر من جهة أخرى، بحيث علمهم قرآنهم أن يقولوا لعدوهم: ﴿هَلْ تَرَبُّصُكَ إِنَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا

مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿التوبة: ٥٢﴾.

وصارت أفرادهم تعمل عمل القواد بحيث لا يكثرثون بمقتل قائدهم ولا بمرضه، لانطباعهم بهذه العقيدة وحملهم لهذا الشعار، وعدم إثارة الحياة الدنيا على الآخرة، مما يجرحهم إلى الالتفات لأغراضهم النفسية والاستعانة ببعض أعدائهم، كشأن خلوف المسلمين الذين نسوا حظًا مما ذكروا به، وكشأن المحسوبين على المسلمين ممن أبرزتهم المخططات الماسونية والاستعمارية لاحتلال الصدارة في ميدان الحكم والتسلط.

وكشأن القوميين، وحملة الشعارات المادية الإلحادية التي جرت إليها القومية من كل من لا يراقب الله ولا يعتمد على قوته الغيبية، بل يقصر نظره على المحسوس، فيجره ذلك إلى تبديل ملة إبراهيم بمحبة ما يبغض الله وموالاته أعداء الله، حتى على حساب المسلمين، كما هو المشاهد للمموس في عالمنا الحاضر من هؤلاء، كيف ابتلاهم الله بالضعف المعنوي؟! ودلت التجارب والأحداث على تبعيتهم لكتلة شرقية أو غربية، واستيحاءهم ما تمليه من إقدام على شيء أو إحجام عنه بحيث لم يجرؤوا على مبادرة بني إسرائيل بالقتال استجابة لإملاء المرتبطين به من الشيوعية أو غيرها، حتى ظفر عدوهم بزمام المبادرة وغلبهم، ويسترون ضعفهم المعنوي، ويعللون هزيمتهم ويسوغونها بعدم التغطية الجوية، كما يزعمون!!!

ولو أمهلناهم طوال العمر للاستعداد بالتغطية الجوية، لما تفوقوا بها على اليهود؛ لأن اليهود - لعنهم الله - يحصلون على أضعاف ما يحصلون عليه منها ومن غيرها، واليهود وإن كانوا متساوين معهم في الضعف المعنوي الذي كتبه الله عليهم وعلى كل من تشبه بهم، أو اقتبس من أفكارهم ونظرياتهم، إلا

أن اليهود يحصلون على حبل من الناس، أي: سبب وقوة ينتصرون بها، وهؤلاء يلعب عليهم الناس المسيرون من اليهود، فلا يحصلون منهم على سبب كافٍ، قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ الْنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] وقد انقطع عنهم حبل الله لكفرهم، فعمدوا إلى حبل من الناس يستنصرون به، وقومنا لا ينجيهم من هذه الورطة إلا العمل على تحصيل حبل الله الذي لا غالب له، وذلك بتحقيق عبادته في غاية الصدق والإخلاص، كما قدمناه في أوائل الوجوه السابقة.

فإن الصدق مع الله، والإخلاص له، يحصل حسن العبادة والولاية لله، فيتحول الضعف المعنوي إلى قوة معنوية لا تقهر، ولا يشوبها الوهن، بإذن الله تعالى، والشواهد على هذا كثيرة بحمد الله من أقدم العصور إلى أحدثها، فرسول الله ﷺ تحدى قومه أجمعين، وهو فرد واحد، وقال لهم، كما قص الله عنه في الآية (٧١) من سورة يونس: ﴿يَقَوْمِ إِنْ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَانَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ فتحداهم جميعاً وشركاءهم المألوهين لهم من دون الله، ثم طلب منهم أن يبادروا ولا يمهلوه، فيا لها من قوة صارمة جبارة فوق مستويات العقول!!

ثم جاء بعده رسول الله هود، فأعاد نفس القضية، وتحدى قومه أجمعين، وهو فرد قائلاً لهم: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ كما في الآيات (٥٤، ٥٥، ٥٦) من سورة هود، ثم إبراهيم مكسر الأصنام، والصابر الفادي بنفسه، ثقة بوعد الله، حتى جعل الله النار العظيمة المتأججة برداً وسلاماً، ثم موسى الذي هرب من فرعون

خائفاً يترقب، لما كان متريباً في نعمته ودلاله، رجع لما صنعه الله على عينه في مدين إلى فرعون صابراً متوكلاً متحدياً له بقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] خاطبه بهذا المنطق البشع، لما أكسبه الله من القوة المعنوية، وهكذا إلى دور سيدنا محمد ﷺ القائل لعمه: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي»^(١) ودور خلفائه والصادقين من أمته، كيف اكتسبوا القوة المعنوية التي لا تعرف الوهن والكلل أمام قوى الشر المتكالبة المتكاثرة؟

ولا يزال الله يرينا تأييده للصادقين في عبادته، ويرينا عكس ذلك فيمن ينتسب إلى الإسلام، وهو ممزق للقرآن تمزيقاً معنوياً، بعزله عن التشريع وإقصائه عن الحكم، كيف لعبت عليهم شرذمة اليهود مع كثرة عددهم وقوة عدوهم، لما حل بهم من الضعف المعنوي الذي لا يزول إلا بالرجوع إلى الله!!؟

هذا وقد ذكرت الحبلين من قريب: ﴿يَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] لئلا يقول قائل: كيف انتصر اليهود وهم أكفر من غيرهم؟ مع أن هذا السؤال فيه من المغالطة ما فيه، فعلى المسلمين أن ينطبخوا بعبادة الله، ويتكيفوا بوحيه، ويحققوا عبادته؛ ليعودوا إلى القوة المعنوية، ويسلموا من الضعف المعنوي، وأن ينخلعوا هم والعرب من هذه الجاهلية الجديدة التي جددتها الأفكار اليهودية، وروجها الاستعمار الشرقي والغربي ليحصلوا على

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (١/٥٤٥) من طريق ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس. به.

وانظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٠١) ودلائل النبوة للأصبهاني (١/١٩٧).

الاستقلال العقلي، والحياة الروحية الطيبة، التي لا يغلبهم معها غالب بإذن الله ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].

حينما يتم الصفاء لجوهر الدين:

تعليم الله لنا بتكرار الضراعة إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يكشف لنا عن فضيحة غش يعلمه الله، فأولاً: إن شياطين الإنس من اليهود يوحون به إلى أوليائهم من الملاحدة والشيوعيين ونحوهم، يقصدون به تحريف الدين، وقلب حقائقه ومعانيه، باسم تجلية جوهره، أو يزعم أنه ثورات أو تسمية جوهر رسالته بـ: (الإقناع الحر) الذي يقصدون به تفشي الإلحاد، وإبعاد سيطرة الدين عن النفوس، كما تنص موثيقهم الوطنية بشأن الدين، تلك الموثيق المطبوخة طبخة يهودية، والتي من أجلها شط ملاحدة الكتاب في تفسير الدين تفسيراً طبقياً وثورياً، وإخضاع نصوصه وتشريعاته للفكر الماركسي اليهودي، بل جعل تاريخ أمته يدور عليه، إن كل ما جرى مما يعلم الله وقوعه، قد كفانا إياه بكل وضوح، في هذه الآية الكريمة، فهي توضح لنا:

أولاً: أن الدين كله عبادة خالصة لله، واستعانة به فقط.

وثانياً: أن العبادة لا تكون عبادة بمعناها الصحيح، حتى تكون ناشئة عن حب صحيح، وإخلاص صادق، وتعظيم كامل لله - تعالى - ورسوله، وذلك يستلزم معاملة الله ورسوله معاملة المحب لحبيبه، من كامل النصح والصدق والإشفاق، وبذل النفس والنفيس في سبيل مرضاته.

وثالثاً: حصر التلقي لجميع أنواع العبادة والسلوك من وحيه - تعالى -:

كتاباً وسنة، والتكيف بهما دون تكيفهما وإخضاع نصوصهما للأهواء، بل

بإدراك معانيهما، بحسن التصور المستمد من ذاتهما، لا من مصدر آخر، أو من مقولات يفتعلها بنفسه، أو يقلد بها غيره، فيجعلها ميزانًا لما أنزل الله، كشأن المنطقيين السابقين، أو المعاصرين اللاحقين، ممن يستمدون تأويل وحي الله وتحريفه، من مقررات سابقة أو لاحقة؛ لأن هذا عين الضلال، والمشاقة لله ورسوله، والتقديم بين يديهما، عيادًا بالله من ذلك.

ورابعًا: أن عبادة الله لا تكمل إلا بكمال طاعته، واجتناب نواهيه، والتزام حكمه، وحفظ حدوده، في جميع شئون الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، دون أن يجعل الإنسان لنفسه الخيرة في أي شيء كان، بل يكون مرتبطًا بشريعة الله نصًا ومعنى؛ لأن من جعل لنفسه الخيار فيما يهواه، كان خارجًا من عبادة الله إلى عبادة الهوى والشيطان، وأعظم جرمًا منه، من جنى على النصوص بتأويلها وفق ما يشتهي أو وفق رغبة من يقلده؛ لأنه متبع لليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، فجريمته تتضاعف لجمعه بين اتباع الهوى، وتحريف النصوص بسببه، وما أكثر أهل هذا النوع ممن غشهم اليهود طيلة القرون إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة، بشتى المذاهب والأحباب!!

وخامسًا: أن هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التي يكرر المسلم المؤمن ضراعتها بها لله، ويجدد عهده بها معه، آية تفسر كينونته في الأرض، حسب إرادة الله الأزلية السرمدية، وعلمه المحيط الأبدي وحكمته الشاملة لجميع تطورات العصور واختلاف البيئات، فالإنسان مخلوق بطبيعته الحادثة الناقصة، وإدراكه الضيق الذي مهما توسع، فإنه محدود قطعًا بحسب طبيعته أولاً، ثم هو محدود بوظيفته لرب العالمين ثانيًا، ووظيفة الخلافة في الأرض، لتحقيق جميع معاني العبادة التي تقتضيها هذه الآية نصًا ومعنى، من

التزام حكم الله بلا نقص ولا زيادة، وقصر النظر في معنى وحيه عليه، وانحصار التلقي منه وحده، أي مما أنزل على محمد ﷺ فقط، دون غيره من الأنبياء، فضلاً عن أقوال غيرهم من الملاحدة والدجاجلة أفراخ اليهود. فهذه الآية الكريمة تقرر له العقيدة الربانية، التي تربطه مع الله بتوجيه الربوبية والألوهية، وتفسر له ما حوله، كما تفسر له مكانه، وتضبط وظيفته بضوابط لا تتغير ولا تتأثر بملاسات العصر والبيئة؛ لأنها من وضع علام الغيوب العليم الحكيم بمصالح عباده على الدوام، وهي واضحة في غاية الصفاء لا يعترها ما يحتاج إلى تجلية، كما يزعمه المبطلون المغرضون، الذين لا يرضون من موظفيهم تعطيل قوانينهم أو تحريفها بحجة تجلية جوهرها، ونحو ذلك مما جعلوا لأنفسهم منزلة أعلى من الله ورسوله.

وسادساً: إنها توجب على المسلم المؤمن صدق البيعة مع الله بالنفس والمال، بدون توقف ولا تخلف، لتكون كلمة الله هي العليا، وحكمه النافذ المقام في كل أرض محلها المسلمون بحيث لا يحكم فيها بغير شريعة الله، ولا يفتن فيها أحد عن دينه بدعوة إلى غيره من أي ملة، أو نحلة، أو نظرية، أو مذهب، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وهذه البيعة مع الله، ليس فيها للمسلم المؤمن تخلف ولا خيار؛ لأن الله لم يقل بصيغة المضارع: إن الله يشتري، ولكنه بصيغة الماضي القاطعة لكل خيار، المبطلة لكل تعليل ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] فالمتخلف عن بيعة الله، ناقض عهده الذي يجده مع الله في كل ركعة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿ لم يصدق مع الله في عبادته بطاعة أو امره، ولم يصدق الله في كفايته ونصره له، فيحقق الاستعانة به في صدق الجهاد في سبيله، والاستخفاف بما عداه، بل انصبغ بقوة أعدائه، وأخافته بهارجهم وتهويلاتهم، ولم يوقن تمامًا بأن الله كافٍ عبده وناصره ومنجيه، وأنه لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وأنه مولانا ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠] وأنه ﴿ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨].

بل ضعفت عقيدته وخارت قواه الإيمانية، وانهمزم هزيمة عقلية، جعلته يستمد العون من أعداء الله وأعدائه، أو يتوقف عن قتال الجميع، تعلقاً بضعفه أو عدم إنجاز قومه، أو عدم حصوله على التغطية الجوية المادية، ناسياً حصانة السماء لمن تدرع بالقوة الروحية، ومعللاً خيانتة لله، بانتظار وحدة قومه، أو تحصيل قوة مادية، ناسياً أنه مهما حصل عليها، فأعداؤه يحصلون على أضعافها، فلا تجديه ماديته، مع تضاعف ماديته عدوه، إذا لم يقترن مع قوته المادية قوة روحية، كما يطلب الله منه.

وسابعاً: إن هذه الآية الكريمة توجب على المسلم المؤمن أن يكفر بما يناقضها من الأوضاع البشرية كافة، فيكفر بجميع أنواع الطاغوت، من سائر المسميات الشخصية والمذهبية، يبغض كل معبود من دون الله، ويكفر به، ويبغض كل مشرع من دون الله، ويكفر به، ويبغض كل مذهب أو مبدأ أو نظرية، مخالفة لدين الله تقتضي تحكيم غيره، أو العمل لغيره، من قومية، أو وطنية، أو أي مذهب مادي، نبشته اليهودية العالمية من مزابلها الفكرية، كالشيوعية وفروعها المزعومة بالاشتراكية، فيعادي جميع ذلك، ويحاربه بلا هوادة، ليحقق مدلول هذه الآية، ويكون مخلصاً لله، صادقاً معه لا يلتقي مع

أعدائه في أي عقيدة، أو فكرة، أو خلق، أو سلوك؛ ليحصل على قيمة حياته، ويجني ثمرة جهاده وبذله.

أما من سائر الركب المادي الذي تحركه اليهودية العالمية وتسيره، فإنه بعيد عن عبادة الله، شارد عن نصره ومدده، حارم نفسه من الحرية التي وهبه الله إياها، ورابط لها بحبال الرق المختلفة الأسماء والألوان، حسب المعسكرات الشرقية والغربية، فما أبعد من الوفاء مع الله!! وما أحرمه من نيل التقدم الصحيح، والعز الصحيح، والحرية الصحيحة، والحياة الطيبة الفاضلة!! بل هو أضل ممن يسير مع السراب.

وثامناً: إن هذه الآية الكريمة التي ضمنها الله جميع معاني وحيه، ومعاني الحكمة، التي خلق بني الإنسان من أجلها، جميع مدلولاتها صافية صفاء لا يشوبه أي غموض، ولا اشتباه، ولا يعتره أي صدى أو غبار، فلا يحتاج أهل هذه الآية إلى زعنفه ملحد تبرزه اليهودية العالمية بمذاهبها وأفكارها، وأحاييل مكرها، فيزعم أن الدين يحتاج إلى تجلية جوهرها، بل إن الدين الصحيح المستمد من مدلول هذه الآية واضح كل الوضوح، صاف كل الصفاء، لا يعوزه إلا من يحملة بصدق وإخلاص، وقوة ومبالغة في التضحية الواجبة لله - تعالى - بخلاف الأديان المزعومة الأخرى، من يهودية ونصرانية، ومجوسية وغيرها، فإنها مجرد افتراء على الله، وأغلبها من مكر اليهود وغشهم، ومع ذلك فمهما حاولوا تجليتها، فإنهم كمن يغسل الدم بالدم؛ لأنهم يعالجون الباطل اليهودي، بباطل يهودي جديد.

أما الدين الإسلامي، فلو لم يكن فيه إلا هذه الآية، لكفت أهلها بوضوح معانيها، وصفاء جوهرها، اللغوي والمعنوي، بحيث لا تحتاج إلى تأويل خارج

عن وحي الله، بل يكون ذلك التأويل تحريفًا يهوديًا، وجناية إلهادية، تكون جريمة صاحبها أعظم من جريمة الزاني، والسارق والقاتل؛ لأن الفتنة: فتنة الناس عن دين الله الحق ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] و﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فما أجلى هداية الله وأبلغها لنا بهذه الآية الكريمة، التي يجب علينا أن تكون غاية هدفنا، ومنتهى أملنا، ومبلغ علمنا، ومنتهى قصدنا، وأن نحصر جهودنا في تحقيق معانيها، ونبذل النفس والنفس لحمايتها من كل محرف دساس، وأن يعتبر كل واحد منا نفسه أنه على ثغر من ثغور الإسلام، فيعمل جاهدًا ويقف ليثًا صائلاً، حتى لا يؤتى الإسلام من قبله، ومن كان مع الله، كان الله معه.

وكيف يحتاج الدين الإسلامي إلى تجلية جوهره، كما يريده ملاحده اليهود، والشيوعيين، وتلاميذهم، وآية واحدة من كتاب الله، وهي هذه جمع فيها ما هو موجه إلى الظاهر والباطن، الظاهر: قول اللسان، اعترافًا وضراعة، والباطن: تحقق القلب بجميع مقتضياتها ولوازمها، وجمع فيها بين الخضوع والانقياد، باطنًا وظاهرًا، والصدق والإخلاص التام لله بجميع حقوق الدين في كافة شؤون الحياة وملابساتها.

فهذه الآية تملأ قلوب العازمين الصادقين، أمنًا، وإيمانًا، ويقينًا، وهداية، وتعبدًا لله، وتألها له، طبقًا لأوامره، ووفق ما يحبه، كما تملأ القلوب إنابة إليه، ومراقبة له في كل الأحوال، ولجوءًا إليه في كل النوازل والمهمات، وتحشوها وجلًا من ذكره، وطمأنينة بمعرفته، وتوجب للعبد قوة التوكل، وتتمام الاعتماد على الله، والاستعانة به، في مزاولة جميع الأعمال: الدينية

والدنيوية .

وكلما ضعفت إرادته، أو وهنت قوته في محاولة أي مهمة، أمدته هذه الآية بقوة قلبية، تجعله يستهين بالمصاعب، ويستخف بما أمامه من القوى المادية الشريرة، وكلما أحاطت به المخاوف، كان إيقانه بهذه الآية حصناً حصيناً، يلجأ إليه، فيطمئن قلبه، وتسكن نفسه، لقوة إيمانه بأن الله ناصر المؤمنين ومنجيهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] كما مدح الله أسلافنا، بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

وكلما انطبع المؤمن بهذه الآية، وتكيف بها، فقصر منهله على وحي الله، واتجاهه إلى الله، اكتسب العزة والقوة والشجاعة القولية والفعالية؛ لقوة يقينه أن الله هو: النافع، الضار، المعطي، المانع، وأن من اعتر به فهو العزيز، ومن اعتر بغيره فهو الذليل، فلا يرجو غيره، ولا يخاف سواه، وبذلك يتم له التحرر من رق المخلوقين، ويشمخ برأسه عن الخضوع لأعلى قوة أرضية، أو الخوف منها، أو التعلق بها، عكس الذين يزعمون التحرر، وهم قد انتقلوا من رق إلى رق، وارتبطوا بعجلة، بدل عجلة، أو صاروا تبعاً لمعسكر، بدلاً من معسكر آخر، بل يكون مرتبطاً بالله، متعلقاً به وحده، فيتم له من كفاية الله، وتيسير أموره في جميع الشئون، ونصره في جميع الملهمات، ما لا يتم لغيره، ممن يسير على غير هذه الآية.

كما أن من ثمرات هذه الآية، تسلية أهلها عند المصائب، وتهوين الشدائد عليهم، وكونهم لا ينتابهم جزع ولا هلع؛ لأنهم منطبعون دائماً بوحي الله:

﴿الْيَسَّ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] ، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ، ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ، ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] إلى غير ذلك مما يسلي القلوب ويقويها، ويجعلها تستهين بالصعاب، ولا تبالي بالنوائب، بل تفتش عن ذنوبها، التي هي السبب في حصولها، لتعالج الشيء من جذوره، فلا تثبت القلوب عند المزعجات، وتطمئن عند المكروهات، إلا بقوة الإيمان، ولا تقنع وتسلم من شرور الأنانية إلا بعدته، ولا تصدق معاملة العبد مع الخالق والمخلوق إلا بسببه، ولا يعصمه من انحلال الأخلاق المفضية إلى الهلاك إلا هو.

المنطق الشيعوي في تفسير المادة:

هذا التعليم من الله لعباده بتكرار الضراعة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، إيقاف لهم عند حدهم عن الشرود بفكرهم إلى فلسفات مبتكرة متعجرفة، يتطلب الوقوف على حقائق الوجود جميعًا، والتعرف على كنه الخالق، ومعرفة قوانين الخلق جميعها، وتعليل كل منها بعلة مادية وطبيعية ونحوها، مما يسميه الماديون: حتمية التاريخ، إما غلطًا، وإما زورًا ومكرًا شنيعًا، فالله أراح عباده بإيقافهم عند حدهم، وإقرارهم بالعجز، والاعتراف بعدم قدرتهم على النفوذ إلى أسرار الوجود، وتفسير الكون، لئلا يقعوا في سفسطة المنكرين للحقائق، ويشردوا في متاهة الإلحاد، كما شرد كثير من الفلاسفة قديمًا، والشيعويين وأتباعهم أخيرًا.

ومن رزقه الله العقل السليم، عرف عجزه عن معرفة كنه نفسه، فلا يطمع في معرفة ما هو أكبر منها وأعم وأشمل، بل يجزم بكل يقين أنه لم يعرف من الحياة إلا قشورها دون اللباب، ويرى وجوب الاعتراف بالعجز والتقصير، فيقف حيث أوقفه الله، ويحصر تفكيره على خلق السموات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وأن الله لم يخلقهما باطلاً، بل خلقهما بالحق وأجل مسمى، ويعتبر بآجال من يراه من البشر، ويتفكر في آثار الماضين، وكيف كانت عاقبتهم، وهم أشد قوة وعمارة للأرض من الآخرين، ويتفكر في أسرار النبات الذي يُسقى بماء واحد، وتمده تربة واحدة، كيف يفضل الله بعضه على بعض في الأكل، وغير ذلك مما يغرس في قلبه تعظيم الله، وإجلاله، وتقديسه، وإكباره.

وينظر في ترادف نعمه وتسخير له كل شيء، فتنفرد محبة الله في قلبه وتزداد، فيكون مشغولاً بحبه، منشغلاً بذكره، قائماً بأمره، منفذاً لشريعته، محترماً لحدوده، فإن سلطان الدين، هو محراب القيم الإنسانية الخيرة، المرتبطة بالوجود، يدعو إلى التأمل والتفكير في مخلوقات الله، ونعمه السابغة، فيريح الفكر، ويدخل الطمأنينة على النفوس العابدة لله.

وأما عباد المادة، وأتباع شياطين الجن والإنس، فإنهم يلغون ذواتهم؛ لأنهم لما نسوا الله؛ أنساهم الله أنفسهم، فأخرجوها من رحمة الله إلى عبودية من يخنق مؤهلاتهم الفكرية والعملية، ويسلب حريتهم، ويجعلهم كالألات المدارة، أرقاء لطواغيت النزوات، وعبيداً لأحط النزعات والشهوات، فكأنما هم مقادون إلى حتفهم، مساقون إلى مصارعهم بتأثير العوامل الاقتصادية. ولما أسلموا وجوههم لغير الله، مسخت المادة منهم أقدس الجوانب

الإنسانية التي هي الجانب الروحي، ولم يبق منهم سوى آثار الصلصال الفخار، وصاروا يسيرون وراء السراب والإفك الماركسي المضحك، الذي جعله الشيوعيون كقواعد جدلهم الإلحادي مما أسموه: (قانون الترابط والتفاعل الشامل) ، (وقانون التحول والنمو المستمر)، (وقانون التحول النوعي) ، (وقانون نضال الأضداد، المعتبر كدافع لكل تحول) مما يريدون به قصر الإيمان على السببية دون المسبب، ودون الاعتراف بما يؤول إليه هذا الترابط من الحقيقة الحتمية الشاهدة بوجود الخالق، باعث الحياة، والمسير الأول لكل شيء وإنما يريدون من الترابط والتفاعل، مجرد الاعتقاد بوحدة العالم، معارضة لفكرة الخلق، وفضل الخالق واجب الوجود، وخالق الموت والحياة.

والعلم الصحيح يسلم - حتمًا - بأن الكون فيه من الاستقلال الذاتي ما قد يكون معه مرتبًا أو ليس مرتبًا بغيره، بحسب طبيعة الوجود والمكان والزمان، ومن يعرف الشيء البسيط عن الإنسان، يراه بداهة أنه مخلوق مستقل فكريًا، وعاطفيًا، وعقليًا، وإن انعكس عليه أثر الوسط الخارجي، قال بعض الخبراء: وإن تشريح الجملة الدماغية للإنسان، يوقفنا على خصائص كل جزء، بل كل خلية من خلايا الدماغ، فهناك منطقة الذاكرة، ومنطقة الرؤية، ومنطقة الذكاء، وبالرغم من وجودها ككل، فكل مركز من مراكز الدماغ يشرف على عمل ذاتي يؤديه مستقلاً، وإن أي تخريب يحدث في مركز من المراكز، فسيؤدي إلى فقدان الوظيفة القائم عليها، دون أن يسبب أي خلل في باقي المراكز!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن استقلال التفكير والشخصية الفردية،

ترينا أن من المستحيل أن نجد مخلوقين يفكران بطريقة واحدة، ويتصرفان بأسلوب واحد، ويصلان إلى هدف بعينه، دون اختلاف ضمني ذاتي، وستبقى فكرة الترابط والتفاعل - بالطريقة المعطاة من قبل الفلسفة الماركسية - أعجز من أن تحقق الهدف الذي أريد لها.

وهكذا نجد في فكرة الاستقلالية الموجودة في حقائق كل جوهر وعنصر من عناصر الأشياء، والقائمة في مدار كل ذرة من ذرات السكون، تشكل استقلالاً ذاتياً معقداً، لم يبلغ الإنسان - على ما بلغ من التطور - النفوذ إلى كنهه، مما يجعل مبدأ الترابط، إدانة لأفكار مبدعي الماركسية، القائمة على مغالطة الفكر وتضليله بحجج واهية، من اختلاف الخيال الذاهب بعيداً في تصوراته، ومن ادعاء فكر مريض، يحاول أن ينصب من الأوهام وجوداً حقيقياً.

وليس هذا فحسب، بل إن فكرته في مبدأ (الترابط والتفاعل) لا بد أن تصل إلى نتيجة تعكس حقيقة وجود الخالق (المحرك الأول) والباعث الوحيد لهذه القوى الطبيعية الكونية، كالميكانيكية، والفيزيائية، أو ظواهر علوم الطبيعة والكيمياء، الكامنة في مظاهر الحياة. انتهى.

وأما الذي يسمونه بقانون التحول والنمو المستمر، فهو منبثق من نظرية (داروين) تلك النظرية التي لا تَطْرُدُ على كل شيء، ولكن الشيوعيين تساقطوا عليها، لغرض خبيث في نفوسهم، متعامين عن مغايرتها للحقائق، ليلبسوا على الطغام أن كل شيء خاضع للعوامل الطبيعية، وأنها تؤثر على غيرها ولا تتغير، وهذا مكابرة للحس وخبط وتناقض؛ لأنها إذا لم تتغير، فليس التحول عامًا كما يزعمون، فهم لم يراعوا أمر المطلق والنسبية، إذ كل شيء نسبي في الحياة، والمطلق لا وجود له على ظهر هذه البسيطة، ولكنهم لشدة إلحادهم،

آمنوا بالمطلق، وعمموا عليه صيغة التحول، وطبعوه بطابع التبديل. وهذا - ولا خلاف - إخفاء للحقائق وتشويه للواقع، فالجوامد غير الإنسان، والموت لا يمكن أن يدخل في قانون الأحياء، والمادة هي لا تختلف ولا تتبدل، كما هو ثابت في القوانين الكيماوية، وتفاعلاتها التي جبلها الله عليها، فالحديد لا ينقلب إلى ذهب، والنحاس لا ينقلب إلى قصدير، بل يبقى كل من هذا وهذا محافظاً على ماهيته بالوزن والجوهر، مهما طرأ على صفاته من تبدلات فيزيائية، اللهم إلا إذا أدخل في نطاق التفاعلات النووية، فإن ما يحصل من تفاعلاتها لا يدخل تحت الجدول الكاذب في قانون التحول قطعاً. وإنما تبنى الشيوعيون هذا المبدأ الجدلي بشكله المغاير لحقائق الحياة والمجتمع؛ لأنهم طرحوا الجانب الروحي في المجتمع طرحاً كلياً، هادفين طمس القيم والتعاليم السماوية، فأرادوا التستر بذلك الجدول تحت ستار العلم، ليملئوا الدنيا ضجيجاً بأن (الكل مادة) وقيسوا الإنسان على الجماد والنبات، ولا يجدوا سائلاً يسألهم، هل تنقلب المادة الجامدة إلى حياة عضوية، وتكتسب روحاً وملكات فكرية؟ وهل يتحول الإنسان إلى مادة جامدة؟ أو أنه سيبقى ذلك الكائن الراقى، الذي كرمه الله؟ ولو سئلوا، فهل يفرقون بين التكيف وقوانين التحول؟ أم يغالطون فيسوون بينهما؟ مع أن التكيف هو: حالة من التأقلم مع وسط خارجي، واكتساب بعض معطياته، فستان بينه وبين التحول في عرف الشيوعيين الجدلي.

وما زعموه من التحول النوعي، فهو أشد إضحاكاً من الأول، وأعظم جنابة على العقل، وخيانة للعلم بالتلبيس الجدلي، حيث قاسوا المجتمعات الإنسانية على التفاعلات الفيزيائية، وهذا من أفسد القياس؛ لوجود الفوارق،

فضلاً عن الفارق، بل تجنبوا على الأرقام الحسابية العددية في علم الجبر ونحوه مما لا يقبل الجدل والمغالطة تبريراً لما يأتون به من أفكار خبيثة عدائية للشعوب، وإثارة بعضهم على بعض، ومن رجع إلى العلوم الرياضية استبان له أخطاؤهم المضحكة، وجناباتهم على العلم مما لا يسوغ لنا التعرض له في مثل هذا التفسير.

وأما سخريتهم الرابعة بالعقول وهي: نضال الأضداد، فهو محور الفكر الماركسي ومنطق ماديته العرجاء، وهو يرتكز على أن ماهية الأشياء تحتوي على متناقضات داخلية من سلب وإيجاب، وقد سبقهم على إلحادهم في ذلك الفسلفة الإغريقية من أيام (هرقليطس) الموصوف بفيلسوف التغير وعدم الثبات، وكذلك (الهيكلية) أيضاً، لكن الماركسية وجدت في كلتا الثنتين مناط رجائها وحل عقدها، فأخذت منها الجانب السلبي طلباً لغايتها الملعونة، من نفي فكرة الخالق؛ لإقناع الغوغائية بأن للمادة قوة ذاتية تحركها وتحولها على أساس أن التناقض فيها هو الوجود في حد ذاته، حتى زعموا أن في المادة قوى دائبة التصارع باعتبارها في طبائع مختلفة، ومن هنا يحدث النمو والتطور في الكون والطبيعة والإنسان، لكن تعاملوا عن مودع هذه القوى في المادة. ثم إنه: هل يقر العقل الإنساني أن بالحجارة - مثلاً - قوى تتصارع؟ وهل الحجارة تنمو كالطبيعة الحية، تكبر وتتطور؟ والكل يعرف بداهة أن الحجارة تتفتت ولكن ليس بفعل عوامل داخلية ذاتية وإنما بفعل المؤثرات الخارجية من تبدل الحرارة وفعل الرياح والأمطار، والنبات ينمو لكنه لا يملك القوة الداخلية المحركة، وإنما نموه بفعل الوسط الخارجي من تغذية وتنفس وانعكاسه على النبات بدور التمثل الذي يلعب الدور الأكبر، بتطوير العوامل

الذاتية التي تتضمن نمو النبات، وكيف يكون لشجرة (السنديان) وهي تشكل وحدة نوعية في تركيبها أن تنتج - بفعل عوامل المتناقضات - ثمار البلوط؟ على أن الأمر أشد صعوبة إذا انتقل بالتطبيق إلى دراسة الإنسان الذي اعترف كبار الباحثين بعدم إدراك كنهه وعقله، وإن خلايا المخ ليست هي العقل كما يزعمه المجادلون، الذين لو رجع كل واحد منهم إلى ذاته وإلى النفس البشرية التي هي بعيدة كل البعد عن المادة لانكشف له خطأ مزاعمه، ولما أصر واحد منهم على أكذوبته من أن العقل هو المادة المفكرة، والفكر نتاج صراع الأضداد.

ولكن أنى يرجى منهم التعقل وهم مبالغون في المغالطة بقولهم: إن الرجل الذي يدرس هو جاهل، ويحتاج للمعرفة في نفس الوقت ويجيبون على أنفسهم بأنفسهم فيقولون: إن درسه يشمل النضال ويشمل تصارع الأضداد فما هذا اللعب بالأفكار؟ أين هم من المنطق فضلاً عن الحقيقة؟ فهل الدرس موقوف على وجود الجهل؟ كيف عموا عن وجود حب المعرفة وعن فعل الهداية، وعن الانطلاقة النفسية الاستقلالية وعن القدرة الذاتية؟! وأي نوع من التناقض ونضال الأضداد يحصل من دراسة الرجل الذي يمثلون به في مخيلاتهم البديعة في الافتراء؟!!

والحقيقة أن الباعث المحرك والدافع للتغيير ليس هو مجرد تناقض بين ضدين - الإيجاب والسلب - وإنما هناك عديد من العوامل الخارجية الداخلية: كالقابلية، والحاجة، والفطرة والغريزة، والميول، وغيرها من الدوافع كما أن هناك الإمكانيات، ولو سلمنا جدلاً وجود صراع بين المتناقضات فإنه لا يوصل دائماً للغاية التي يقررها هؤلاء الملاحدة، ولا موصل للكمال كما يزعمون،

بل قد يكون موصلًا للهلاك بسبب الغلبة في التقاتل والتدمير، وليس عندهم دليل على تصارع الأضداد سوى الأزمت والأحداث السياسية، وهذه ليس سببها الصحيح ما يزعمونه من تصارع الأضداد، بل هذا تنافس وتشاحن قد يحصل مع القريب والحبيب سببه تفاوت الأفكار أو التنافس على القوى المنتجة، أو التشويق أو الإعجاب بالقوة والطمع في التوسع.

ومن عجيب ألعيبهم في الفكر وجنائتهم على العقول قولهم بوحدة تصرف الأضداد المتصارعة، وهذا إفك يفضحه العلم المادي بالتجارب الفيزيائية، فضلاً عن تصور العقول السليمة، والنظر في الواقع المحسوس، فإن اجتماع المادة بنقيضها يؤدي إلى انفجارهما وتلافيهما جميعاً، وهذا طبق ما يقع في صفوف المجتمع الإنساني، وإذا كان الماركسيون يؤمنون بوحدة المتناقضات بعد الصراع فكيف يجرون القتل الجماعي والإبادة لمن يضادهم في فكرتهم؟ ألا يمهلون خصومهم للانسجام والوحدة التي لا تنفصم؟ ولكن خبطهم في الهرج يثبت فساد أفكارهم، وسوء معتقدتهم وأخلاقهم.

وهداية الله لعباده في ضبطهم عن الشرود الفكري وإيقافهم عند حدهم، وتوقفهم عند ما خلقوا له هي المسعدة لهم، والحافظة لأوقاتهم وأموالهم وسائر طاقاتهم من الضياع فيما لا ينتج لهم الفائدة التي يطلبونها ويتطلعون إليها تطلعاً أنانياً خارجاً عن الفطرة كما حصل للذين هم عن آيات ربهم معرضون.

وقد حمى الله عباده عن الشرود الفكري بإيقافهم عندما أوقفهم حين سألوا نبيه ﷺ عن الأهلة وعن الروح فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال ﷺ في النجوم: «إنها زينة للسماء ورجوم للشياطين»^(١) أي: قفوا عند هذا الحد، وفي صفات الذات والأفعال لله قال عنها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ليقفوا

عن البحث والخوض ويؤمنوا بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل.

وكل من شرد بفكره في الذات العلية فأنكرها طالبًا للحس والمادة كالملاحدة من الشيوعيين وغيرهم، اضطربوا واتخذوا آلهة من البشر زادوا شقاءهم وتعاستهم، وجروا الويلات على أنفسهم وعلى غيرهم من الشعوب، ومن شرد بفكره في الصفات الإلهية واتبع ما تتلوه شياطين الإنس، أفراخ اليهود، كطالوت ولبيد بن الأعصم معلم الجعد بن درهم، وجهم بن صفوان ومن على شاكلتهما ممن خلطوا ينبوع المحمدي الصافي بقلوط^(٢) المنطق اليوناني، وأشركوا فلاسفة اليونان برسالة محمد ﷺ، بل أكثرهم فضل قوانين منطقتهم على وحي الله حيث جعلها تفيد اليقين، والوحي لا يفيد بزعمهم.

فماذا يبقى من الإسلام بعد هذا؟ وقد أحدثوا في الأمة شيعًا ومذاهب كثر بينهم الجدل والشقاق، وأخذوا ينزون أهل السنة بالألقاب الشنيعة، ففسحوا بذلك المجال للعابثين المغرضين من كل نوع.

حسم الأنانية وكبح النزوات:

تحقيق القيام بمدلولات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقضي على

(١) روي هذا من قول قتادة موقوفًا عليه. أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق. باب في النجوم.

(٢) قلوط: هو النهر الذي تلقى فيه الأوساخ والقاذورات.

الأنانية التي مازالت علة العلل في فساد الأمم وهلاكها؛ لأنها تجر إلى الأثرة والطماعية^(١) والحسد والطغيان، وتجعل من جميع الأمم أفرادًا لا يشعرون إلا بمصالحهم الخاصة، مهما كانت على حساب غيرهم، ولا يتجهون بأفكارهم إلا في سبيل مصالحهم الشخصية وأغراضهم النفعية، وما يعود عليهم بالنجاح في تقلباتهم ذات اليمين وذات الشمال، غير مبالين بما يصيب غيرهم في سبيل تحقيق أغراضهم، فهم لا يهتدون سبيلًا غير سبيل الاستعباد للناس واحتقارهم، والاستعلاء عليهم، وابتزاز أموالهم بشتى المذاهب المادية وسائر الأحابيل.

فهذا الطغيان الأناني هو سبب جميع النقائص الاجتماعية، بل هو سبب تفكك الوحدة الإسلامية عامة، والعربية خاصة، وهو مصدر جميع الهزائم والنكبات منذ أن وقف المسلمون على مشارف مدينة (باريس) رافضين نصائح قائدهم المؤمن عبد الرحمن الغافقي الأزدي، حتى نكباتهم في الشرق الأوسط على أيدي التتار أولاً والصليبيين ثانيًا، ونكباتهم في الأندلس والمغرب الأقصى والشرق الأقصى وغيره.

كل هذا سببه الأنانية التي استحكمت بسبب عدم تطبيقهم لمذلولات هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والأنانية هي التي تنوء بالحكام عن الوحدة الحقيقية والاتحاد الصحيح، لما يحمل بعضهم على بعض من الإعجاب والتعالي، وهي التي تحمل الموظف والطبيب على الرشوة؛ ليقضي كل من هذا النوع حاجات نفسه من المال الذي لا يمكن أن تشبع منه أبدًا.

والأنانية هي التي تحرس الإنسان عن النطق بكلمة الحق خصوصًا العالم أمام

(١) الطماعية: من مصادر طمع.

الحاكم، حرصاً على جاهٍ مزيف يستهويه، أو حرصاً على وظيفة يسترخص بها نفسه، ويبيع بها دينه، وهي التي تحول المحامي إلى خائن مدافع عن الباطل يجعل ذمته جسراً لكل خصم ظالم، وهي التي تحول دون الأغنياء ودون تفكيرهم في حال الفقراء والغارمين وهكذا، ويكفيك أنها ذهبت بأكثر البلاد التي فتحها أجدادنا الفاقدون للأناية المسعورة.

فمن فوائد تحقيق مدلولات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنها توجه تلك الأناية توجيهاً صالحاً يجعلها مفتاحاً لعظمة النفوس، وسمو الشخصية، والإخلاص في الطموح، ولا تجعلها تطفئ فتحدث هذا التزعزع والتفكك وهذه الهزائم المتلاحقة؛ لأن طغيان الأناية يكون في نفس كل زعيم ورئيس شعوراً خاطئاً بامتيازته، أو امتياز أمته أو شعبه، كما يكون هذا في الأمم والشعوب بعضها على بعض، حتى يجعل بعضهم يستعين بأخبت أعدائه على بعض، وحتى يحمل ذلك بعضهم على الاعتداء على أراضي غيره وممتلكاته، فيحدث حرباً ضروساً، ويهلك عدداً كبيراً من البشر.

فلا بد للمسلم المؤمن أن يكون صادقاً مع الله - سبحانه - في تحقيق مدلولات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإننا إذا صدقنا مع ربنا في تحقيق ذلك أصبحت فرديتنا قد انصهرت أنانيتها في سبيل المجموع الإسلامي الصحيح، وامتزجت بحاجياته، وانغمرت في صالحه، ولا نحس لعملنا قيمة إلا إذا كان من ورائه نفع لإخواننا المسلمين أينما كانوا، وكيف كانوا ولا نحس لجهودنا ثمرة أو فخراً إلا بقدر ما تجلبه على المسلمين من إيصال خير أو دفع ضرر.

وهذا التوجيه للأناية هو الغاية التي عمل لها الرسل - عليهم السلام -

وأرشدوا إليها بحيث يكون سعي المسلم لعظمة شخصيته، وتحقيق إنسانيته المؤمنة عن طريق البذل والإيثار والتجرد عن كل غاية وهوى، وقلب أنانيته إلى شعور يجعله يجد اللذة في عذابها من أجل سعادة إخوانه المسلمين المؤمنين، ويجد عزتها في انكسارها من أجل رفعة مستواهم وإعلاء شأنهم في حب الله ورسوله.

لقد شهدت الأرض نماذج كثيرة كبيرة من هذا النوع على يد الرعيل الأول الذين تخرجوا في مدرسة رسول الله محمد ﷺ في مسجد الطين والعريش، ثم من الصالحين التابعين لهم بإحسان، ولا يمكن أن يعود إلى الأرض ما فقدت إلا بعودة العقيدة المحمدية الحنيفية، تلك العقيدة التي تجعل من ضمير المسلم المؤمن رقيباً باطنياً يراقبه في كل قول وعمل، ويخوفه من عقوبات الله العاجلة والآجلة.

فالعقيدة الحنيفية الحققة هي التي تحقق الأنانية وتعيد إلى الأمة وحدتها وعزتها وكرامتها وتستمطر لها مدد السماء بالعز والنصر والتمكين، فتسترجع فتوحات أجدادها العظيمة بدلاً من عجزها عن قضية فلسطين، وهي التي تحقق الحرية تحقيقاً صحيحاً بدلاً من حرية التسيب للأشخاص، وإسبال أثواب القداسة على أفعالهم والدعاء لكل سفاح وطاقوت فوق منابر المسلمين.

وهي التي تحقق المساواة بالشورى الصحيحة والمناصحة من كل فرد مهما كان، بدلاً من انقلابها إلى (أتون) تحت شعارات تصنيف الرعايا إلى أبناء شعب، وأعداء شعب، وإلى تقدميين ورجعيين وإمبرياليين، وما إلى ذلك من المصطلحات الماسونية اليهودية التي حشيت بها أدمغة المعرضين عن وحي الله، والشاردين عن تحقيق مدلولات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فما أشقى أهل الأرض بأولئك!! وما أحوجهم إلى الوقاية من شرور الأنانية والشهوات بالعودة الصحيحة لتحقيق مدلولات هذه الآية!!
بين تقديمية صادقة وتقديمية زائفة:

القيام الصحيح بتحقيق مدلولات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحقق التقديمية الصحيحة للأمة الإسلامية - وعلى الأخص العرب - الذين هم حملة لوائها، والذين ربط الله مصيرهم بحمله وتوعدهم على تركه بشيئين:

١- الذل المتواصل الذي لا ينزعه عنهم حتى يعودوا إلى حمله.

٢- استبدالهم بغيرهم من الأمم وألا يكونوا أمثالهم.

فهذه الآية الكريمة من فاتحة الكتاب الكريم مشعرة تمام الإشعار بالتقديمية الصحيحة في جميع مجالات الحياة، أول ضروب التقديمية حصر العبودية بجميع أنواعها لله - تعالى - : من حب، وتعظيم، وخوف، وخشية، وطاعة، وإخلاص، وإسلام الوجه له - تعالى - دون غيره، وكون عبوديته - سبحانه - تمنع تعبيد النفوس لأي طاغية من طواغيت الإنس والجن وإسلام الوجوه لأي سلطان لم يأذن به الله؛ بل حصر التلقي الذي تتغذى به العقول على وحي الله دون غيره من الأفكار البشرية التي أغلبها من غش اليهود، كما أن عبودية الله الصحيحة التي يرتضيها لا تسمح لأي نظام كهنوتي أن يتدخل بين البشر وبين الله - كما سيأتي توضيح ذلك في موضعه في سورة آل عمران - بل تجعل الفكر الديني قائمًا على صلة الناس بالله صلة روحية، كل يتوصل إليه بالأعمال الصالحة المرضية له، ويدعوه ويرغب إليه في حاجاته تضرعًا وخفية دون أي واسطة من الأحياء أو الأموات ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤] وسيأتي تقرير ذلك عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

سَأَلَكِ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿البقرة: ١٨٦﴾
 وعبودية الله وفق وحيه تقرر عدم اشتراك أحد بخطيئة أحد، ولا ارتباطه أو
 تأثيره بها، لا خطيئة آدم كما تزعمه الكنيسة المقترية على الله، ولا خطيئة غير
 آدم بل ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾
 [فاطر: ١٨] فليس في عبودية الله الصحيحة شيء من مرجعات المقترين على
 الله أبدًا؛ بل هي جديدة توافق المعقول الفطري الصريح غير المتبلور بالغش
 والدجل.

وعبودية الله الصحيحة توجب على أهلها مواصلة الجهاد والزحف المقدس
 لإنقاذ البشرية جميعًا من استعباد الطواغيت والظلمة، وحشو قلوبهم بالنور
 الإلهي لإصلاح ضمائرهم وشفائها من مرض الشبهات والشهوات، وكبح
 طغيان الأنانية المسعورة، وإعلاء كلمة الله في الأرض؛ حتى لا تتحكم في
 رقاب أهلها ومصائرهم أي جماعة من البشر الذين يفترسون الحكم بالقوة
 ويزعمون أنهم أبناء الشعب وحماة مصالح العامل، الرافعون رأسه، وهم قد
 رفعوا رجليه ونكسوا رأسه، كما أن عبودية الله لا تسمح لأحد أن يؤله نفسه
 بتشريع الأنظمة والقوانين بل تحصر جميع الأحكام التشريعية لله؛ حتى لا
 يكون مدخل للظلم والظلام على البشرية.

ثم إن عبودية الله فيها القوامه الصحيحة لحفظ جميع دعائم المجتمع التي:
 أولها: حفظ الوحدة وحياطة الاتحاد بوحدة العقيدة وكونها هي الحاكمة
 المهيمنة على الأرواح والجوارح، وإيجابها قتال البغاة والخوارج الذين يحاولون
 الشغب أو شق عصا الوحدة، وتحريمها الخروج على ولي الأمر بدون صدور
 كفر صريح بواح واضح منه لا شبهة فيه، كل هذا حفظًا للوحدة.

وثانيها: صيانة العقيدة من دسائس الإلحاد الذي تقذف به اليهود، وقتل الملحد المرتد والداعية إلى الردة؛ لأن في ذلك أعظم سبب لشق عصا الوحدة.

وثالثها: حفظ النفوس بمشروعية القصاص حتى لا يطمع أحد في قتل أحد إذا جزم أنه مقتول به، بخلاف استبقائه بأن مصيره سجن يأكل فيه ما يشاء، ويقراً فيه ما يشاء، أو يدافع عنه محامٍ ظالم؛ فتخفف عقوبته.

ورابعها: حفظ العقول والقلوب بتحريم كل مسكر ومخدر ومفتر مهما اختلف نوعه أو اسمه ما دامت هذه صفته، إذ لا عبرة في الدين للأسماء فهو قد حرم كل ما هذه صفته، وأوجب الجلد على تناوله ردعاً له وتربية يرحمه بها، حيث لم يرحم نفسه ولم يحترمها، بأن سعى إلى هدمها بالجنون أو التخدير.

وخامسها: حفظ الأجسام بتحريم تناول كل ما يضرها في صحتها على وجه اليقين، أو كراهته إذا كان محتملاً، حتى إنه نهى عن الإسراف في الأكل والشرب، وأرشد إلى التثليث في ذلك: ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس^(١)، مما لو عمل به الناس؛ لقلت العيادات الطبية والصيدليات، ولكن

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، والنسائي في الكبرى (١٧٧/٤). رقم (٦٧٦٨)، والحاكم في المستدرک (٣٦٧/٤)، وابن حبان في صحيحه (٤١/١٢) رقم (٥٢٣٦).

من طرق عن يحيى بن جابر عن المقدم بن معدي كرب به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ.

قلت: قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (١٣٣/٩): يحيى بن جابر الطائي القاضي روى عن المقدم بن معدي كرب مرسل.

اتباع الهوى يصد عن اتباع الأوامر .

وسادسها: حفظ الأنساب والأحساب وتطهير البيوت من الفواحش بتحريم الزنى وإقامة حدود الله على فاعله بدون رافة؛ لأن الرافة بالزاني ليست رحمة وإنما هي دياثة وقوادة، إذ عرض كل امرأة مزني بها عرض لكل مسلم يجب أن يغار عليه، وأن يعتبر الرحمة في إقامة الحد لا في إسقاطه، وليس أحد أولى بالرحمة من أهلها المجني على شرفهم والمهدرة كرامتهم .

فهذه هي التقديمية الصحيحة، لا تقديمية المفسدين في الأرض، المرخصين للأعراض الكريمة الغالية، والناصبين أنفسهم ديوثين وقوادين على أعراض الشعوب بتسهيلها لكل فاسق، وإرخاصها بتشريع القوانين المعفية للزناة من إقامة حدود الله، فهو لاء رجعيون في الحقيقة، قد أرجعوا أنفسهم وأحوالهم إلى الغابرين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ١١، ١٢] ورحمتهم بالزناة أحسن من رحمتهم للقاتل الذي أيتم أولادًا وأيم نسوة وفجع أسرة أو عدة أسر يجب أن يكونوا أولى بالرحمة منه، ولكن العقول المارجة بما اجترمه من حشائش الأباطيل الاستعمارية لا ينصر الحقيقة على وجهها .

وسابعها: وقاية الأمة من اقتراف الفواحش بتحريم التبرج وإظهار المفاتن من الجسد أو الزينة الجذابة، وإيجاب الاحتشام في اللباس، ومنع الاختلاط، بل منع نعومة الكلام من المرأة حتى لا يطمع بها من في قلبه مرض، وهذا شيء يسلم به كل عاقل عقلاً فطرياً ويوجبه؛ لأن الوقاية خير من العلاج، لا يجيد عن هذه القاعدة عاقل صحيح، وأما الذين تحجرت عقولهم فقد مرج تفكيرهم، وحادوا عن هذه القاعدة الأساسية؛ تقليداً للغربيين تقليداً يقده في

أصل عقيدتهم بل يزيل شخصيتهم المعنوية بحيث لا يبقى معهم منها بين الأمم سوى الاسم الصوري بلا حقيقة، ولا ريب أن التقليد وصمة عار عند من يعقل عقلاً فطرياً؛ لأن فيه تشتمل التبعية الممقوتة، فصاحبه تابع لكل جبهة وطرف، منسلخ من أصالة العقيدة وحرية التفكير واستقلال الاتجاه، فبالتقليد يكون الإنسان منحط الشخصية، مستعمراً في عقله وتفكيره خصوصاً المسلم، ولهذا نرى المجتمعات الإسلامية أو المحسوبة على الإسلام كقطعان تابعة للناعق الأوربي الكافر الذي تقوده الماسونية اليهودية، بحيث لا تجد فرقاً بين العائلة المنتسبة للإسلام والعائلة الغربية في إظهار المفاتن والزينة وترك الاحتشام، مما هو مجلبة للفوضى الاجتماعية والفساد الخلقي بين الجنسين، بل مما يجعل المرأة في هذا العصر جنساً ثالثاً؛ لخروجها عن حقيقة أنوثتها الصحيحة باسم التطور، الذي هو رجوع إلى أخس ضروب الجاهلية، وهروب عن التقدمية الصحيحة بالمعقول الفطري السليم.

ثامنها: حفظ السمعة وشرف الأعراض بتحريم القذف والسباب ومشروعية إقامة الحد على القاذف بثمانين جلدة، ليرتدع كل إنسان عن جرح الآخر من ذكر أو أنثى بما يسيء إلى شخصيته أو شرف بيته وأسرته، فكل قاذف يكلف بإقامة بينة مضاعفة من أربعة شهود على صدق ما قاله، وإلا تناله عقوبة القذف فيا له من تحصين لكرامة الإنسان يحفظها من كل جارح!! ولم يوجد هذا التحصين في أي تقدمية مزعومة إلا في التقدمية الإسلامية الصحيحة.

تاسعها: حفظ المجتمع الإسلامي من التفكك الذي سببه العداوة والبغضاء الناشئة من لمز بعضهم لبعض، أو اغتياب بعضهم لبعض، أو النميمة من

بعضهم على بعض، فقد شدد الله من شأنها، وبالغ في النهي عنها وبيان سوء عاقبتها، وذلك في الآيات (١١، ١٢، ١٣) من سورة الحجرات، التي هي كدستور عميق للإسلام والمسلمين، وقال ﷺ ما معناه: «لا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يحقره» إلخ^(١).

في أحاديث كثيرة، وقال: «لا يدخل الجنة قتات»^(٢) أي: نام، وقد تكاثرت الأحاديث في تحريم الغيبة والنميمة ونحوها؛ بل بلغت حياة المجتمع الإسلامي بتطهير قلوب أهله وحسن معاملة بعضهم لبعض وتحقيق أخويتهم المعنوية أن حرم البيع والسوم والخطبة على بيع الأخ المسلم أو سومه أو خطبته، حتى يعيشوا في إخاء ووثام لا يتسرب إليه شيء من دواعي التفكك فيا لها من تقدمية صحيحة لا يحظى بها ادعاء التقدمية الكاذبة!!

عاشرها: الضوابط الاقتصادية التي تقتضيها عبودية الله والاستعانة به حسب مدلول الآية، إذ جعل الشارع اكتساب المال من طرقه المشروعة شعبة من شعب الإيمان، وإنفاقه في مستحقه شعبة من شعب الإيمان أيضًا، فشرية الله تفسح المجال الكامل للتنافس في اكتساب المال بشتى أنواع الحلال من جميع صنوف التجارة والمضاربة وشركة العنان المساهمة، أو شركة الوجوه، أو شركة الأبدان، أو شركة المفاوضة الجامعة للثلاث، والاتجار بجميع

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان

العروض والأراضي، والقيام بسائر أنواع الحرف والصنائع والتصنيع، ودون مصادرة شيء من ذلك أو التسلط عليه بالتأميم القاضي على الحرية، والقاضي على التنافس النافع للمستهلك مما أحدثته الماسونية اليهودية بمذاهبها الاقتصادية المصممة لفقر الشعوب وبؤسها، والرابطة أرزاقها بأيدي طغمة مفترسة للحكم بالخيانة والتسلط، ومخبطة لأدمغة الناس بصنوف الدجل والتضليل حتى أنهم يصفون فعلهم الساحق الماحق بالتقدمية وسواه بالتخلف والرجعية قلباً للحقيقة وجناية على العدل والإنصاف بل مسخاً لهما.

ثم إن شريعة الله تحرم على عباده جميع طرق الغش والتدليس والتلبيس قولاً أو فعلاً، كما تحرم عليهم الغبن في المعاملة وأخذ الربا صراحة أو تحايلاً، وأوجب عليهم رده اكتفاءً برأس المال: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] ونص على لعنة خمسة فيه حيث قال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»^(١) وأوجب عليهم استغلال الأراضي وعمارتها بزرع أو غراس أو بنيان ليعم الانتفاع بها ولا يقتصر على المالك الذي يقصد التكاثر وربط صحة الإقطاع^(٢) على ذلك بتحديد مدة يقوم المقطع فيها بذلك أو يبطل إقطاعه، فضوابط الاقتصاد في الشريعة كفيلة بسعادة المجتمع

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله» قال: قلت: وكاتبه وشاهديه؟ قال: إنما نحدث بما سمعنا.

وعنده أيضاً برقم (١٥٩٨) من حديث جابر مثله.

(٢) الإقطاع: منح الإنسان قطعة أرض لحرثها وزراعتها والانتفاع بها، على شرط إتقان ذلك والقيام بحق الشريعة في الزكاة، دون أن يتعدى هذا الإقطاع إلى ملكية العمال والفلاحين فيها. وهذا يخالف تماماً الإقطاع الذي عرفته الحضارة الأوروبية التي لا تعرف عدالة الإسلام ورحمته.

ورفاهيته وحصوله على التقديمية الصحيحة الفعالة، لا التقديمية الكاذبة التي يزعمها الدجالون المفسدون المنتهبون للأموال ومصادر الخيرات بضروب الإرهاب والكبت وقتل خيرة رجال الشعب من ذوي الفن والسياسة والخبرة العسكرية، حتى إنهم بأنفسهم يأكل بعضهم بعضاً كما هو المشاهد من حال الثوريين في كل مكان.

ثم إن الشريعة - بضوابطها لاكتساب المال - قد جعلت ضوابط لحفظه تمنع من الجناية عليه وذلك:

أولاً: بمشروعية قطع يد السارق خلسة، أو قطع يد المنتهب ورجله من خلاف.

وثانياً: تحريم صرفه في البذخ والإسراف أشراً وبطراً، والتشديد في تحريم صرفه على المعاصي والفواحش وسائر الملاهي المفسدة للقلوب، والمغرية على اقتراف الفواحش، وينشأ من ذلك الدعامة:

الحادية عشرة: وهي حصر صرف المال في صالح المسلمين، الذي من أعظمه سدانة الإسلام والدفع به إلى الأمام، فيصرف فيما يقتضيه هذا السبيل من: نشر الدعوة بإمداد الدعوة، والصرف للمؤلفة قلوبهم، والاستعداد بجميع المستطاع من أنواع القوة حسب مقتضيات العصر مهما تطورت الصنعة من وسائل القوة الحربية، ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية، وتمهيد الطرق بما يصلح لناقلات العصر، وطبع ما تحتاجه الدعوة، والقيام بقمع من يقف دونها، من ذلك الدعامة:

الثانية عشرة: وهي التحرك المتواصل لتوسيع رقعة الإسلام، وإقامة حكم الله في الأرض، ورفع كلمته فيها دون إكراه أحد على اعتناق العقيدة، ولكن

بالزام الجميع لحكم الإسلام، ورفض حكم الطاغوت، فالدين الإسلامي تقدمي حركي بجميع معانيه، وليس مسئولاً عن التخلف الذي حصل على أهله نتيجة استسلام قدري أو تواكل يعكس معنى التوكل المطلوب، أو ارتكاس في تقليد، ونحو ذلك من ضروب الغزو الماسوني المتنوع الذي هدفه التنويم تارة، وقلب المفاهيم تارة أخرى.

ولقد برهن الإسلام على أيدي أهله العارفين بمقتضاه حقيقة على أنه دين الفتح والتحرير والزحف المقدس، والنافع المنقذ لأهل الأرض من الظلم والاستعباد، والمصلح لأخلاقهم والمفجر لطاقتهم فأنعم وأكرم بما فيه من تقدمية صادقة صحيحة نافعة، بخلاف ما يزعمه دجاجلة العصر وتلاميذهم المصبوغون بهم من التقدمية الكاذبة، تقدمية الفسق والفجور والملاهي والبلاجات وغيرها، مما هو خروجٌ للإنسانية عن حقيقتها، وانحطاط بها إلى مستوى البهائم، تقدمية الجلادين لشعوبهم بسائر أنواع الفتك والإرهاب، تقدمية المسخ والرق المعنوي الذي هو أفضع من كل رق سبق، وكل من صدق مع الله في ضراعه إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كان حظه التقدمية الصحيحة التي يحيا بها حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وما عداه فإنه تنعكس أموره ويرتكس في جحيم الدجالين ووعودهم الكاذبة وصدق الله العظيم:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

خطر التسويف وعلاجه:

الصدق الصحيح مع الله في الضراعة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
يقي صاحبه أخطار التسويف العظيمة المضرة في دينه ودنياه، ذلك أن جميع الأخطار في الميادين السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية ناشئة من

التسوية، الذي يجعل الإنسان يتردد في الفعل حتى يؤخره عن وقت نفعه وجدواه، فيقل نفعه أو ينعدم، إذ في الميدان السياسي يضطره التسوية إلى مهادنة أعداء الله من الكفار أو المنافقين ومصادقتهم، مهادنة ومصادقة تضره أعظم إضرار حيث يتقوى بها العدو، وينشر أحابيله ويبث دعايته، حتى يكسب البعض من قومه وإخوانه، بل من أولاده.

وقد يزيد ضرر ذلك باطمئنان يجعله يترك الحذر والتسلح وإعداد القوتين المادية والمعنوية، بل قد يخسر القوة الروحية إن هو ألقى إليهم بالموودة، وخالف أمر الله في إظهار العداوة ونشر البغضاء والغیظ في بلده ضدهم، فيجره التسوية إلى هدم العقيدة أو تفتيتها، ولا شك أن الأعداء يكسبون بتسويفه الاستجمام وينطلقون في التنظيم الداخلي والخارجي بل يفقدونه ثقة أصدقائه به، كل هذا نتيجة تسويفه بعبادة الله في هذا الميدان الشائك الذي لا تبيح له العبادة الحقيقية شيئاً من التساهل فيه.

وأما تسويفه في الميدان الاقتصادي فيجعله يهمل أو يقلل من الاكتساب والاستثمار والتصنيع، وتسخير المواهب والقوى فيغلبه مقابله في المنافسة، أو يضربه في المسابقة على ذلك، فيكون قد سمح لخصومه أو بارك لهم أن يصفعوه، ويكون مهملًا لشعبة من شعب الإيمان يحاسبه الله على تركها، ويعجل له العقوبة في الدنيا بغلبة مقابله له، زيادة على ما يناله في الآخرة من عقاب على حسب المقاصد والبواعث التي لا تخفى على العليم الخبير - جل وعلا - .

وأما تسويفه في الميدان الحربي فهو مندرج في تسويفه في الميدان السياسي - كما أشرنا إليه - حيث يسمح لأعدائه بالتفوق عليه في الحرب الباردة

والكاوية، وأما تسويفه في الميادين الاجتماعية فيجلب عليه الخسائر الداخلية المتشعبة، والفوضى الخطيرة التي لها أسوأ التأثير في الميادين السابقة مما يكون به عاصياً لله غير صادق في تحقيق مدلول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. حتى إن تسويفه في التربية والتأديب لأولاده وأولاد من يلي أمرهم من المسلمين يجعلهم كسباً لشياطين الإنس بالشروء عن أمر الله، والخروج عن طاعته، والتمرد عليه هو فيزداد عصيانه وتفريطه في جنب الله، فإذا لا يجري التسويف من صادق مع الله في ضراوته بهذه الآية الكريمة عارف بمدلولاتها العظيمة، إذ هي تنادي بمحاربة كل تسويف في أي ميدان من ميادين الحياة؛ لأن عبودية الله الصحيحة شاملة لجميع تلك الميادين، توجب عليه أن يكون قوياً نشيطاً ملتزماً لحكم الله فيها لا يعتريه التسويف في شيء منها، فضلاً عن كلها والعياذ بالله.

فضراعة المسلم الصادقة بهذه الآية توجب عليه أولاً تحقيق الجهاد النفسي الداخلي لله رب العالمين، فيجاهدها على ترك المنهيات ويصبرها على أقدار الله الشرعية والكونية، ويجاهدها على فعل المأمورات القلبية، وترك المنهيات القلبية، كمحبة المؤمنين والنصح لهم، والشفقة عليهم، وعدم حسدهم أو الغل عليهم، إثارة لنفسه أو انتصاراً لها، وكبغض الكافرين والمنافقين والفاسقين وعداوتهم، وحمل الغيظ لهم، كل على حسب من ذلك، وعدم الركون إليهم والشفقة على أحد منهم، ولو كان أقرب قريب دون أن يعتريه أي تسويف في تحقيق هذه الأعمال القلبية من أمر ونهي.

ويجاهد نفسه على فعل المأمورات البدنية الظاهرة من طهارة البدن والثوب، وإقامة الصلاة وأدائها في جماعة وإحاطتها بالنوافل وألا يسوف بتأخير شيء

منها، أو يؤثر عملاً مادياً عليه، وألا يغلبه سلطان النوم أو شهوته على صلاة الفجر المشهودة من ملائكة الليل والنهار، ويكون خاشعاً فيها ضارعاً إلى الله، متكيفاً بالتكبير الصادق، لا يحمله أي عمل أو طمع على ترك ذلك، وأن يكون مؤدياً زكاة ماله، وباذلاً في سبيل الله ما استطاع، لا يعوقه التسويف أو ينتابه الشح الذي يحرمه الفلاح في الدارين.

وأن يتطوع بصوم النوافل زيادة على الصوم الواجب - ولو قليلاً - ليهذب نفسه ويرببها على تقوية الإرادة وصدق العزيمة، حتى لا يسوّف أبداً في ترك شيء من مألوفاته المخالفة للشريعة، أو التي تضر بصحته وتزيد في نفقته بلا طائل مما يكون تناوله محرماً أو مكروهاً، فإن صيام النافلة أكبر دليل على الاحتساب، الذي ينتفع به صاحبه انتفاعاً محسوساً، بخلاف ما يتكلفه من واجب دون وعي واحتساب فإنه لا يمنعه من التسويف في ترك المألوفات المضرة إلى غير رجعة من أقوال أو أفعال أو مطعوم أو مشروب كما نشاهده من حال أغلب الصائمين لرمضان دون مراعاة لحكمته أو تأمل في عواقبه.

ثم إن الصدق مع الله في الضراعة إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توجب عليه عدم التسويف في ترك المنهيات البدنية، وعدم التسويف في التوبة مما ارتكبه منها، فصدقه مع الله يخلصه من أحابيل الشيطان الذي يغريه عليها بحجة الشباب، أو يطمعه في المغفرة، أو في تكفيرها بشيء آخر، كزيارة أو طواف، أو يقنعه بأن وقت الابتعاد عنها هو الشيب، كأن حياته مضمونة إلى المشيب، فهذه الأحابيل الشيطانية لا يخلص المسلم منها إلا قوة صدقه مع الله بتطبيق مدلولات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وما أخطر التسويف في التوبة النصوح مما غلبه الشيطان على فعله من

معصية، ولله در الشاعر القائل :

ولا تقل الصبا فيه امتها وفكر كم صبي قد دفنا

وعبودية الله توجب على أهلها العزم الصحيح على مواصلة الجهاد والتصميم في تطبيقه، تنفيذًا لأمر الله؛ فيه وصدقًا معه في البيعة عليه بالنفس والمال دون تسوية في ذلك؛ لأن المسوف ذنبه عظيم، وخطره جسيم، فكيف بالمعطل للجهاد بالكلية؟ إن المسوف فيه مماطل مع الله في بيعته وفاسح لعدوه في المجال والفرصة لضربه وخبطه على رأسه، كما حصل ذلك في مواطن كثيرة ليست واقعة (حزيران ١٩٦٧م) أولها ولا آخرها.

فالمسوف متعرض لغضب الله من جهة، وإيقاع الهزيمة به من جهة أخرى، أما تارك الجهاد أو الحاصر له على نقطة معينة حسب مذهب يتبناه مخالفًا لوحي الله فهذا مخرج نفسه من الإيمان، ومتعرض للوعيد الشديد من مقت الله، وإنزال الذل الذي لا يرفعه الله عنه حتى يراجع دينه، وكل من التسوية والترك يجعلانه يفرط في إعداد القوة أو في المزيد منها، ويقلبان قوته المعنوية إلى تصدع شخصي وانهيار عصبي يجره للرق المعنوي الذي يُذعن بسببه للحماية أو الاستسلام الفاضح المكشوف، والحماية فيها استسلام مقنع للجهة الحامية فما أبعد صاحبها عن تحقيق عبودية الله؛ بل إن عدم تحقيق عبودية الله بحصول التسوية جعله عبدًا لغيره.

ثم إن إعداد القوة حسب المستطاع من واجبات الدين ولوازم إقامته، فالعابد الصحيح لله لا يعتوره التسوية في هذا فضلاً عن تركه أو التساهل فيه، وأيضاً فالعابد لله المصمم على الجهاد في ذاته يكون منفذاً للغيلة في أئمة الكفر من دعاة الإلحاد والإباحية، وكل طاعن في وحي الله، أو مسخر قلمه

أو دعايته ضد الدين الحنيف؛ لأن هذا مؤذٍ لله ورسوله لا يجوز للمسلمين في جميع بقاع الأرض من خصوص وعموم أن يدعو على قيد الحياة؛ لأنه أضر من (ابن الحقيق) وغيره ممن ندب رسول الله ﷺ إلى اغتيالهم.

فترك اغتيال ورثتهم في هذا الزمان تعطيل لوصية المصطفى ﷺ، وإخلال فطبع بعبودية الله، وسماح صارخ شنيع للمعاول الهدامة في دين الله، لا يفسر صدوره إلا من عدم الغيرة لدين الله، والغضب لوجهه الكريم، وذلك نقص عظيم في حب الله ورسوله وتعظيمهما، لا يصدر من محقق لعبودية الله بمعناها الصحيح المطلوب.

فصدق أيها المسلم مع الله بضراعتك إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ينجيك من أخطار التسويف في تنفيذ أوامر الله ووصايا رسوله، فضلاً عن تعطيلها الذي لا يصدر إلا من شارد عن الله بشعور أو غير شعور - كما سبق إيضاحه في مباحث السكر المعنوي والرق المعنوي، وكما سيأتي مزيد له في السفة المعنوي - والله الهادي.

المنافسة العامة في الإسلام:

إن الضراعة الصادقة إلى الله ﷻ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تستلزم المنافسة العامة بين عباد الله فيما يصلح دنياهم وأخراهم، يتنافسون في نيل الدرجات العلا في الحياتين، يتنافسون أولاً: بتلاوة القرآن حق تلاوته بحفظ ألفاظه وتدبر معانيه، ويتنافسون في فهمه من جميع النواحي، ثم يتنافسون في الانطباع به والتأثر حتى يتشرب في قلوبهم، ويتغلغل ذلك في شرايينهم، ويتنافسون في الاقتداء بسنة نبيهم ﷺ، ثم يتنافسون في حمل الرسالة بالدعوة والتبليغ، وتوزيع هداية الله وتصدير أنواره في مشارق

الأرض ومغاربها، وتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وكل ما يقتضيه موجب التواصي بالحق والتواصي بالصبر. وهذا التنافس في هذه الميادين يحملهم على مزاولة الأعمال الحرة من جميع ضروب الاكتساب، فكل منهم يتوجه إلى حرفة ملائمة له فيتقنها ويتفنن فيها، ليصون وجهه عن الحاجة إلى غيره من جهة، ولا يكون مرتبطاً بمن يعوقه عن التنافس في أمر دينه، فضلاً عما يخرسه عن النطق بالحق، أو يقعه عن حمل رسالات ربه من جهة أخرى، فلا يسترخص نفسه بنيل وظيفة تجره إلى هذه الحالات أبداً، ولا يقبل الوظيفة قطعاً إلا إذا رأى أنه يكون فيها ركيزة صادقة للمسلمين أو يرى فيها معونة صحيحة على التنافس الواجب نحو الله - جل وعلا - فيكون معاكساً للمخطط الماسوني اليهودي الماكر بالناس عامة، والمسلمين خاصة.

والتنافس في الأعمال الحرة يرفع الرءوس، ويحمر النفوس ويكسبها العزة والكرامة، كما يرفع من شأن البلاد ويجعلها عامرة مزدهرة، مصدره لا مستوردة؛ لأن مدلول هذه الآية الكريمة يوجب حسن المعاملة للخالق - سبحانه - وللمخلوق، فيكون الضارع بها صادقاً ناصحاً في معاملته، مخلصاً أميناً في عمله، مجتنباً الغش والتدليس والبخس والكذب والتليس، وبذلك يكون المسلم مثلاً أعلى مرغوباً على غيره، مفضلاً عما سواه؛ لحسن معاملته وجودة صنعه.

ومن جهة أخرى ينشط في حرفته أيًا كانت؛ ليظهر أثر عمله ويزداد إنتاجه ويبدع في الاختراعات، واستثمار القوى والطاقات، بدافع التنافس الذي يفرضه عليه دينه، ويمليه عليه وجدانه حسب قوته في تنفيذ مدلول ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿﴾ فيتوسع عمله ويشدد عضده بأنواع المشاركات الشرعية من شركة عنان وشركة وجوه وأبدان، وشركة مضاربة ومفاوضة ومساهمات على وفق المشروع، كل هذا لتحقيق هدفه الرباني في هذه الحياة. وكما أن تنافسه في طاعة ربه وحمل رسالته يحفزُه على التنافس في الأعمال الحرة المدنية من سائر أنواع الاتجار والتصنيع فإنها تحمله - أيضًا - على التنافس في القوتين الحربيتين: القوة الحسية المادية والقوة المعنوية الروحية؛ لأن تصميمه على التنافس في حمل رسالة ربه وتوزيع هدايته يدفعه أعظم دفع إلى الاستعداد التام بجميع المستطاع من قوة رادعة وقامعة لعدوه الذي يحول بينه وبين ما أوجب الله عليه في الأرض.

وقيامه بهذا الاستعداد يحمله على التنافس - أي: على منافسة أعدائه بما عندهم وبما يقومون به من استعداد - حتى يحصل له التفوق عليهم ولا يدع لهم فرصة ولا مجالاً، بل ينافسهم جدًا على تسخير واستثمار ما بثه الله في هذه الأرض مما على وجهها أو في جوفها أو أجوائها من دابة أو مادة، قاصدًا بذلك وجه الله لإعلاء كلمته وتنفيذ شريعته في الأرض، ثم يستعين بالله سُبْحَانَ اللَّهِ على ما يعجز عنه، ويجبره بزيادة القوة الروحية التي لا يغلبها غالب.

فإن التنافس الصحيح في القوة ليس مقصورًا على الحديد كما يتصوره العصريون الماديون، وإنما هو بمعناه الشامل يعني: القوة الحضارية قوة السلاح والمعدات اللازمة للحرب، وكل ما يتطلبه المجهود الحربي من سائر اللوازم والحاجيات، وقوة العلم النافع الموصل إلى الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوة الأخلاق والأدب، وقوة الجيش بالروح المعنوية الدينية والتدريب العسكري الذي يتطلبه الوقت، وقوة

العقيدة الروحية التي تحصل بها وحدة الصف، وحسن البلاء، وصدق الإيثار، والتساند الكامل.

فالتنافس مفروض على أبناء الأمة الإسلامية بجميع هذه المعاني لدعم كيائها في الداخل، وجعله مرهوبًا، ثم لتفجير طاقاتهم للغزو الخارجي المتواصل، وذلك لحمل رسالة الله وإعلاء كلمته، ونشر حكمه الديني في الأرض، والذي لا يتنافس في هذه الأمور السابقة المهمة يعتوره الضعف من الداخل فلا يتأهل لما أوجب الله عليه من الزحف المقدس، بل تصيبه الذلة والاستكانة ويطمع فيه كل طامع، ويكون مزحوفًا عليه بدلاً من كونه زاحفًا برسالته، ويكون مسخوطًا عليه من ربه؛ لعصيانه إياه في تنكبه عن سنن الحياة التي سنها لخلقه من كونية وشرعية، ولكونه قد ألقى بنفسه في التهلكة بتركه لذلك وعدم عزمه وتصميمه على الجهاد.

وبالجملة: فالصدق مع الله بتحقيق الضراعة إليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحمل المسلم المؤمن على القيام بجميع أنواع المنافسة الدينية والدينية، فيتنافس المسلمون المؤمنون بالقيام بأنواع المعاملات الحرة، وينشطون بالاتجار والضرب في الأرض لذلك مقرونًا بحمل الرسالة وإظهار الدين، وينشطون في الاستيراد والتصدير محتنين ما يضر المجتمع مما حرم الله استيراده أو تصديره، أو مزاولته بأي نوع، كما ينشطون بالتفنن في كل صنعة وتأسيس الشركات وتدشين المصانع المختلفة لهذا الغرض الذي يغنيهم عن الاستيراد من عدوهم أو من غيره، ويجعلهم أمة التصدير للإنتاجات الصناعية، كما أنهم أمة التصدير للهداية الروحية بين البشر، بل هدفهم الكامل بالتصدير الأول هو تحصيل التصدير الثاني.

وهذه المنافسة في جميع المعاملات الحرة تنعش الأمة وتجلب لها الرخاء بكثرة الاستيراد والإنتاج، فترخص أسعار جميع الحاجيات الضرورية والكمالية، ولا يكون للمحتكر مجال أبدًا؛ لأن المنافسين يضربونه ذات اليمين وذات الشمال؛ لأن ما قلناه يستلزم المنافسة في الأسعار فينقطع دابر الاحتكار والاستغلال الذي يتعلل به المغرضون من ذوي المذاهب الهدامة والمنخدعون بدعاياتهم، وهذا شيء معلوم بالضرورة، واستقراء أحوال كل من البلاد الحرة في الأعمال، والبلاد التي ابتليت بالتأميمات والقضاء على حرية التجارة والتصنيع مما هو في الحقيقة تحريم لما أحل الله من ضروب الاكتساب، ورفض لما حض الله عليه من المنافسة فيه، مع مراعاة حسن القصد في هذه المنافسة، وذلك بأن تكون مقاصد المسلمين منحصرة في ابتغاء الحلال من الرزق دون غش أو كذب أو غبن أو إنفاق للسلع بالأيمان الكاذبة، أو قمار أو ربا، أو ترويح ما يضر بالمجتمع من مطعوم أو مشروب من مسكر ونحوه.

وأن يكون هدفهم في ذلك الاستعانة على طاعة الله وحمل رسالته، وصيانة الوجوه عن التسول أو التسكع، وأن يتنافسوا غاية الإمكان في حمل الرسالة، وتوزيع الهداية، والسخاء في سبيل الله، وأن يتنافسوا في إنفاق المال في وجوه الخير؛ لسد حاجة كل ذي حاجة من الناس والأمة، كما يتنافسون في تحصيل القوى الحربية بجميع أنواع القوة، حسبما يتطلبه الوقت، لا يقتصرون على قوة الحديد؛ بل يتنافسون بجميع أنواع القوة كما أسلفناه.

ويتنافسون في كل لحظة من لحظات نفوسهم بطاعة الله وابتغاء مرضاته من أخذ القرآن بقوة بجميع أنواع القوة اللفظية والمعنوية والعملية، فيتنافسون في تلاوته بحسن تدبره وفهمه، ثم بالانقطاع والتأثر به، ثم بالعمل بأوامر الله فيه

ووصاياه، واجتناب ما نهى الله عنه، كما يتنافسون في حفظه عن ظهر قلب، ويدفعون الجوائز السخية لأولادهم وأولاد فقرائهم على حفظه، ويتنافسون في الخشوع والبكاء عند تلاوته، ثم يتنافسون في حمل رسالته وتوزيع هدايته في ربوع الأرض بكل جد ونشاط، وكل بذل وسخاء وكل تخطيط يتطلبه الوقت لهذه الغاية النبيلة التي هي وظيفة عباد الله الصالحين من أنبيائه وأتباعهم في الأرض إلى يوم الدين.

هذا ما يقتضيه مدلول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من التنافس الصحيح في الحياة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

النجاة من الانحطاط:

إن تحقيق بني الإنسان صدقهم في ضراعتهم إلى الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقيهم من الانحطاط عن مستوى الإنسانية الحقيقي، ويكسبهم مقامهم اللائق في الحياة وذلك لأمر:

أحدها: إن الإنسان - بل النوع الإنساني - ضائع في هذا الوجود إذا أضاع المعنى الأصيل الذي أوجده الله من أجله؛ لأن الله اختاره في الأرض خليفة، فلا بد له من ارتباطه بموجده وَتَعَالَى ارتباط المربوب بالرب، ارتباطاً يجعله حاصراً للتأله به وإليه بجميع معانيه ومبانيه؛ ليكون خاضعاً لسلطانه منفذاً لأحكامه على نفسه أولاً وعلى من يلي أمرهم ثانياً، وإلا فما قيمة الخليفة؟ بل ما هو المعنى لوجوده؟ زيادة عن تسخير الله له كل شيء وتمليك الله له جميع الأشياء، ولهذا كان الكافر لا يستحق ذلك بل يؤول حكم الله فيه إلى الاسترقاق والصغار، وتكون جميع الأشياء ملكاً لعباد الله الصادقين الصالحين، كما قال - تعالى - في الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء.

ثانيها: إنه يعجز عن تكوين العلاقات الصحيحة المطردة بينه وبين محيطه فضلاً عن مجاوريه، بل يكون مهزوماً في نفسه الداخلية في جميع حالاته.

ثالثها: إن العقيدة الدينية هي الضابطة لنوازع النوع الإنساني المجبول عليها كمتحرك بإرادته وقدرته، فمهما استبدل بها غيرها من النظريات الشيطانية فإنه لا يقدر على ضبط نزعاته التي تسيء إليه وإلى غيره، مع أن تلك النظريات تحرمه من التحليق في الكون الفسيح وتحرمه من تعميق علاقاته بذلك قاصرة نظره على إقليمه أو عشيرته، أو على نفعيته، والعقيدة الدينية المحمدية الصحيحة هي التي تعمق علاقاته بجميع الكون وتوثقها به، وترهف شعوره بمسئوليته عن جميع هذا الكون وما يصدر فيه، ولهذا خاطب بعض قواد المسلمين (البحر الأطلسي) قائلاً: لو نعلم أن وراءك أيها البحر قومًا؛ لعبرناك إليهم. ولا يوجد هذا قطعاً في أهل أي عقيدة أو نظرية غير ما جاء به الإسلام مما هو منحصر في آية العبودية العظيمة المعاني، فهي التي تشمل الكون كله وتحيط بالزمن على طول مداه.

رابعاً: إن بني الإنسان إذا اختلت عقيدتهم بالله فضلاً عن تلاشيها اختلت جميع أمورهم، وكانوا في جهة مستعبدين للهوى والشهوات، ومن جهة ثانية مستعبدين لبعضهم بعضاً، ومن جهة ثالثة ترح عقولهم بما يغزوها من دجل المغرضين وأوهام المبطلين، وهنالك تفسد تصوراتهم في كل ميدان من ميادين الحياة كما نرى حالتهم في الميدان السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] فيكونون على أسوأ حالة من الانحطاط في كل شيء.

ففي الميدان السياسي تجد انحطاطهم بارزاً في تقديس الأشخاص

واحتلالهم منهم مكانة في القلوب لا يحظى بها الله رب العزة والجلال، وخشيتهم والخوف منهم وتعليق الآمال عليهم وتقبل ما يصدر منهم، وإسلام الوجه لهم كاملاً من دون الله، وتصديقهم حتى فيما تسخر منه العقول السليمة البدائية، وهم قد عرفوا من علم المعقول وثقفوا بالثقافات العصرية التي فرحوا بها واطمأنوا إليها؛ بل يتبجحون بها وهم يصفقون لكل دجال على ما تنزه هذا التفسير المبارك عن ذكره، مما لو سجل في تاريخ تقرأه الأجيال المقبلة لكان مضحكاً أو معدوداً من ضروب الفكاهة والخزعبلات، ولا يزالون سائرين وراء سرايهم، مع انكشاف إفلاس مبادئهم ومذاهبهم، وانكشاف خزيهم في هزائمهم أمام اليهود.

أما في الميدان الاقتصادي فهم ينتقلون من إقطاع واستغلال في كل ثورة وانقلاب إلى إقطاع من نوع جديد واستغلال أفضع من سابقه، فكما أنهم ينتقلون من حكم ملك واحد إلى حكم ملوك كثيرة، بل إلى سيطرة وبطش من هم أظلم وأفسد من كل ملك عرفه التاريخ، وتلك الملوك تتمثل في الضباط الحربيين، ومن هم في صف ضباط، وفي القواد ونائبي القواد ومن على شاكلتهم ممن يفترسون الحكم، فكذلك يلعبون في اقتصاديات الشعوب ومقدراتهم، ويحاطون بهالة التعظيم وتضفي على ألعيبهم أثواب القداسة، ويكتمون الأفواه عن النقد؛ بل يجعلون من لم يخضع لألعيبهم خائناً وعميلاً، أو رجعيًا من بقايا الحكم البائد.

وهكذا يوزعون الألقاب حسبما يريدون، وتكون الطبقة المفترسة للحكم هي طبقة الأحرار، وهي المتصرفة المطلقة التي لا تسأل عما تفعل، ومن عداها فهو ممقوت مخذول إلا الذي يسترخص نفسه لهم، ويخدم رغباتهم، ويحمدهم

في كل ما يفعلون، فذلك هو المواطن المتحرر في مصطلح توزيعاتهم للألقاب، فأعظم به من انحطاط مروع، بل سقوط مفرج!!

وأما في الميدان الثقافي فهو انحطاط لا تقبله الطبيعة الحيوانية التي فطرها الله عليها، فإن أي حيوان حتى من الحشرات لو صرفته عن وجهته التي يريدتها وأزحته عنها ثم تركت له السبيل ولاحظته لوجدته يعود إلى هدفه ولا ينساه، ولكن على العكس نجد أغلب البشرية اليوم قد لعبت به الأفكار اليهودية، وأصبح سائرًا فيما تهواه هي لا فيما يهواه هو، وذلك لأسباب: أحدها: أن الذي يضل عن سبيل الله أو يشرده عنه، تستهويه شياطين الإنس الذين تكون فتنهم أعظم بكثير من فتنة شياطين الجن؛ لما يملكونه من وسائل الإعلام والإغراء كما هي سنة الله فيمن تنكب عن سبيله.

ثانيها: الغزو الفكري المتنوع الذي تفاقم شره في ميدان الثقافة وأصبح بأيدي من أبرزتهم الأيدي الخفية التي تعمل في الظلام؛ لتنتشر الثقافة الغربية المرتكزة بجميع معانيها ومبانيها على المادة، والتي أحدثت - وستحدث - خواء روحياً تخدم به الشيوعية واليهودية العالميتين.

ثالثها: فقدان الوعي الصحيح والوجدان بسبب انحصار ما يبث في ميدان التربية والتعليم، وما ينشر في وسائل الإعلام على مقاصد وأغراض كل فئة حاكمة للأمة، أو الشعب الذي تسعى في تربيته وحشو مسامعه فيما تريده منه وتسيره إليه، وعلى هذا فمن أين يحصل الوعي أو يدب الوجدان؟! أمن التربية التي خططتها الفئة الحاكمة لتصنع أولاد رعاياها على عينيها لا على أعينهم؟ أم من الصحف وسائر وسائل الإعلام المؤممة والمستعملة في قلب الحقائق تارة، وتارة في كتمانها؟

لا جرم أن الوعي مستحيل؛ لأن النظر مقصور على بصيص إلى ناحية واحدة هي الناحية التي يريدتها الحكام المشار إليهم ممن افترسوا الحكم حسب المخطط الأنف الذكر، فلا عجب أن تبلغ البشرية في انحطاطها مستوى دون مستوى الحيوان أو الحشرات؛ لأنهم بسبب ما قدمنا أصبحوا فاقدى الهدف بالكلية أو جاهلين به، متجهين اتجاهًا عكسيًا كما تريده الشيوعية واليهودية العالميتان، ومع هذا ففيهم نفخة غرور جعلتهم يتبجحون بالوعي وهم عنه في مكان قد امتلأ سرابًا.

وأما انحطاطهم في الشئون الاجتماعية فحدث عنه ولا حرج، ذلك لفساد تصوراتهم بما أحدثوه في الميدان الثقافي والإعلامي من حشائش الأباطيل التي تبلورت بها أدمغتهم حتى صاروا يستحسنون القبيح، فأصبح المنكر عندهم معروفًا والمعروف منكراً فجنوا على العقول والصدور بما أباحوه من المسكرات التي حرمها الله الحكيم لحفظها، وبث جميع أنواع الميوعة المذهبة للشهامة والقاتلة للرجولة، والعمل الدائب على إفساد الأخلاق والتحلل من الفضيلة بإنشاء المسارح والمراقص والبلاجات الخليعة وحانات الخمر، والاختلاط في العمل والتدريس بين الجنسين، وإرخاص الأعراض بإباحة الزنا حالة الرضا، وتشريع الأنظمة الديوثية المعفية للزناة عن إقامة حدود الله، والإغراء على الفواحش بإباحة التبرج وإظهار الزينة بل إظهار المفاتن، مما يعتبر تشجيعًا للفسقة وفتنة لغيرهم إلى غير ذلك مما هو انحطاط؛ بل سقوط وتسفل بالإنسانية إلى مستوى البهيمية وشروء عن تركيتها المحققة للفلاح بجميع معانيه، ورغبة ملحة في الخيبة العامة في جميع شئون الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

فتزكية الإنسانية وتحقيق شرفها ورفقها هي بتطبيق هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الموجبة رعاية أمانة الله، والوفاء بعهده في تحقيق الجهاد النفسي الداخلي والخارجي الحربي، وحمل رسالة الله وتوزيع هدايته، ليكون أهل هذه الآية هم أهل القوامة على الأرض؛ فيشمخوا عاليًا عن كل تسفل تريده لهم اليهودية العالمية؛ فيحصلوا على الوعي الصحيح الذي يقيهم من كل انحطاط، وبالله التوفيق.

نحو الصراط المستقيم:

وإذا كانت عبودية الله عميمة الشمول، تتعمق إلى جميع نواحي الحياة، وتتطلب من العبد بذل المجهود، وتكريس جميع أوقاته في مرضاة ربه، وتسخير كل شيء لإعداد القوة التي يردع بها كل عائق يعوقه عن سلوك مرضاة ربه، وكان السبيل إلى ذلك طريقًا واحدًا من سلك سواء من الطرق التي يجذبها ويدعو إليها شياطين الإنس والجن؛ فقد ضل وغوى، وذهبت أعماله خسرًا وهباءً منثورًا، استوجب ذلك أن يردف ابتهاله إلى الله بكامل الضراعة لما يحقق سائلًا هدايته إلى ما يحقق عبوديته على الطريق الموصل إليه والوجه الذي يحبه قائلًا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي لا عوج فيه ولا لصاحبه غاية سوى الله، ﴿الصراط﴾ الذي سلكه ويسلكه من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، الطريق الذي طلب الله من أنبيائه ورسله وأتباعهم على الحق سلوكه وفق شريعته من أمر ونهي وحدود؛ لأنه سُبْحَانَ اللَّهِ لا يرضى أن يُعبد إلا بما شرع، فمن عبده على خلاف شرعه فهو من الأخسرين أعمالاً

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣] ،
[١٠٤].

كما أن من عبده وفق شرعه في المأمور والمحظور لكنه أهمل حدوده أو أشرك بربه في حبه وتعظيمه لبعض البشر الذين عطلوا حدود الله، وشرعوا أنظمة وقوانين جزائية مخالفة لحكمه وحدوده، فإن عبادته لا تنفعه ما دام موالياً لطواغيت البشر بالحب والتعظيم وهم يحكمون بغير ما أنزل الله؛ لأن من شروط تحقيق التوحيد: الكفر بالطاغوت.

فالمقدس له بالحب والتعظيم، وقبول ما يصدر عنه استحساناً يكون من جملة من قال الله فيهم: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهُ يَوْمٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ﴿٥﴾ [الغاشية: ١-٥] وقد حصر الله الضلال فيما سوى الحق الذي شرعه كما قدمنا توضيحه، فمن لم يتبع ما شرعه الله ابتدع ضلالات لا يعلم مدى ضررها وأضرارها إلا الله.

قال الشيخ ابن تيمية: إن كل من سلك إلى الله ﷻ علماً أو عملاً بطرق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فلا بد أن يقع في بدعة قولية أو عملية، فإن السائر إذا سار على غير الطريق المتهيج^(١) فلا بد أن يسلك بُنْيَات الطريق، وإن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهداً فيه مخطئاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون ذنباً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون كفرًا بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل، فإنها أقوم الطرق، ليس فيها عوج، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وقال عبد الله بن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطأ، وخط

(١) طريق متهيج: أي طريق واضح واسع بين. لسان العرب (٣٧٩/٨).

خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: «هذا سبيل الله وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾»^(١) [الأنعام: ١٥٣].

وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة. انتهى.

ومنه تعلم أن البدعة ليست منحصرة في العمل فقط، وإنما هي داخلية في العلم أيضاً، فمن تعلم علماً مخالفاً لما جاء به محمد ﷺ ومن تبعه وفرع عليه أصحابه والتابعون لهم بإحسان، فعلمه لا شك أنه يجلب الضرر عليه وعلى من تأثر به من الخلق؛ لأن كل علم لا يقرب صاحبه من الله ورسوله لا بد من أن يقربه من أعدائهما.

وكل علم لا يجب لصاحبه الإيمان الشرعي ويغرسه في قلبه لا بد أن يجب إليه الكفر والفسوق والعصيان والركون إلى أهل ذلك ومجانبة أهل الله وازدراءهم، كما هو المشاهد في هذا الزمان ممن تعلموا علماً مادياً على أساتذة الكفر الذين ودوا أن يردونا عن الإسلام فأدخلوا من تتلمذ عليهم من أبناء المسلمين في دركات الكفر والإلحاد والتشكيك، وجعلوهم يستسيغون المنكر باسم التقدم والمدنية، ويعتبرون العفة والحصانة وأكثر ضروب المعروف تخلفاً عن ركب الحضارة المزعوم، الذي هو في الحقيقة ركب دعارة وخلاعة وجناية على جميع مقومات الإنسانية؛ حتى أفقدوهم شخصيتهم الحقيقية، وأضاعوا مقوماتهم الدينية والخلقية؛ فازدوجت شخصيتهم بأولئك ازدواجاً لا تتخلص منه إلا بالرجوع إلى صراط الله.

وانصهرت آدابهم وأخلاقهم الطيبة في بوتقة من تتلمذوا عليه واحتسوا من قيحة ودمه وصدیده، وأصبحوا صورة سيئة لأولئك في عقيدتهم وأخلاقهم ونظمهم في الأسرة والحكم، وفي تفكيرهم الذي غلبت عليه نظريات ومبادئ أولئك، فأصبحوا مغلوبين على عقولهم، متبلورة أفكارهم بما يقذف به أعداؤهم، فصدق عليهم قول الله سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

وأي نسيان للمرء نفسه أشنع من قبوله لمصادرة عقله؟ لأنهم استسلموا لغير الله من كل ملحد وطاغوت؛ فوقعوا في الشرك المنافي لعبودية الله الصحيحة، والمجانب لصراطه المستقيم؛ فمرجت عقولهم، وكان أمرهم فرطاً في كل ميدان.

ومن شاهد أحوال الأمم المعرضة عن صراط الله في هذا الزمان والمقلدين لها من أدعياء الإسلام، ورأى ما هم فيه من قيل وقال، وإضاعة للأموال، وخضوع للنساء، وعكوف على الشهوات؛ عرف كيف أنساهم الله أنفسهم بما اجترحوا، وتحقق سوء مآلهم بكونهم طعمة للفتن، وعبيداً للمجرمين، وعرف حكمة الله ولطفه بعباده حيث أرشدهم بعد تكرار العهد معه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى تكرار الضراعة إليه بقولهم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وهو الذي لا عوج فيه ولا اشتباه، من سلكه فهو معصوم من الضلال والالتباس، ومن حاد عنه وقع في كثير من المتاهات المهلكة له هلاكاً معنوياً، يعيش به في رق معنوي لا يرتجى تحريره منه، وسكر معنوي لا تُرتجى إفاقة منه، وسفه معنوي مطبق لا يرتجى معه رشد أبداً.

وعلى هذا فالعبد مضطر غاية الاضطرار دائماً إلى أن يهديه الله إلى صراطه

المستقيم، حتى لا يقع في هذه الأحوال التي وقع فيها معظم البشرية في هذا الزمان ممن أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوا السبيل، ومن وقع في شراكتهم قسرًا فحجبوا عنه الأنوار وجعلوه يتخبط في ركام من ظلمات دجلهم وأوهامهم، فقد وقعوا في تيه معنوي أفضع من تيه بني إسرائيل الحسي في (سينا).

فلما كان العبد مضطرًا إلى هداية الله؛ أرشده إلى الابتهاال والضراعة الصادقة بالسؤال أن يهديه صراطه المستقيم، وفرض عليه قراءة الفاتحة في كل ركعة من صلاته؛ لاشتمالها على هذا السؤال العظيم الذي تتوقف السعادة في الدارين على حصوله، وقد يقول قائل: إن المسلم قد اهتدى وعرف الإسلام وعمل به فكيف يكون محتاجًا إلى أن يسأل الهداية إلى صراطه في كل ركعة وفي كل حاله؟

والجواب: أنه قد اهتدى هداية مجملة بأن الإسلام حق، والرسول حق، والدين حق، وتشريعاته حق، ولكن هذه الهداية المجملة تحتاج إلى هداية مفصلة في كل ما يأتيه وما يذره، وما يطرأ عليه من الشؤون: السياسية، والاقتصادية، والثقافية والاجتماعية.. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فإن العبد همام يتحرك بالإرادة لتجدد حوائجه ورغباته ونزعاته في تلك الشؤون جميعها، وكذلك تجري عليه أحداث في نفسه وفي بيئته وخارج بيئته، فلا بد له من التأثر بها إن لم يكن على بصيرة من أمره، فكان في جميع الأحوال محتاجًا إلى معرفة حكم الله ومرضاته في جميع هذه الأمور؛ ليفعل في كل وقت ما أمر الله به، وينتهي فيه عما نهى عنه، فهو محتاج في كل وقت وكل شأن إلى أن يعلم ويعمل بما علم من فعل المأمور

وترك المحذور، ومحبة ما يحبه الله من كل ما أحدثته الحركات السياسية أو أبرزته أو قذفت به الثقافة المعاصرة فيحب من ذلك ما يحبه الله، ويعامله كما يطلبه الله، ويبغض من ذلك ما يبغضه الله، ويعامله بما يطلبه الله منه من البغض والعداوة أو المحبة والموالاتة، هكذا الحكمة من مشروعية الضراعة إلى الله بالهداية إلى صراطه.

وحاجة الإنسان إلى سؤال ربه هذه الهداية حاجة ضرورية في جميع نواحي الحياة؛ ليحصل بها على السعادة والنجاة، فهو أحوج إليها من الرزق الذي ينقطع بالموت، وهو مضمون له قبله؛ لأنه إذا اهتدى كما يطلب الله منه؛ كانت حياته خيرًا ورشدًا ونصرًا له، ولمن اتبعه، وكان الموت أو القتل له من تمام النعمة؛ لأنه إن مات كان موته موصولاً له إلى السعادة الأبدية، وإن قتل كان شهيدًا حائزًا ما لا يحوزه غيره من صنوف النعيم المقيم، بل بحصول الهداية له يكون محوظًا بأنواع النصر من الله فيعيش قائدًا لا مقودًا، وسيدًا لا مسودًا، ومرفوع الرأس لا مرفوع الأرجل، كما حصل لكثير من الشعوب المنحرفة عن صراط الله، متبعة سبل البشر، ومطمئنة لوعود شياطين البشر؛ حتى أصبحت مرفوعة الأرجل منكوسة الرءوس نكسًا معنويًا وأكثرهم لا يشعرون؛ لأنهم ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

والصراط المستقيم هو السبيل الموصل إلى مرضاة الله ونيل وعده في الدارين، ولا يهتدى إليه إلا بمعرفة وحيه حق المعرفة وسلوكه حق السلوك، ولذا فسروه بالإسلام وبالقرآن؛ لأن طريق العبودية لا يمكن سلوكه إلا بتحقيق إسلام الوجه لله بصدق وإخلاص وفق مدلول وحيه من كتاب وسنة؛

لأن من أراد الوصول إلى الله من غير طريق الإسلام والوحي كان مفترياً على الله، مغضوباً عليه من الله، أو ضالاً غاوياً أسوأ من حال البهيمة التي لا تميز بين الراعي والجزار، ولهذا قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ والمغضوب عليهم: كل مجانب للحق بغياً وعناداً كاليهود ومن قلدهم، أو سار في أي خطة من خططهم ونحلة من نحلهم، فإنهم هم الذين أغروا، ويغرون دائماً، بالمادة، والطمع بالشهوة والرئاسة، فيؤسسون المذاهب المادية المختلفة المتناقضة؛ ليبثوا في الناس روح التنافر والشقاق، ويصرفوهم عن تعاليم الدين وتقديسه، إلى تقديس الطين وعبادة المادة والهوى، وهم الذين ضربوا الأمة الفارسية بالمدح المزدكي الشيعي في عهد الأكاسرة قبل الإسلام على يد (مزدك) اليهودي بتعليم وتحضيض منهم، كما لبسوه في هذا القرن على يد (كارل ماركس) وأتباعه من اليهود، وهم الذين أولعوا الناس في القديم بالقوميات المختلفة، ووجهوهم إلى عبادة الأصنام المختلفة حتى سعوا في عهد (خزاعة) إلى تبديل ملة إبراهيم عليه السلام وبجلب الأصنام والخمور من (الأردن) على يد عمرو بن لحي الخزاعي.

وقد كان العرب قبل ذلك مسلمين على ملة إبراهيم، لم يعرفوا شركاً ولا وثنية، نعم إنهم كانوا مسلمين قبل أن يكونوا عرباً عكس ما يزعمه المصريون من القوم المنخدعين بأفراخ اليهود - كما سنفضله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩] من سورة الشعراء - إن شاء الله - وهم الذين نبشوا القوميات من جديد في هذا الزمان، وساعدهم أفراخهم من ضالي النصارى والمنخدعين بهم، وهم الذين أنشأوا البدع المختلفة في الإسلام مبتدعين منها باستحقاق الخلافة النبوية، وتأليه بعض آل محمد عليهم السلام، وتقديس

بعضهم بصنوف المفتريات، ثم بتأسيس طرق ومذاهب في التعبد وفي الإلهيات، حصل من جرائها فتن ومحن عظيمة على المسلمين.

ولا يزالون يعيشون في العالم بشتى أنواع التخريب الفكري والعسكري كما تشهد عليهم قرارات محافل ماسونيتهم، ووصايا (حاخاماتهم)، وتقارير حكماهم الملعونة، مما ليس هذا موضع تفصيله.

أربع هدايات يطلبها المؤمن :

وفي إرشاد الله لعباده بالضراعة المتكررة إليه أن يهديهم الصراط المستقيم رد سمردي قاطع قانع لكل غوي يريد إبعاد الناس عن دين الحق وصرفهم إلى المبادئ والمذاهب العصرية، أو يريد تلاقي المسلمين باليهود والنصارى وصنوف الملاحدة المشركين، زاعماً في تضليله أن الناس كلهم عباد الله، وكلهم سالك إليه سبيلاً من الطرق، والغاية واحدة!! كما يزعمه بعض الدكاترة الذين أبرزتهم الثقافة الماسونية ورشحتهم للقيادة الفكرية؛ لأن الغاية الصحيحة إلى الله لا تنال إلا من طريق واحد وهو صراط الله المستنير سبيله بوحيه المبارك، وما عداه ضلال وفرقة كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] أي: لعلكم تأخذون لأنفسكم وقاية من الضلال والمهالك التي تجعلكم في فرقة وشقاق بعيد، وتجعل مجتمعكم طافحاً بأنواع الشرور من الفوضى ومفاسد الأخلاق والأنانية المسعورة التي تذهب بأمن الحياة وخيرها، كما هو حاصل في هذا الزمان لمن سلك غير صراط الله، ولو كان كل طريق يوصل صاحبه إلى الله لما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلى أقوام صرحوا عن تعلقهم بالأصنام الصامتة والناطقة بقولهم: ﴿مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿٣﴾ [الزمر: ٣].

فإذا كان هذا قصدهم فكيف يرسل الله إليهم الرسل بالكتاب والسيف، ويبيح دمائهم وأموالهم ونساءهم؟ فهذه الأكذوبة القبيحة مفضوحة بوحى الله لمن تدبره، ولكنها راجت على من أعرض عن ذكر الله، واتبع همزات شياطين الإنس من اليهود ومقلديهم.

وأيضاً: ففي هذه الآية الكريمة رد على كل مبتدع من أي بدعة كانت في سائر الشئون السياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها، فالفضل للكافر من جنسيته على المسلم من غير جنسيته بالرفد والولاء فهو شارد عن عبودية الله، سالك غير صراطه المستقيم، مفضل صراط المغضوب عليهم والضالين على سبيل عباد الله المؤمنين، وكذلك المتلقي ثقافة مخالفة لوحى الله فهو من هذا النوع، والسالك في الشئون الاقتصادية سبيلاً مخالفاً لحكم الله فهو من هذا القبيل، والمبتدع في الشئون الاجتماعية إباحة ما حرمه الله من التبرج والاختلاط والسكر أو الزنا أو سائر أنواع الفواحش بحجة التطور والمدنية، أو بحجة مسايرة الزمن وإرضاء الأقليات غير المسلمة . . . وما إلى ذلك من كل مبتدع في الدين، فإن جميع هؤلاء يلتحقون بالمغضوب عليهم وبالضالين؛ لاختيارهم سبلاً غير صراط الله الواجب اتباعه وتكرار الضراعة إلى الله بالهداية إليه.

والهداية في اللغة: الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المقصود، وقد لطف

الله بالإنسان فمنحه أربع هدايات يحصل بها على سعادته:

أحدها: الهداية الطبيعية بالإلهام الفطري، وتحصل هذه منذ الطفولة.

ثانيها: هداية الحواس والمشاعر، وهي متممة للهداية الفطرية، وعامة

للإنسان والحيوان، وهي التي قال الله عنها: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

ثالثها: هداية العقل؛ لأن الهدايتين السابقتين لا تكفيان لحياة الإنسان الاجتماعية، فأمدّه الله بالعقل الذي يميز به بين الأشياء، ويتميز به على جميع المخلوقات سواه؛ لأن العقل يكون مصححًا لغلط الحواس والمشاعر بل يكون مانعًا وحاجزًا من ذلك؛ ولهذا حرم الله الجناية على العقل بشرب أي مسكر أو مخدر، وشرع فيه العقوبات الرادعة.

رابعها: هداية الدين ولا بد منها أبدًا لبني الإنسان، إذ لا يُكتفى بالهدايات السابقة عنها وهي لا تدرك بالعقل ولا بالحواس؛ بل قد يهمل الإنسان عقله واستعمال حواسه عند ثورة شهوته والشغف بنيل مآربه وأنانيته، فلا حاجز له ولا رادع إلا الهداية الدينية؛ فلذا كان الإنسان أحوج إليها من طعامه وشرابه؛ لأنه بدون الهداية الدينية توقعه أحاسيسه ومشاعره في مزالق الخطأ والرديلة، بل تستعبده الشهوات والمطامع والأهواء التي لا حد لها، بل قد تجعله يتناول إلى ما في يد غيره ويتطلع إلى أعراض غيره؛ فيحصل للناس من هذه النزوات ما يكدر صفو عيشتهم من التنازع والتخاذل والتقاطع والتجادل والتلصص والانتهاك وقتل النفوس، مما يسبب مجازر بشرية، وخرابًا ودمارًا على البلاد. فلذلك كانت حاجتهم إلى الهداية المرشدة للخير والمنورة لهم في أوساط ظلمات أهوائهم التي تغلب على عقولهم حتى تجعلها في سكر معنوي أفضع وأبطأ من كل سكر حسي، وهذه الهداية هي التي نبه الله عليها بقوله: ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾ [الأنعام: ٩٠] ولهذا كانت هذه الهداية هي أكبر نعمة من الله على

عباده من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وهنا فوائد:

الأولى: قد قرأ الأكثرون: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ بالصاد المهملة، وقرأ بعضهم بالسين، وبعضهم بالزاي، وبإشمام الزاي، ولعل هذا الخلاف ناشئ من اتفاق هذه الحروف الثلاثة في صفة (الصفير) لا سيما الصاد والسين، لكن من قرأ بالسين فلكون أصل (الصراط) بالسين من (السرط) وهو: اللقم؛ ولذلك يسمى الطريق: لقمًا؛ لأنه يتلعه أو كأنه سالكه، ومسترط الطعام ممره، وهو في العرف الشرعي: الصراط المستقيم الوسط، المستقيم بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق والأعمال والسلوك.

الفائدة الثانية: إطلاق طلب الهداية يقتضي عموم جميع أنواع الهداية في جميع نواحي الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية؛ لأن الإنسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة في كل شأن من هذه الشؤون مهما كان متدينًا مراقبًا لله، فكيف مع الغفلة؟! فعباد الله مأمورون أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم في جميع شؤون حياتهم، ليثبتهم على دينه ويديمهم عليه، ويعطيهم زيادات الهداية التي هي من بعض أسباب الثبات وأن يحرسهم عن استغواء الغواية، واستهواء الشهوات، ويعصمهم من الشبهات، فيزيدهم استنجاحًا لما وعدهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] فيعلمهم العلم الحقيقي المنور لقلوبهم والمسبب لهم الخلاص من كل ضلال وغضب، ويوفقهم للجنة بسلوك طريق المنعم عليهم الذين يورثهم الله إياها.

الفائدة الثالثة: قد يتساءل البعض فيقول: كيف يأمرنا الله باتباع صراط من تقدمنا من النبيين، وفي ديننا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم قد كملت

بها شريعتنا وصارت أصلح لزماننا من شريعتهم؟ والجواب: أن القرآن صرح بأن دين الله واحد لجميع من سبقنا من الأمم وأن الخلاف في الفروع التي تختلف باختلاف الأزمنة، وأما الأصول فمتحدة لا خلاف فيها، كما قال - تعالى - في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] فالإيمان بالله واليوم الآخر وفعل الخيرات وترك القبائح أمر متفق عليه كالوصايا العشر المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] من سورة الأنعام، يشترك فيها دين جميع الرسل، وقد أمرنا الله بالتفكير فيما كانوا عليه، والاعتبار بما صاروا إليه؛ لنقتدي بهم في القيام بأصول الدين، وأما تفصيل الأحكام فقد اختصت شريعتنا فيه بأوفر نصيب.

الفائدة الرابعة: إطلاق الاستعانة بالله ليتناول كل مستعان فيه؛ لأن حذف المتعلق يدل على العموم كما أن في ذلك سرًا آخر متضمنًا لنفي الحول والقوة عن نفس العبد المستعين، والانقطاع بالكلية إلى الله عما سواه، فهو أولى بمقام العبادة، وأيضًا فإن طرق الضلالات التي يستعاذ منها وتُستثنى بغير المغضوب عليهم ولا الضالين كثيرة لا نهاية لها وباستعانة المرء بربه يتخلص من مهالكها.

الفائدة الخامسة: يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول في ختامها: (آمين)، يعني: اللهم استجب، وليست آية منها ولا من القرآن قطعًا وقيل معناها: (أو كذلك فليكن أو كذلك فافعل) ويستحب الجهر بها في الصلاة لما رواه البخاري في صحيحه باب (١١١) جهر الإمام بالتأمين حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه»^(١) ورواه مسلم في كتاب الصلاة حديث أبي موسى الأشعري وآخره: «فقولوا آمين يؤمنكم الله» وروى الترمذي وأبو داود والإمام أحمد في التأمين أحاديث حسنة^(٢).

الفائدة السادسة: صراط الله المستقيم يوجب على أهله المؤمنين به مخالفة أصحاب الجحيم من كل كافر ومنافق سلك خلافه من سبل الشياطين، فإن الذي يصدق الله في أن صراطه مستقيماً لا بد له من سلوكه، وسلوكه الصحيح يقتضي مخالفة السالكين سواه وعدم الموافقة لهم أو التشبه بهم أو الالتقاء معهم في أي مسلك أو مبدأ أو مذهب؛ لأن من لم يخالفهم يكون مستحسناً لشيء من خططهم، أو في قلبه ميل إليهم، وبقدر ما يستحسن من خططهم وأذواقهم أو يلتقي معهم في أخلاقهم وعاداتهم فيقلدهم في أزيائهم أو أخلاقهم أو أعيادهم، يتعد عن صراط الله على حسب ذلك، ويدخل إلى قلوبهم السرور بذلك عكس ما يطلبه الله منه.

أما محبتهم أو محبة بعضهم بحجة وطنية أو عصبية فهي شرود عن صراط الله بالكلية، وهدم للدين، خصوصاً إذا انتقص المسلمين الذين ليسوا من جنسه أو وطنه أو فضل الكفار عليهم لأجل ذلك كما هو الركن الأصيل الذي ركزته الماسونية اليهودية لأهل المبادئ العصبية والوطنية، فمشابهة الكفار أو الالتقاء معهم في أي مذهب وسلوك عن قصد ورغبة مخالف لسلوك صراط

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٨٠).

وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤١٠) كلاهما من حديث أبي هريرة به.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٠٤) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الله، حتى أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وجد عند الأنصار أعيادًا قومية يتذكرون فيها أيامهم التي يعتزون بها فقال لهم ﷺ: «إن الله قد أبدلكم عنها بعيدين؛ عيد الفطر وعيد الأضحى»^(١) كل هذا من حمايته ﷺ لجانب التوحيد بإبعاد أمته عن كل ملاقة مع عوائد الجاهلية.

وكم أحدث المسلمون والمحسوبون على الإسلام أعيادًا بدعية باسم الدين، كعيد مولد النبي، وعيد مولد الولي، أو كالأعياد القومية من عيد نهضة وجلاء واستقلال، وغير ذلك مما لا يجوز تسميته عيدًا، ولا البروز بشيء فيه مخالف لغيره من الأيام؛ لأن في هذا مشابهة وتقليدًا، بل والتقاء مع الكفار المتعدين عن صراط الله بل نهى ﷺ عن الذبح في موقع تتخذه الكفار عيدًا، ونهى عن بناء القبر وتشيدته أو إسراجه أو الصلاة إليه أو في المقبرة، ونهى عن بناء المساجد على القبور، وعن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة . . إلى غير ذلك، سدًا لأبواب الشرك، وحماية لجانب التوحيد، حتى إنه نهى عن دعاء الله عند قبر رجل صالح، والبحث في هذا مطول جدًا، فعليك أيها القارئ لهذا الموجز بالرجوع إلى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) للشيخ ابن تيمية إن كنت راغبًا في المزيد.

الفائدة السابعة: فيما اشتملت عليه سورة الفاتحة المباركة إجمالاً: فقد اشتملت على توحيد الربوبية، وأن الله يستحق جميع المحامد من العالمين؛ لأنه رباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، وفي هذا رد على كل الملاحدة والفلاسفة قديمًا

(١) أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٧٩/٣) وعبد بن حميد (١٣٩٢)، والحاكم في المستدرک (٤٣٤/١) كلهم من طرق عن حميد عن أنس مرفوعًا به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. اهـ.

وحديثاً ممن ينكر الله أو ينكر تأثيره في الأكوان والكائنات، واشتملت على توحيد الصفات التي لا يماثلها شيء، وفي ذلك رد على أهل الكلام والمبتدعين التابعين لهم في إنكار الصفات أو تأويلها بقياسهم الفاسد لصفات الخالق على صفات المخلوق - كما سنوضحه إن شاء الله - .

وإن اسم الله تنبثق منه جميع الأسماء الحسنى التي يجب على البشر أن يعاملوه بمدلولاتها العظيمة القويمة، ثم اشتملت على تركيز الإيمان بالغيب والحشر والجزاء في يوم لا ريب فيه، كما اشتملت على توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة الذي جاءت الرسل ونزلت الكتب من عند الله لأجله، واشتملت على تقرير القضاء والقدر وأنه من الله، فالأمر بيده، والهداية بيده، والاستعانة محصورة به ومنه - جل وعلا - ، كما اشتملت على تقرير النبوات بحصر الهداية على الله ومن وحي الله، وكون صراطه وحده هو الصحيح المستقيم، وما عداه فهي سبل الشياطين الذين وصفهم المصطفى ﷺ في حديث صراط الله الذي خط فيه لأمة الصراط، ولهذا اشتملت هذه السورة المباركة على تعليم الله لنا تكرار الضراعة إليه بتجديد العهد المؤكد معه على حصر العبودية له والاستعانة به والتوكل عليه، وعلى سؤاله الهداية إلى صراطه دائماً، فكان نظم هذه السورة في غاية البداعة والجمال، ذلك أن العاقل بالبصيرة القلبية يعرف نعم الله التي أسبغها عليه وجعلها أعدل شاهد له، فيبتدئ بالبسملة له تبركاً باسم ربه واسترواحاً واطمئناناً لذكره، ثم ينتقل إلى حمده وشكره اعترافاً بنعمه وفضله، فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ويرى نعمه مبسوطة على خلقه واضحة آثارها شاهدة بربوبيته عليهم أجمعين فيقول: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يرى شمول فضله ورأفته بالمربوبين وسعة رحمته ولطفه فيقول:

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ويرى تقصير الناس في شكره بعصيانهم لأوامره وافتئاتهم على حدوده مع عدم معاجلتهم بالعذاب مع ما يرى من ظلمهم بعضهم البعض، فيعلم أن هناك يوماً يعاقبهم الله فيه على العصيان والتفريط، ويتصف فيه من بعضهم لبعض؛ لتحقيق رحمته وعدله وفضله فيقول: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ ولقوة خشيته من الخزي في ذلك اليوم وطمعه بالفوز فيه يكرر العهد مع ربه بصدق وإخلاص ضارعاً بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ معتمداً على ربه بإعانتته على أداء واجبه الثقيل، وتتمثل له شئون حياته ومطالبه المتجددة التي لا يضبطها إلا عصمة ربه وهدايته له فيقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ سائلاً ربه التوفيق له والثبات عليه ليجعله من عباده الذين اصطفاهم لقربه بحمل رسالته والجهاد في سبيله؛ وليبعده عن طرائق أهل الغضب والضلال، ويرزقه اجتنابهم فيقول: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ملتزماً بالصدق في ذلك بمخالفتهم في كل شيء وعدم الالتقاء معهم في أي شيء، فلا عجب إذا سُميت هذه السورة بأمر القرآن، فإنها اشتملت على أصول التوحيد والعبودية الصحيحة الصادقة التي علمها الله عباده بكرمه وفضله، وقد اشتملت هذه السورة المباركة على أحد عشر نوعاً من أنواع الفصاحة والبلاغة:

أحدها: حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال بابتدائها بيسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، فإن الثناء عليه بما هو أهله ووصفه بالصفات العليا من أحسن ما يفتح به الكلام.

ثانيها: المبالغة في الثناء لعموم (أل) في (الحمد) التي هي لاستغراق جميع

ثالثها: تلوين الخطاب فإنه ذكر (الحمد) بصيغة الخبر ومعناه الأمر.

رابعها: الاختصاص باللام في (اللَّهُ) لاقتضائها أن جميع المحامد مختصة به وصائرة إليه سبحانه.

خامسها: الحذف، وهو حذف المتعلق في ﴿أَهْدِنَا﴾ وغيره، وهو للإشعار بالتعميم كما تقدم.

سادسها: التقديم والتأخير في قوله: نعبد، ونستعين والمغضوب عليهم، ولا الضالين ليقوى بذلك التناسب.

سابعها: التفسير أو التصريح بعد الإبهام وذلك في بدل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ من ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثامنها: الالتفات وهو في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما سبق توضيح الحكمة من ذلك.

تاسعها: طلب الشيء بقصد دوامه لا قصد حصوله.

عاشرها: سرد الصفات لبيان خصوصية في الموصوف أو مدح أو ذم، وذلك في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخرها.

حادي عشرها: التسجيع، ففي هذه السورة المباركة من التسجيع المتوازي وفي اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

ثاني عشرها: براعة الختام.

فهذه من ضروب البلاغة التي يعلمنا الله إياها في السورة القصيرة.

وحدة المؤمنين في السير إلى الهدف:

وهنا مباحث مفيدة نختم بها بلالتنا من تفسير هذه السورة المباركة:

أولها: سر تقدم الضمير على الفعلين في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فقد ذكروا له وجوهاً سبق ذكرها، وهي الدلالة على الحصر والاختصاص، فمعناها: لا نعبد غيرك ولا نستعين إلا بك، هو حقيقي، والمقصود منه البراءة في الشرك والتعريض بالمشركين، وتقديم ما هو مقدم في الوجود، فإنه سُبْحَانَ اللَّهِ مقدم على العابد والعبادة ذاتاً، فلذلك جرى تقديمه في وضع الخطاب؛ ليوافق الوضع حقيقة الحال. وفيه - أيضاً - تنبيه للعابد - بادئ ذي بدء - على أن المعبود هو الله الحق - سبحانه -، فلا يتكاسل في تعظيمه وإسلام الوجه إليه، ولا يلتفت يمينا ولا شمالاً، والاهتمام بذكره حال العبادة، فإن ذكره - تعالى - مطردة للشياطين وفيه التصريح من أول وهلة بأن العبادة له - سبحانه - فهو أبلغ في التوحيد، وأبعد عن احتمال الشرك، فإنه لو أصر الضمير على الفعلين احتمل أن تكون العبادة لغيره، وفي ذلك التقديم أيضاً إشارة إلى حال العارف، وأنه ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولاً بالذات، ثم إلى العبادة؛ لكونها موصلة له ومطية إليه، فيبقى مشغولاً بمشاهدة أنوار جلاله.

ثانيها: سر قول (نعبد) دون (أعبد) وذلك لعدة أسباب:

أحدهما: الإشعار بوحدة عباد الله المؤمنين وأن الفرد منهم مطالب بذكر صيغة الجمع إعلماً بالرابطة الدينية، فقد أكثر القرآن الكريم إطلاق النفس بصيغة الجمع تنبيهاً منه على أن رابطة الإسلام تجعل المسلم أخ المسلم، كنفسه وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]،

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] إلى غير ذلك مما مر توضيحه في الوجه الخامس عشر بعد المائة من تفسيري المختصر هذا، والوجه الستين بعد المائة من تفسيري الطويل.

ثانيهما: احتقار العبد نفسه أن يتخذ بمخاطبة الحق - سبحانه - وهو لا بد له من التقصير في العبودية؛ فلذا خلط عبادته بعبادة غيره من المسلمين العابدين؛ لاتحادهم معه في هدف السير إلى رب العالمين، فما أجمل تعليم الله له بذلك!!

ثالثها: تقديم العبادة على الاستعانة؛ لأن العبادة مما يتقرب بها إلى الله، والاستعانة ليست كذلك.

رابعها: أن العبادة وسيلة فتقدم على الحاجة؛ ليكون هذا أقرب للإجابة.
خامسها: أن العبادة مطلوب الله من العباد، والاستعانة به مطلوبهم منه، فتقديمهم لمطلوب مولاهم منهم أدل على صدق عبوديتهم من تقديمهم مطلوبهم على مطلوب مولاهم.

سادسها: أن العبادة واجبة حتمًا لا مناص منه، حتى جعلت كالعلة أو كالسبب لخلق الجن والإنس فكانت أحق بالتقديم.

سابعها: أنها أشد مناسبة بذكر الجزاء والاستعانة أقوى التأمًا بطلب الهداية.

ثامنها: أن مبدأ الإسلام التخصيص بالعبادة والخلوص من الشرك، فالتخصيص بالاستعانة لا يصح إلا بعد الرسوخ.

تاسعها: أن في تأخير فعل الاستعانة توافق رءوس الآي وتحسين نظمها.

عاشرها: أن أحدهما إذا كان مرتبًا بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير.

حادي عشرها: أن مقام السالكين ينتهي عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وبعده يطلبون من الله تمكينهم من تحقيقه، فإن العبد إذا أثنى على ربه وتعلق بذكره زكت نفسه وصفاً قلبه، فإذا استنار بأنوار العبادة وتلذذ بطاعة رب العالمين، خشي من الانقطاع عنه، فسأله الإعانة كي يستقيم قلبه، فهذه درجات العارفين أجملها الله في سورة الفاتحة، والله ولي التوفيق.

تتمة على بعض فضائل سورة الفاتحة:

ومما صح في فضلها من الآثار ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد ابن المعلی رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾»، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أفضل السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت: يا رسول الله، ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أفضل سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني الذي أوتيته»^(١). وروى الإمام أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح عن أبي هريرة نحوه، غير أن القصة مع أبي بن كعب وفي آخره: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣١٢٥)، والنسائي (١٣٩/٢) وأحمد (١١٤/٥) وعبد بن حميد (١٦٥) من طرق عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً به. وأخرجه البيهقي في سننه (٣٧٥/٢) من طريق مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز مرسلًا.

فيجمع بين الحديثين أنه ﷺ علم أبا سعيد بن المعلى في وقت ما، ثم علم أبي بن كعب في وقت آخر، فلا تعارض بينهما قطعاً.

وقد استدلوا بهذين الحديثين وأمثالهما على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض، وهو المحكي عن كثير من العلماء.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فنزلنا حياً، فقالت امرأة: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام رجل منا ما كنا نأبه برقيه، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، فقلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي ونسأل النبي ﷺ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «وما يدريك أنها رقية؟! اقسموا واضربوا لي بسهم»^(١) وهكذا رواه الإمام مسلم وأبو داود.

وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب في السماء فتح اليوم لم يفتح إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال، هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»^(٢).

= وكذلك الحاكم فقد أخرجه في المستدرک (٧٤٤/١) من طريق عبد الحميد به. ثم قال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقد اختلف على العلاء ابن عبد الرحمن فيه. اهـ. وذكر رواية مالك السابقة.

والعلاء بن عبد الرحمن قال فيه يحيى: ليس حديثه بحجة، مضطرب الحديث.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٠٦)، والنسائي في سننه (١٣٨/٢)، وأهـ بعد =

وروى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام» قيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الزَّمَنَ الرَّجِيمَ﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ قال: مجدني عبدي - وقال مرة - : فوض إليّ عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل»^(١).

ولنقتصر على ذلك وأي فضل أعظم منه؟! وبالله التوفيق.

قوة العزم والتصميم:

المسلمون الذين يكررون عهدهم مع الله ﷻ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يجب أن تكون عندهم الغاية القصوى من غليان النفس وعمق الشعور الصادق، ما يجعلهم يفتحون أنفسهم، ويسبرون أغوارها ودخائلها قبل فتح الأرض، ويحكمون ذواتهم ويسيطرون على شهواتهم ويملكون إرادتهم قبل أن يحكموا الأمم ويسيطروا عليها، وهم مؤمنون غاية الإيمان

= في مسنده (٣٧١/٤) رقم (٢٤٨٨) وغيرهم من طرق عن سعيد بن جبیر عن

ابن عباس به.

(١) تقدم.

ومقتنعون غاية الاقتناع برسالتهم السماوية التي اصطفاها الله لحملها من بين الأمم، ومستيقنون بأن كل إصلاح أو تقدم لحياتهم ليس منبثقاً من عقيدتهم ومنافعاً من بضاعتهم السماوية، فإنه ليس تقدماً ولا إصلاحاً بالمعنى الصحيح، وإنما هو تعلق بشيء سطحي صغير بسيط، تنخدع به دهاؤهم كنجاح موهم يعجز عن توحيدهم ورفعهم إلى المستوى الذي ناله أجدادهم السلف، الذين غلبت الروح على مجتمعاتهم دون المادة، وغلب الجوهر على المظهر، والذي كانت به حياتهم صدى للصوت السماوي الذي سمعوه بواسطة نبيهم محمد ﷺ.

ذلك الوحي المبارك الذي هو روح يقوي أخلاقهم كلما لانت، ويحفز نفوسهم كلما طففت على السطح؛ لأن الله العليم الحكيم جعل في رسالته للأمة المحمدية تكامل شخصيتها ونضجها وإشعاعها حتى تصل إلى درجة التأثير والتوجيه وإثارة الإعجاب، فتكون جديرة باستلام القيادة العالمية؛ لأن تلك الرسالة أخرجتها من نطاق المادة والأنانية، وارتفعت بها إلى مستواها اللائق بها بين الأمم من كونها مرشدة وقائدة للإنسانية.

إن رسالتهم ليست نظرية ولا أماني، وإنما هي فعلية يجب أن ينطبع بها كل فرد وينفعل بها، وتتحقق صورتها وحقيقتها فيه كما تتحقق البطولة في الأبطال - في كل منْ يتمنى البطولة - وعلى هذا فمن واجب الأمة الإسلامية التي تكرر العهد مع ربها بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ألا تتنازل عن مرتبتها ومكانتها الأصيلة التي اصطفاها الله لها، بل تصر كل الإصرار على أنها هي هي مهما اجتاحتها الظروف، وعضتها النوائب نتيجة تقصيرها في جنب الله، إنها إذا انحرفت عن الرسالة المحمدية، وتلاشت عزيمتها عن تحقيق خيريتها

بين الأمم فإنما ذاك لمرض في قلوبها يجب عليها علاجه، أو يزيد لها الله مرضاً ويسلط عليها أخس أعدائها.

ففكرة الرسالة والإيمان الصادق بها تقودان الأمة حتماً إلى تكوين نظرة عميقة للماضي وعلاقته بالحاضر والمستقبل، بخلاف المذاهب الأرضية المعاصرة، فإنها تتنكر للماضي وتشوه تاريخه بالزور والبهتان، كما أنها نظريات تحصر كل شعب بمكانه وتجعله يتغنى بكيانه دون غيره من الأمة أو شعوبها الآخرين، فتفكيراته ضيقة في حدود مصطنعة من أساليب الكفرة الغزاة الفجرة، ويحصر جلب النفع عليها دون مبالاة بغيرها.

وهذه أشنع عودة إلى الجاهليات الأولى، أما رسالتها السماوية الخالدة فقد حققت لهم وحدة إسلامية أكبر مما ينشدونه من وحدة عربية مئات المرات، حيث انصهرت فيها جميع العناصر والأمم والشعوب، وانطبعوا بطابع الإسلام عن حب ورغبة.

إن رسالة الله للمسلمين تجعلهم مرتبطين بالسما، حاملين بضاعة السماء، ليملكوا الأرض ويورثها الله إياهم، وكلما تنكبوا عن بضاعة السماء وتعلقوا بالبضائع الأرضية الملتقطة من المزابل اليهودية خسروا من الأرض بقدر ما أضاعوه من بضاعة السماء، ولا يعود لهم ما خسروه إلا بعودتهم لحمل بضاعة السماء، وتشوقهم إلى رب السماء؛ لينالوا وعده في الدنيا والآخرة ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] إنهم كلما اقتصروا على طلب الأرض خسروها وخسروا السماء.

فعلى المجتمع الإسلامي أن يجاهد نفسه ويغالبها ويراعم شهوتها وشياطينها، ليحقق شخصيته التي يوجب الله عليه أن تكون أهلاً للجهاد الخارجي

والزحف المقدس، وأن يدفع الثمن الذي طلب الله منه في آية شراؤه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، ذلك الثمن الغالي الذي يتحقق ببذله ما هو أعلى منه وأعلى في الدنيا والآخرة.

إن المجتمع الإسلامي يعيش في مستوى هابط من الروح قد سبب فتورًا وخمولاً يجب أن يعالج بإطلاق إيمانية روحية عميقة، تحدث حرارة لاهبة تطهر النفوس وتفتح المواهب، وتفجر الطاقات والبطولات، حرارة جمرة الإيمان الصحيحة المشتعلة من حب الله وتعظيمه، والغيرة لدينه، والغضب لحرماته. فيجب على كل مسلم مؤمن أن يغوص في أعماق نفسه، ويحاسبها على ما فرطت في جنب الله، فيستأنف حياته من جديد بالعودة الصحيحة إلى الله شامخاً برأسه إلى بضاعة السماء، رافضاً كل بضاعة أرضية ومترفعاً عنها، إذ أن المسلمين ما داموا غافلين عن الله فهم ناسون أنفسهم أو جاهلون بها كلياً؛ لأن من عرف نفسه معرفة حقيقية؛ عرف قيمتها العظيمة التي لا تعدلها الدنيا جميعها ثمنًا، فلم يسترخصها باللهو واللعب، ولم يبيعها بثمن من لذائذ الدنيا وزينتها، بحيث يكون تابعاً للدجال أو طاغوت، أو عبداً لأي مخلوق مثله. وليس شيء يُعرّف الإنسان بنفسه سوى صدق الإيمان الذي يلهب الروح، ويفتح الفكر، ويقوي المشاعر، ويهز الخلق ويقومه، ويحصل من جرائه معرفة الحق والإخلاص له، والصدق في تحقيقه بالعمل الدائب والتضحية الصحيحة، التي بسببها يكون لوجود صاحبه معنى صحيح حق في الحياة، فإن كل تساهل وانحراف في حمل الرسالة وتطبيق الشريعة يهدد الأمة بالتجزئة والتناثر، ويعطي أعداء الله سلاحاً عليهم.

ذلك أن رسالة الدين رحمة من الله ترفع الظلم والفساد عن أهل الأرض،

وتحررهم من كل استعباد يريد له الدجاجلة والطواغيت، فعندما فسد علماء اليهود والنصارى، وأحدثوا في دين الله ما أحدثوه؛ صارت مجتمعاتهم في حالة سيئة من الظلم والفساد؛ لأنهم يضيفون أثواب القداسة على الظلمة والانتهازيين، وكل من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه من أولئك إلا أنه ممقوت مفضوح.

ولهذا كان من مميزات المسلمين فضيحة الفاسد، وإباحة غيبته، ووجوب عزله عن كل منصب، بخلاف أولئك، فالإسلام يحرم السلبية من كل ناحية، ويأمر بمزجها بالإيجاب في كل ناحية من نواحي الحياة؛ لأن ذلك هو سنة الله الكونية، وفساد العلماء والعباد في الدين اليهودي والنصراني المفترى على الله هو سبب ثورة أهل (أوربا) على الدين المكذوب المفترى على الله، لما فيه من تعطيل العقل وحرمان العلم والنور، ومقاومة الإبداع والاختراع، وتشجيع الظلم والاستعباد.

فعلى المسلمين أن يصدقوا في عهدهم الذي يكررونه مع الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بتطبيق حكم الله فيما أنزل، بأن يطبقوه على أنفسهم أولاً، ثم على سائر مجتمعاتهم، طالبين رضا الله في ذلك؛ لتحفهم حصانة الله إذا زحفوا به على غيرهم كما أوجب الله ذلك عليهم، وتوعدهم بأشد العقوبات الدنيوية والأخروية إن هم تخلفوا عن هذا الواجب المقدس.

ولا يشك عاقل صريح في أن معيار الإنسان في صدقه وإخلاصه هو عمله وليست أقواله أو كتاباته المعيار لذلك، بل يستطيع أن يزعم بلسانه أو بكتابه أنه مؤمن مخلص، وأن الإيمان بالقلب، أو أن الإيمان هو الحب، ولكن أفعاله وجهاده هي المعبرة الصادقة عما في ضميره من صدق وإخلاص أو دجل

ورياء، فمن فضل مراد الله على مراد نفسه وفدى الرسالة المحمدية بروحه وماله فقد برهنت أعماله على ما في ضميره من صدق مع الله وإخلاص له ومحبة صحيحة لله ولرسوله، ومن عكس الأمر فقد كشفت لنا أعماله عما في قلبه من دجل ونفاق، وأنه ليس من الموقنين بعهد الله، عيادًا بالله من ذلك.

خلاصة عامة:

تحقيق عبودية الله وحصر الارتباط والتعلق به دونما سواه، يحصل به راحة البشرية وأمنها، وسلامتها من القلق والاضطراب الموجب للثورات التي صار منها في كثير من البلدان حمامات للدم، وفتك وبطش وإهدار للكرامة بشتى التهم الكاذبة، والأغراض الانتهازية، حتى من إخوانهم وأبنائهم!! بسبب عدم التربية الدينية التي ينطعون فيها بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فإن حاجة الإنسانية إلى ذلك أشد من الطعام والشراب والدواء الحسي؛ لأنها هي الغذاء المعنوي والدواء الروحي، والواقى من جميع الشرور والمآسي، وهي التي تربي الروح وتنميها أعظم من تنمية الجسم والعقل بالطعام الحسي، والعلم المادي، فلا تنهذب الطباع وتنصقل الأرواح وتكتمل إلا بما اختاره الله لها من معرفته، والأنس بحبه، ولذة طاعته وذكره، ورجاء ما عنده سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فتسلم من جميع الشرور والأزمات.

الصادق مع الله بتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا يضره كيد الكائدين، ولا مكر الماكرين، ولا يقدر أن يفرط عليه أي جبار عنيد أو يطغى؛ لأن الله سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ يحيطه بمهابة تلجم أفواه الطغاة وتزلزل قلوبهم، فلا يقدر أن يبدأ على تنفيذ ما يتوعدون به، أو يهمون به، من نيل عباد الله بأي سوء، مهما أوتوا من البطش والعظمة والقوة، ينسيهم الله أعمالها، ويفتت

معنويتهم ، ويفقدهم قوة التنفيذ، بل يخسرهم على الأمر به ويحبط مكرهم،
مهما بلغوا من الكيد والتفكير .

ولذا قصر الله على عباده في كتابه الكريم - بعدما وجههم لحسن السير إليه
بهذه الأمة في عدة سور منه - قصص عدد من المؤمنين، الذين انهارت قوة
الطغاة أمامهم ، وهم أفراد ضعفاء إلا من الإيمان، كالنبي هود عليه السلام أمام
قومه (عاد) الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] فتحداهم وهو
فرد، مع زعمهم أن أصنامهم التي يعبدونها قد أصابته بسوء، وقال: ﴿أَشْهَدُ
اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾
[هود: ٥٤، ٥٥] لا تمهلوني ولا لحظة واحدة، هاتوا ما عندكم من الكيد
والعقوبة بكل سرعة، فإني لا أبالي بكم جميعاً أنتم وآلهتكم .

فانظر أيها القارئ والسامع إلى ما وهبه الله عباده الصادقين الصالحين من
القوة المعنوية، وما أحاطهم به من الحصانة الخفية، التي لا يغلبها غالب، كيف
وقف هذا العبد الفرد بين الأمة العظيمة القوية هذا الموقف الذي أشهد به الله
أولاً على براءته من دينهم، ومما هم عليه، وجاهرهم بمخالفته لهم وبالبراءة
من آلهتهم التي يعادون عليها، ويوالون ويتفانون في نصرتها، ثم أعلن
استهانته بهم واحتقاره لهم وازدراءه، وتحداهم أن يجتمعوا كلهم على كيده
وشفاء غيظهم منه بكل عجلة دون إمهال، وهو ثابت وحده بلا جزع ولا فزع
من قوة ثقته بالله، وجزمه بنصره .

فموقفه يتضمن إعلانه بقوته عليهم، وأنهم أعجز وأضعف من أن ينالوا منه
شيئاً، ثم يقرر دعوته أوضح تقرير وأحسنه مبيناً لهم أن الله ربه وربهم، وأنه
متوكل عليه فقط، لا على غيره، وأن نواصيهم ونواصي جميع الخلائق بيده،

فيقول: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] فالذي هو آخذ بنواصي العباد قادر على نصر أوليائه، وأهل طاعته، مهما ضعفوا ضعفاً حسيّاً يجبرهم بقوة معنوية، وحصانة سماوية، ويشل حركة أعدائه، ويكفهم عن عباده الصادقين، ويجعلهم لا ينتفعون بقوتهم مهما كثرت وعظمت.

وكونه على صراط مستقيم يقتضي انتقامه ممن خرج عنه، وعمل بخلافه، ونصرة من سلك نهجه، ولو كان فرداً واحداً على أكبر عدد وأقواه، وقد ينتقم ممن يزعم الإسلام وهو مخالف له بمن هو كافر، ليظهر دينه من المنافقين، ويمحص بذلك قلوب المؤمنين، وينشئ لدينه من ينصره، فيديل دولة الكفر به حسب حكمته في كونه، وقد أجراه كثيراً في عدة عصور، والله غالب على أمره.

وقد نصر الله إبراهيم أعظم نصر لم يعرف له التاريخ مثيلاً، وكرر الله علينا قصة موسى مع فرعون، لما فيها من عظيم العبرة، فموسي الذين خرج من فرعون هارباً يترقب، يرجع إليه رسولاً نذيراً يخاطبه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] يدخل عليه مع هارون بسطان من الله الذي قال له: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْنٰتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥] فيصمدان أمام طغيانه، وبيارزانه بالقوة المعنوية من رب العالمين، وكذلك مؤمن آل فرعون الذي خاطبه بدون مبالاة.

وقد أرانا الله من نصرة المؤمنين بعد مبعث محمد ﷺ في زمنه وبعد زمنه ما هو عبرة للناظرين، وتأيدته سبحانه لأهل بدر ومن على شاكلتهم من هذا

النوع، وخذلانه لمن خرج عن طاعته أو فضل الدنيا على الآخرة تأديبًا. فالله ﷻ أرشد بني الإنسان إلى ما يحييهم حياة طيبة سعيدة من تحقيق عبادته، وريقيهم بها من شرور شياطين الجن والإنس، حفظًا ونصرًا، وإلى الصدق في حصر الاستعانة به، والتوكل عليه، مع الأخذ بالأسباب التي هي من كمال التوكل والعبادة؛ لأن ذلك هو طريق تسديده وتأييده ونصره، الذي لا يقدر أحد على مجابهته.

فأهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أهل القوة والمنعة والعزة والزحف الذي لا يوقف في وجهه، وهم أهل التكبير الصادق المرجف لقلوب الأعداء، والمزلزل لحصونهم، وهم الذين يتحدون غيرهم ولا يقدر غيرهم على تحديهم مهما قلوا.

ولم تستعمل الدول المادية في هذه الأزمنة إلا على الذين يتولون بعضهم ويعتمدون عليها، هذا يعتمد على الدولة الفلانية، وهذا على الدولة الأخرى، وفريق يعتمد على القبر الفلاني، وفريق على مجاورة فلان، أو على سكنى البلد المقدس عنده، أو على جوار حرم الله، وهو متلبس بمعاصيه غير محقق لعبوديته على الوجه المطلوب، بل هو مشابه للذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

أما في كل وقت يقبض الله به قومًا يحبهم ويحبونه بالمعنى الصحيح، ويعبدونه بالمعنى الصحيح، ويجاهدون في سبيله لا يخافون لومة لائم، ويأخذون بالأسباب غير متعلقين بها، ولا معتمدين عليها، بل هم معتمدون على الله متعلقون به، جازمون أن الله مولاهم، قاصرون ولايتهم عليه، فهو نعم المولى ونعم النصير، لا يستنصرون بغيره أبدًا، فإنه يتحقق لهم ما قلناه،

من التأييد والنصر والتمكين، كما وعدهم به الله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

إن القرآن الكريم يشمخ برءوسنا في عالم السياسة إلى أسمى مدارج الكمال، وهو وحده الذي يرفع رءوس أهله ويهيب بهم، ألا يستعينوا بغيرهم في دفع أي عادية، أو ردع أي عدو، أو قمع أي ظالم، أو إخراج أي متعصب، بل يعتمدون على الله، ثم على أنفسهم بعد الأخذ بالأسباب، وإعداد القوة الموجبة عليهم في قتال كل باغٍ وظالم، مستعينين بالله وحده بنية خالصة، وألسنة صادقة لإعلاء كلمته، وبجوارح طاهرة من معصيته، وقلوب محشوة بمحبته وتعظيمه، سليمة من محبة ما يبغضه، وموالة من يعاديه.

وبذلك ينالون مدده وحصانته ونصره على أعدائهم مهما كانوا، كما أجرى سنته بذلك، حيث قال في أولياته: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بَدِيلًا ﴿ [الفتح: ٢٢، ٢٣].

بتحقيق عبودية الله وفق مدلول هذه الآية يتحقق كيان المسلمين بين الأمم، ويكون لهم هدف صحيح ناجح نصب أعينهم، يفرضونه على من سواهم، وتكون حركاتهم منوطة به، وإنفاقهم المال في سبيل نصرته، والزحف به لوجه الله، ولا ريب أن من ليس له هدف في الحياة يفقد كيانه بين الأمم، ويكون عولاً عليهم أو على بعضهم.

ولذا أرشد الله عباده المؤمنين إلى هذا الهدف السامي الذي يبرزون فيه بين الأمم، ويتفوقون عليهم، ويتميزون منهم بالطموح والشموخ عن كل خوف أو تقليد؛ لأن الله العليم الحكيم خط لهم الخطة الروحية بصراطه المستقيم بين

سائر أهل الأرض من الماديين عباد الأشخاص، وعباد الشهوات، وعباد الهوى والدرهم والدينار.

حياة المسلم بين جهادين:

تكرار الضراعة من المؤمن الصادق مع الله بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه تصميم جازم على القيام بالجهاد النفسي، الذي يحصل بتحقيقه الصلاح والفلاح، لا للفرد فقط بل لسائر المجتمع الإسلامي، إذ بالتغلب على شهوات النفس ونزواتها وكبح جماحها، وإيقافها عند حدود الله في كل شيء، وتسييرها وتصييرها على طاعته وأقداره، والتزام عبادته في جميع نواحي الحياة، يسلم الفرد والمجتمع من شرور الأنانية وجماح الشهوات، وغوائل الحقد، وسورة الأطماع؛ فيصبح كل واحد منهم نقيًا، محبًا لأخيه المسلم، مثلما يحبه لنفسه، ويغار على عرض أخيه كما يغار على عرضه، فيعيشون عيشة الإيثار، لا عيشة الأثرة، فلا تجد الماسونية اليهودية فيهم مدخلًا باسم الشيوعية ولا غيرها.

وبهذه الحالة لا يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، بل يسترخصون الحياة في سبيل الشهادة، ويحبون الموت كما يحب غيرهم الحياة، ذلك أن الله جعل حياة المسلم دائمًا في جهادين، وفي صراعين: جهاد وصراع داخلي باطني، وجهاد وصراع خارجي، جهاد نفسي وصراع داخلي، مع شهوات النفس وأنانيتها ووساوس شياطينها، وهمزات قرنائها من الجن والإنس وجهاد وصراع خارجي مع شياطين الإنس المتمردين على وحي الله، والمتطاولين على سلطانه في الأرض، وكل من نجح في الامتحان النفسي وانتصر في الجهاد الداخلي العظيم، فإنه ينتصر في الجهاد الخارجي على أعداء الله وأعدائه بإذن الله

ومدده وتوفيقه، والعكس بالعكس.

أما من هزمته نفسه وصرعته أهواؤه وشهواته فإنه ينصرع في الجهاد الخارجي، وينهزم أمام أعدائه مهما كانت خستهم، كما انهزم العصريون في هذا الزمان أمام اليهود الذين لم يكتب لهم نصر ولا عز إلا على أمثال هؤلاء، وقد أخبرنا الله عما امتحن به قومًا غيرنا في سورة البقرة بنوع واحد من الجهاد النفسي، انصرع به أكثرهم وغلبته نفسه، فانهارت معنويتهم، ونكصوا على أعقابهم حينما شاهدوا عدوهم من بعيد، ولم يقابله إلا القلة التي نجحت في الامتحان، وصبرت على أمر الله، ووقفت عند حدوده، فكانت هي الغالبة في الجهاد الخارجي.

ها هم قوم طالوت الذين سألوا نبيهم بكل إلهام أن يبعث لهم ملكًا ليقاتلوا في سبيل الله، فلما بعث الله لهم طالوت وأيده بما يطمئنهم على قبول رئاسته - كما سيأتي توضيحه في محله إن شاء الله - ساروا إلى عدوهم بغرورهم وخيلائهم، وأمانيتهم العريضة، كأن العدو لقمة سائغة يتلعونها، ولكن الله جلت قدرته أراد امتحانهم بشيء من الجهاد النفسي؛ ليميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، فاسأل عليهم نهرًا باردًا عذبًا، وقال لهم: لا تشربوا!! ما هذا الامتحان؟ يا له من امتحان!! قوم سفر شعث غبر، طال بهم السفر على الجمال، وتحملوا المشقة والآلام يعترضهم مثل هذا النهر، فيمنعون من شربه، إنه اختبار واحد بنوع واحد من الجهاد النفسي فقط، فكيف لو اختبروا بكثير؟ إنه نوع واحد رسب أكثرهم فيه وسقط، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: 174]

[٢٤٩] ماذا كان حال القوم؟ أكثرهم خارت عزيمته وانهارت معنويته، وصرعته شهوته وغلبته نفسه، قال الله ﷻ عنهم: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ثم ماذا كانت عاقبة هذه الأكثرية التي انهزمت في الجهاد النفسي؟ نجبرنا الله عنهم أنهم لما جاوزوا النهر سائرين إلى عدوهم واقتربوا منه: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هذه عاقبة الهزيمة الداخلية النفسية، انهزام قبيح وشروء فاضح في الجهاد الخارجي، وإلا فهم لم يخرجوا إلا طالبين جهاد عدوهم، ومتعطين إليه، ولم يكن أمره خافيًا عليهم، ولكن الهزيمة النفسية هذه بعض عواقبها السيئة، أما الفئة القليلة - وكثيرًا ما يكتب الله الخير في القليل - الفئة القليلة التي صبرت على طاعة الله، وصبرت نفسها على قضائه، ووقفت عند حدوده، فلم تشرب سوى غرفة واحدة، فإنها هي التي ثبتت للقتال قائلة: ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ... ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٠].

فليتصور المسلم هذا الامتحان الذي هو يسير وعظيم، وليعتبر به من جهاد نفسي سقط فيه الكثرة الكثيرة، ونجحت فيه قلة فازت بالنصر والظفر على عدوها المتفوق عليها كثيرًا، كل هذا سببه تحقيق الجهاد النفسي الداخلي؛ ليعتبر المسلم فيمن عصى الله بشربة ماء، وغلبته نفسه فلم يصبر على ما حده الله له، كيف انهارت نفسه في الجهاد الخارجي، ولم يثبت للقاء عدوه لحظة واحدة.

فإذا كانت هذه حالة العاصي بأخف شيء، فكيف بمن عصى الله بشرب الخمر واقتراف كبائر الذنوب والفواحش؟ كيف بمن حاد الله ورسوله ونازع الله في ألوهيته وسلطانه برفضه تشريعاته وجعله لنفسه حق التشريع والتقنين؟

كيف بمن يزعم الإسلام وينطق بالشهادتين تلفظًا لا يجاوز حناجرهم، وهم لم يصدقوا الله في أن صراطه مستقيم فيسلكوه ولم يجعلوا محمدًا ﷺ قدوتهم فيتبعوه، بل جعلوا صراط الغربيين والبلاشفة هو المستقيم فاتبعوه وعضوا عليه بالنواجذ، وأرغموا شعوبهم على اتباعه؟

كيف بمن انصرف عن وحي الله وصرف الناس عنه بما يبثه عليهم من لهو الحديث المتنوع غناءً ماجنًا، وصورًا خليعة، وأقاصيص وتمائيل فاجرة، ينفذ في كل هذا خطة الكفرة الفجرة الذين قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] أي: اشغلوا الناس عنه؟ كيف يرجى ثبات أهل هذه الأصناف أمام أعدائهم من اليهود ونحوهم، فضلًا عن انتصارهم عليهم؟ حقًا، إن هزائمهم أمام اليهود سببها انصراع نفوسهم بالشهوات، فهم صرعى الأطماع والأنانية، وحب الرئاسة، وهم صرعى اللهو والشبهات، وهم صرعى الأهواء المسعورة، التي جعلتهم - دائمًا - في سكر معنوي أفضع من كل سكر حسي ومن كل صرع شيطاني، فالله أرشد عباده لما يحميهم من الصرع المعنوي الجالب للهزيمة النفسية المسبب للهزيمة الخارجية، وتسلط الأعداء من شياطين الجن والإنس، أرشدهم إلى الصدق معه، والإخلاص له، والاستقامة على عبادته دونما سواه؛ ليحققوا حصرهم الضراعة إليه بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيلتزموا عبادته وطاعته في جميع شؤونهم السياسية، وذلك بحصر المحبة والولاء لوجهه الكريم، والبغض والمعاداة من أجله - سبحانه - فقط، فيحب ما أحبه الله من الأعمال والأشخاص مهما كانت جنسيته، ويوالي المسلمين ويساندهم ولا يجعل أحدًا منهم عرضة للنوائب، ولا يسلمه أو يخذله أبدًا، ويبغض ما يبغضه الله من الأعمال والأشخاص ولو كان

أقرب قريب، ويعاديه؛ بل يعادي كل من أبغض المسلمين أو شمت فيهم، أو سخر منهم أو آذاهم، فكيف بمن حاربهم؟! والتزام عبادة الله في الشؤون الثقافية، وذلك بحصر التلقي من مشكاة النبوة الذي هو وحي الله، ليحصر مورده على ما أراده الله لشفاء صدره من مرضي الشبهات والشهوات، ولا يمزج بضاعة السماء بالبضائع الأرضية التي هي من غش اليهود، ويلتزم عبادة الله في الشؤون الاقتصادية فيحصر اكتسابه للمال من الطرق المشروعة، مجتنبًا ما حرمه الله من أكل الربا والسحت، ويحصر إنفاقه للمال على الحقوق المشروعة، مبتعدًا عن البذخ والإسراف، وتبديد هذه الطاقة العظيمة فيما لا يدفع بالرسالة؛ ولا ينفع العقيدة، بل هو إسالة المال إلى الأعداء كما هو شأن العصريين المتشدين بخلاف ما يعملون. ويلتزم عبادة الله في الشؤون الاجتماعية، فيراقب الله في جميعها بتحليل الحلال وتحريم الحرام، لا يحاول تحريم شيء مما أحله الله، أو إباحة شيء مما حرم الله فيكون مفتريًا على الله، ولا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون فاقد الحب لله، أو عديم الغيرة لله، لا يغضب لدينه ولا يغار لحرماته، بل يكون وقافًا عند حدود الله، محاذرًا جميع معاصيه، مجتنبًا ومطهرًا مجتمعه من جميع دواعي الزنا والمغريات عليه من السفور والتبرج وإظهار الزينة والمفاتن، والتصاوير والتمثيلات والأفلام والمسارح، والبلاجات التي يحصل منها ما يثير الغرائز ويقضي على الحياء والحشمة، ومجتنبًا ومطهرًا مجتمعه من جميع المسكرات والمفترات التي فيها جناية على العقل والروح المعنوية، وجميع ما فيه ذريعة إلى فساد الأخلاق كاختلاط الجنسين والرقص، ومسابقة الجمال ونحو ذلك، مما يحرص الكفرة أعداء الله على شيوعه في المجتمعات الإسلامية

لإفسادها وانحلالها.

وبمراقبة المسلم لله في جميع شئون حياته السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية يكون قد قام بالجهاد النفسي الداخلي، فإن هو استقام وثابر وصبر وصابر مخلصاً نيته لله من كل شائبة؛ أعانه الله على تحقيقه؛ لأن الله يهدي إليه من أناب ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فعلى المسلم أن يتدبر مدلول ضراوته إلى الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التي أرشده الله إلى تكرارها عشرات المرات في صلوات الليل والنهار، ليخلص لله ويصدق معه في تحقيقها؛ لينجح في الجهاد النفسي نجاحاً يؤهله للجهاد الخارجي تأهيلاً يجعله لا ينهزم، ولا يقهر.

وإلا فما قيمة حياته إذا توالى عليه الهزائم من أعدائه، كما توالى على العرب المعاصرين هزائم من أخس أعدائهم، لاعتمادهم في شئون حياتهم السياسية والتربوية ونحوها على ما خططه أولئك الأعداء، وشرودهم عما خط الله لهم في وحيه المبارك، نسأل الله أن يهدي الضال ويرجع بالشارد فإنه لا منجى ولا ملجأ إلا إليه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

انتهى تفسير سورة الفاتحة بحمد الله تعالى